

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محاوَر الكتَاب

مصطلحات أساسية

العراق.. تاريخ مختصر

التنشئة الوطنية

المحافظات العراقية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه المنتجبين. يعيش العراق الحبيب مرحلة حرجة من تاريخه، ولم يعد ثمة شك في أن تحديات هذه المرحلة بالغة الخطورة والجسامة، وبرغم أن إرادة الشعب وحكمة المرجعية الدينية المباركة و القادة المخلصين أسهمت إلى حد كبير في تجاوز صفحات مهمة من خضم هذه التحديات التي واجهها العراقيون بصلافة وبذلوا تضحيات جسيمة، إلا أن الطريق لا يزال شائكاً ومحفوفاً بالمخاطر، ولعل في مقدمة هذه المخاطر هو ما يتهدد وحدة البلاد وجغرافيتها السياسية والاجتماعية، وهو تهديد يتخذ أشكالاً وأنماطاً مختلفة، وتتداخل فيه الأجندات والمشاريع المعادية لوحدة التراب العراقي ومستقبل العراقيين في وطن ألفوا العيش المشترك في ربوعه منذ قرون سحيقة.

وعليه يبدو واضحاً أن من أهم المسؤوليات والواجبات التي يجب النهوض بها اليوم من قبل الغيارى و المخلصين للعراق هو التصدي لمثل هذه المشاريع وتعميق الروح الوطنية وتأكيد مدى أهمية بقاء العراق كما عرفته الجغرافيا والتاريخ، بلداً واحداً يصعب افتراض تجزئته ولا تكتب الحياة لأي جزء من دون بقية الأجزاء الأخرى.

إن الحديث عن وحدة العراق، عراق متعدد جامع لفسيفساء متنوعة ومكونات منسجمة مع بعضها البعض، ليس حديثاً ترفيلاً ولا نابعاً من حماسة عاطفية فقط، بل هو حديث عن واقع وحقيقة ملموسة، لا يجهلها سوى من يحاول المكابرة والتغاضي عن الحقائق الثابتة والساطعة.

ومن هنا يأتي جهدنا في هذا الكتاب، الذي يسرّ دائرة التوجيه السياسي والعقائدي في المجلس الأعلى الإسلامي العراقي إصداره وإخراجه للقراء، في محاولة لتأكيد وحدة البلاد من خلال تعزيز الروح والحس الوطني لاسيما لدى شبابنا سواء داخل تيار شهيد المحراب أو خارجه، وإحدى عوامل ترسيخ وتعزيز

الجانب الوطني لاشك يكمن في التعريف بتاريخ البلاد وحاضرها، و عكس طبيعة علاقات المحبة والانسجام وتجذرها عبر التاريخ العراقي منذ أقدم الأزمان. كما يعرض الكتاب لدور تيار شهيد المحراب وتماهيه المطلق في العراق أرضا وشعبا، وتاريخية هذا الدور بدءا من المواقف الوطنية الخالدة للإمام السيد محسن الحكيم قدس سره الشريف، وتبديد التصورات الخاطئة حول تعارض مفترض يقيمه البعض بين النظرية الإسلامية و الوطنية الحقيقية التي تعني رسوخ الانتماء للوطن والانحياز لمصالحه العليا بغض النظر عن أية اعتبارات أخرى، فالإسلام الحنيف أكد عبر القرآن الكريم والسنة الصحيحة للنبي وآل البيت عليهم السلام على قوة ارتباط الإنسان بوطنه، وأن العلاقة بينهما علاقة طبيعية ثابتة وفطرية، ولا يمكن تجاوزها كحقيقة من حقائق الحياة الإنسانية.

يضم الكتاب أربعة فصول، يأتي الفصل الأول للتعريف بمصطلحات أساسية تتردد كثيرا ذات علاقة مباشرة بموضوعنا، وهي الوطن والوطنية والمواطنة. ثم نعرض إلى الوطن في الرؤية الإسلامية، يليه بيان مفهوم الوطنية ومفهوم الأمة ومشروعية حب الوطن والإخلاص للوطنية، وقبل الانتقال إلى الفصل الثاني أوضحنا قضية الوطن في فكر تيار شهيد المحراب، الذي تميز بنشأته الوطنية وبيان الأدوار التي لعبتها قيادة تيار شهيد المحراب بدءا من السيد محسن الحكيم "رض" مروراً بشهيد المحراب و عزيز العراق قدس سرهما الشريف وانتهاءً بالجهود الوطنية التي يبذلها سماحة السيد عمار الحكيم ومواقفه في هذا الشأن.

أما الفصل الثاني فتضمن عرضا موجزا لتاريخ العراق القديم والحديث، فتحدثنا عن عراقه وأصالته وامتيازات موقعه الجغرافي وعمق التاريخ والتأثير الحضاري للبلاد، التي شهدت ولادة التاريخ الإنساني من بين ربوعها، عبر حضارات وادي الرافدين، الحضارة السومرية، الحضارة البابلية، الحضارة الآشورية. وكان لا بد لنا من الحديث عن سمات ومميزات المجتمع العراقي عبر هذا التاريخ المديد، ومن بين ذلك أنه كان بلد الأديان والمذاهب والمقدسات الذي امتازت ديموغرافيا السكان فيه بالتنوع والتعايش.

وفي الفصل الثالث تناولنا قضية التنشئة الوطنية، فأوضحنا تعريف مفهومها

ومقوماته وشروطه، ودور المؤسسات بدءاً من الأسرة اللبنة الأساسية في المجتمع مروراً بدور وسائل الإعلام ومؤسسات المجتمع المدني ودور المؤسسات الحكومية، وانتهاءً بدور النخب المثقفة، مع بيان أهداف التنشئة الوطنية التي يتم السعي إلى تحقيقها.

أما الفصل الرابع والأخير فقد خصصنا الحديث فيه عن المحافظات العراقية، وهي مسألة أساسية إن أردنا بناء ثقافة وطنية صحيحة، إذ لا بد من أن يحيط شبابنا اليوم بصورة عامة عن محافظات بلادهم وأقصيتها، ويتعرفوا على خصائصها العامة الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية بما يعزز من روحية الانتماء الوطني لديهم، فالوطن هو هذه المحافظات التي تتنوع وتتعايش المكونات القومية و الدينية والطائفية في أغلبها، حيث لا تكاد محافظة من محافظتنا الحبيبة أن تكون مغلقة على لون أو طائفة واحدة، كما أن تاريخها هو جزء من تاريخ العراق الأصيل و لا توجد محافظة عراقية خالية من هذا الامتداد التاريخي، ففي كل محافظة عشرات بل مئات المواقع الأثرية والتاريخية التي تدل على عمقها وأصالتها.

وفي الختام نتمنى أن يكون الكتاب إضافة مجدية في سبيل تعزيز الثقافة الوطنية وترسيخها، بما ينسجم وأهداف تيار شهيد المحراب وما يتطلع إليه العراقيون جميعاً من ترسيخ قيم الوطنية الحققة في النفوس ولاسيما النشء الجديد الذي يراهن عليه في بناء غد أفضل ومشرق لعراقنا العظيم، والله ولي التوفيق.





مصطلحات أساسية

تعريف الوطن
تعريف الوطنية
تعريف المواطنة

ترد كثيرا ثلاث مفردات تتعلق بموضوع الوطن، ولكل واحدة من هذه المفردات دلالة مختلفة عن الأخرى، وسنعرض هنا لتعريف كل واحدة منها.

أولا/ تعريف الوطن:

الوطن في اللغة العربية هو المكان الذي يكون محلا لسكن الإنسان والإقامة فيه، ولا يتحدد بمساحة جغرافية معينة، سواء كانت صغيرة كالقرية و مكان سكن القبيلة والعشيرة، أو كانت مساحة جغرافية أوسع كالبلد والمدينة والقطر وغير ذلك. و في الاصطلاح الفقهي فإن الوطن هو المحل الذي يقيم فيه الشخص، سواء ولد فيه أم لم يولد، وهو يمكن أن يتعدد فيصبح للشخص أكثر من وطن في وقت واحد إن نوى الإقامة في كل منها لمدة طويلة كثلاثة أشهر في العام على سبيل المثال، ولهذا فبمجرد أن يخرج من وطنه وينوي عدم العودة إليه لا يوصف المكان بعدها بأنه وطن له إلا إذا تجددت النية في العودة إليه والإقامة فيه، ولهذه التفاصيل وغيرها أهمية لدى الفقهاء في تحديد الأحكام الشرعية المتعلقة بالصلاة والصوم¹. أما في الاصطلاح السياسي وما بات متعارفا عن الوطن والأوطان فإن الوطن هنا يعرف على أساس الانتماء إلى الأرض ووجود روابط ثقافية واجتماعية وفكرية وسياسية بين الفرد والأفراد الآخرين الذين يعيشون على الرقعة الجغرافية المحددة نفسها وتجمعهم ذات الروابط المشتركة بين جميع أفراد الأمة، وهذا ما يجعل الإنسان يشعر بارتباطه بها وانتهائه إليها، و تؤلف هذه الروابط هوية نسميها بالهوية الوطنية، والتي يشعر الإنسان من خلالها بالانتماء إلى وطنه والاندماج معه كجزء من وجوده المميز، فيخلص له ويوفيه حقه من عاطفته وفكره، ويدافع عنه بوجه ما يتهدده من أخطار وتحديات. وفي الفكر السياسي المعاصر فإن الوطن يتألف من ثلاثة عناصر مهمة هي²: الأرض: وتعني السيادة على منطقة جغرافية (إقليم جغرافي) معين. فبدون

1 - ينظر: الإمام السيد محسن الحكيم: مستمسك العروة الوثقى، ج8- ص103 وما بعدها.

2 - د. أحمد زكي بدوي: معجم المصطلحات السياسية الدولية. ص91.

3 - د. توفيق السيف: الوطن - الهوية الوطنية - المواطنة، بحث منشور، مركز آفاق للدراسات والبحوث، تاريخ النشر، 9/7/2011م

وجود هذه الأرض لا معنى لوجود الوطن.

العقد الاجتماعي: أي قانون عام أو دستور يعبر عن إرادة الجميع ممن يعيشون على تلك الأرض، ويكفل لهم وجود نظام سياسي وإداري يلزمهم بواجبات ومسؤوليات محددة، وعلى كل فرد سواء في السلطة أو خارجها كمواطن عادي الالتزام بمقررات ذلك العقد.

المشاركة الفاعلة: وهي أن يكون لكل فرد (مواطن) حق ثابت ودور في صناعة القرار وتسيير الشؤون العامة، سواء كان ذلك بصفة مباشرة، كالسياسي المنتخب مثلا، أو غير مباشرة كالناخب الذي يختار ذلك المرشح ويوصله إلى موقع المسؤولية وفقا لجملة من الشروط والقناعات.

وعليه يمكن لنا تعريف الوطن على ضوء المفاهيم الحديثة بأنه: الأرض التي ننتمي إليها ونشعر بأنها جزء لا يتجزأ من وجودنا، ولنا فيها حقوق ثابتة وعلينا التزامات محددة تجاهها، ونمارس فيها دورنا الفاعل في بناء الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تصب في صالح المجتمع ككل.

ثانيا/ تعريف الوطنية

تُعرّف الوطنية بأنها الشعور العاطفي للفرد بارتباطه ببيئة معينة، أي شعور الارتباط بشعب أو جماعة معينة، ولكننا نرى ضرورة تعريفها ببعدها العملي لا الشعوري أو النفسي، فنقول: إن الوطنية هي السلوك الذي يقرره الشعور الحقيقي بالانتماء إلى الوطن الذي عرفناه سابقا. ومعنى ذلك أن شعور الإنسان بالانتماء إلى وطنه يملئ عليه سلوكيات ومواقف معينة كغيره مما نؤمن به في هذه الحياة، فلا يمكن أن نفصل بين واقع ما نؤمن به من أفكار ونحمله من مشاعر وأحاسيس من جهة، وبين مواقفنا وسلوكياتنا على الأرض من جهة أخرى. والوطنية بما أنها حالة شعورية فهي تحمل جانبا عاطفيا حيث تعكس تعلق الإنسان بوطنه وحبه له فيغلب مصالحه المادية والاعتبارية على مصلحته الذاتية، وتصل به حالة التعلق والانشداد إلى الوطن بأن يدافع عنه بكل ما هو غالٍ ونفيس، ولهذا فقد

4 - إسماعيل عبد الفتاح، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، ص 489

عرفها بعض الدارسين انطلاقاً من المبادئ الإسلامية كونها: محبة الفرد لوطنه وبلده وقيامه بواجباته المشروعة ووفائه بها وتقوية الرابطة بين أبناء البلد الواحد وإرشادهم إلى طريق استخدام هذه التقوية في مصالحهم.

ولهذا قد يقف الإنسان موقفاً معيناً فيوصف أحياناً بأنه موقف وطني وقد لا يوصف بذلك فيقال عنه بأنه موقف غير وطني، والمعيار في ذلك هو: أن الموقف الوطني موقف نابع من أصالة الانتماء والشعور بالهوية الوطنية والإخلاص لها، فيأتي هذا الموقف بناءً على تلك المقدمة الراسخة في وجدان صاحبه.

أن الموقف الوطني يأتي في سياق المصالح العليا والعامّة للجميع بعيداً عن قصر النظر على فئة أو جماعة معينة داخل الوطن نفسه، بل يراعي الموقف الوطني مصالح جميع المنتمين إلى الوطن.

أن الموقف الوطني غالباً ما ينبذ المصالح الشخصية للإنسان أو المصالح الفئوية لجماعة معينة، سواء كانت جماعة سياسية أو مجتمعية، ويراعي كما أسلفنا في النقطة السابقة مصالح الجميع، وعليه فإنه في أغلب الأحيان لا يمكن الجمع بين المصالح الشخصية والمصالح الوطنية. ويكون حضور المصلحة الشخصية والفئوية مظنة في انتفاء الدافع الوطني.

ثالثاً/ تعريف المواطنة

من المصطلحات والمفاهيم التي عُرِفَت في العصر الحديث وشاع استخدامها بكثرة هو مفهوم (المواطنة)، وبرغم أن الإسلام لم يستخدم هذا المصطلح إلا أن مفهومه ودلالته كانت حاضرة، ونرى لها مصاديق واضحة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

والمواطنة في فكر تيار شهيد المحراب مفردة أساسية درجت في أدبيات التيار وخطب وكلمات قادته، وذلك أمر طبيعي نتيجة لتبني رؤية الإسلام وتعاليم أهل البيت وتاريخهم عليهم السلام وإيمان التيار بالوطن العراقي أرضاً وشعباً وتاريخاً وثقافة، حيث نجد الكلمة الخالدة والوصية الإنسانية الماثلة أمامنا لأمر

5 - د. سلوى المحمادي: مفهوم الوطنية والتأصيل الشرعي، ص 7.

المؤمنين عليه السلام وهو يصف المجتمع الإنساني المبني على قيمتي العقيدة والإنسانية، بالقول: (الناس صنفان، إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)، وهذا ما يحدد الانتماء إلى الجماعة الصالحة بتعبير السيد شهيد المحراب قدس سره، وهي المواطنة بالتعبير والمصطلح السياسي والدستوري، وتعني المواطنة مبدئياً الانتماء إلى الوطن، أي صفة الإنسان الذي ينتمي إلى دولة معينة ويحمل جنسيتها ويكون ملزماً بتطبيق قوانينها في حين له جملة من الحقوق التي يشترك بها مع غيره من المواطنين في تلك الدولة، إلا أنها باتت تركز في تعريفها على الحقوق والالتزامات المتقابلة بين الدولة والمواطن، فالمواطنة تكسب الإنسان حقوق المشاركة السياسية وحق العيش بمستوى حياتي لائق يحفظ له كرامته وهويته، ويكون ملزماً بتأدية ما عليه من واجبات إزاء اكتسابه لهذه الحقوق⁶، يقول سماحة السيد عمار: (فعلى أساس المواطنة تترتب للناس حقوق متكافئة مهما اختلفوا في الإمكانيات المادية أو وجهات النظر السياسية أو تبني قضية من عدم تبنيها إلى غير ذلك)⁷.

الوطن في الرؤية الإسلامية

تعلق الإنسان منذ عصوره الغابرة بالمكان الذي ولد ونشأ فيه، ومارس حياته متفاعلاً مع الآخرين على تلك الرقعة التي قد يضطر إلى تركها سعياً وراء تلبية احتياجاته الطبيعية، حتى وإن كانت تلك الأرض مجرد كئبان من الرمال وسط الصحراء، ولهذا نظر بعض علماء الاجتماع إلى أن حب الوطن أقرب إلى فطرة مغروسة في الإنسان من الصعب مقاومتها وإلغاء تأثيراتها وحضورها، وانطلاقاً من هذه الحقيقة كان «الوطن» - وهو اسم يطلق على المكان الذي يقيم فيه المرء لمدة تكفي لنشوء تلك العلاقة القوية الراسخة في الوجدان الإنساني - حاضراً في الرؤية الإسلامية، فنلمس بوضوح طبيعة علاقة الإنسان بموطنه وشكل المعاناة القاسية في حال اضطرت الظروف القاهرة إلى الهجرة عنه، وفي القرآن الكريم يمكن العثور على ثلاث قضايا رئيسة تتصل بهذه العلاقة، وهي:

6 - ينظر: سامح فوزي: المواطنة، مركز القاهرة للدراسات، الطبعة الأولى، 2007م، الفصل الأول: معنى المواطنة.

7 - السيد عمار الحكيم، بتاريخ 16/3/2011

شدة التعلق بالوطن
قسوة النفي والاعتراب
العلاقة بين سكان الأوطان المختلفة
أولا/ شدة التعلق بالوطن

لم يرد لفظ (الوطن) بهذه الصيغة في القرآن الكريم، نعم جاءت لفظة (مَوَاطِن) وهي تعني مواقع أو مشاهد الحرب، كما في قوله تعالى: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ)^٨. ولكن القرآن استخدم مفردة (الديار) بمعنى الأوطان أي الأماكن التي يقيم فيها ويقطنها الإنسان، و توضح بعض الآيات القرآنية شدة تعلق الإنسان بموطنه (دياره)، يقول تعالى: (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ)^٩، حيث نرى أن الآية المباركة جعلت الخروج من الديار بدرجة قتل الإنسان لنفسه، أي أن كليهما- الوطن والروح- في مرتبة واحدة^{١٠}، إن اقتران البعد والإخراج القسري من الوطن بالقتل والقتال يتكرر في القرآن الكريم، كما في قوله سبحانه: (إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ)^{١١}، والواقع أن القرآن يقرر حقيقة تعلق الإنسان بوطنه بما يعنيه من وجود الأهل والأقرباء وعلاقات الإنسان بمن حوله من الناس والأشياء، قال تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ)^{١٢}، وفي الآية الكريمة نلاحظ بشكل جلي أنها تعدد مزايا الوطن حيث الأهل والأحبة والعشيرة، وهي حين تقرر هذه الحقيقة لا تصادرها ولا تحرمها، بل تشترط أن يكون الحب لله ورسوله والجهاد في سبيله أشد وأقوى من حب الإنسان لوطنه، لاسيما في مثل تلك الظروف التي كان الإسلام يعيشها في بداية الدعوة و انتقال النبي «ص» إلى المدينة، التي أصبحت الوطن الجديد للمسلمين آنذاك، مع ذكر حقيقة

8 - التوبة- 25

9 - النساء- 6

10 - تفسير الأمثل، ج10- ص22

11 - الممتحنة- 9

12 - التوبة- 24

تاريخية أن العرب كانوا من أكثر الأمم تعلقا بمواطنهم وأماكن إقامتهم، حتى إن العربي كان حين يسافر أو يضطر إلى ترك بلده يحمل معه صرة فيها شيء من تراب بلده يستنشقه أثناء سفره اعتزازا بأرضه وتسلية لنفسه من الإحساس بمشاعر الغربة والبعد.

ثانيا/ قسوة النفي والاعتراب

قلنا إن القرآن الكريم يقرن بين القتل والإخراج من الوطن، أي النفي، و هذا الاقتران يعطي دلالة على مقدار الألم الذي يتعرض له الإنسان حين ينفي من بلده فكأنه يحاكي فعل القتل، بل إن أصل كلمة (النفي) في اللغة العربية تعني الإهلاك بالإعدام ومنه النفاية لردية المتاع^(١٣). ونرى هنا قوله عز وجل: (فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ)^{١٤}، حيث عطف الإيذاء في سبيل الله على الإخراج من الديار وفي هذا دلالة واضحة على خصوصية ما يواجهه الإنسان عند خروجه من وطنه وأنه نمط خاص ومؤثر من الأذى يتحمل فيه المرء ألما ومشقة كبيرتين. وهو أمر لا يذم عليه الإنسان فهو شيء ثابت في فطرته وسجيته ولا يؤاخذه أحد على تعلقه بموطنه وشوقه إليه في حال خرج أو أُخرج منه، ونرى ذلك جليا في سيرة النبي صلى الله عليه وآله، فعن مقاتل بن سليمان إن النبي صلى الله عليه وآله هاجر إلى المدينة فلما نزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق إلى مكة فاشتاق إلى مكة وذكر مولده ومولد آبائه فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال: أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ فقال: نعم فقال جبرائيل عليه السلام: فإن الله عز وجل يقول: إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد، يعنى لرادك إلى مكة ظاهرا عليها، وقال رجل من بنى زهرة: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على راحلته بالخرابة، وهو يقول لمكة: والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إليّ ولولا أنني أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ^{١٥}.

13 - مجمع البيان للطبرسي، ج3، ص289

14 - آل عمران - 195

15 - روضة الواعظين للنيسابوري، ص406

وهناك الكثير من الأحاديث التي حفلت بها كتب السيرة والحديث عن النبي صلى الله عليه وآله، وهي تتفق في مضمونها الذي يؤكد ما كان عليه الرسول صلوات الله عليه وسلامه من شوق وحب لموطنه ومسقط رأسه ومقام أهله وعشيرته في مكة ، فقد قال «ص» وهو يتأهب للخروج منها مضطرا بفعل ما لحق به من أذى المشركين: (اللهم إنهم أخرجوني من أحب البقاع إليّ فاسكني أحب البقاع إليّ)^{١٦}، وروي عنه أيضا في مكة: (ما أطيبك من بلد و أحبك إليّ و لولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك)^{١٧}. كما ورد عنه صلى الله عليه وآله حين قدومه إلى المدينة أنه قاله: (اللهم حبّب إلينا المدينة كما حبّبت إلينا مكة أو أشد، وبارك في صاعها ومدّها)^{١٨}.

ثالثا/ العلاقة بين سكان الأوطان المختلفة

إن العلاقة بين الإنسان وأخيه من منظور الإسلام الحنيف علاقة قائمة على أساسين أو بعدين، البعد العقدي والعبد الإنساني. وقد أكد الإسلام أن رسالته رسالة إنسانية شاملة عامة، فهو ليس مقصورا على فئة أو أمة دون غيرها، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)^{١٩}. وقال سبحانه: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)^{٢٠}. وسعة هذه الرسالة وطبيعتها من حيث كونها رسالة رحمة ومحبة وإشاعة لقيم الإخاء والسلام تستلزم أن تكون الرؤية الإسلامية في العلاقة بين الناس قائمة على هذه المفردات والقيم وهو ما يقره الفهم السليم، فإما أن يكون الإنسان أخا الإنسان لرابطة الإيمان الجماعية بينهما، قال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)^{٢١}. وإما أن تكون مبنية على منطلق إنساني عام، حيث تسود العلاقات الطيبة حتى مع أولئك الذين لم

16 - عوالي اللآلي ، ج 1-ص132

17 - المصدر السابق، ج 1-ص 70 ومستدرك الوسائل ج 10-ص 141

18 - وسائل الشيعة ج 10- ص 273

19 - الأنبياء 107

20 - سبأ 28

21 - آل عمران 103

يؤمنوا برسالة الإسلام، قال تعالى: (لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)^{٢٢}. ونلاحظ في هذه الآية الكريمة أن شرط هذه العلاقة هو عدم الاعتداء بإحدى الصيغتين الوارديتين: القتال والإخراج من الديار، والقرآن الكريم يستخدم مفردة (الديار) التي تتشعب دلالة (الوطن) في استخدامنا المعاصر كما أوضحنا ذلك آنفا. وهذا يعني أن العلاقة بين أصحاب الأوطان المختلفة يجب أن يسودها السلام و الاحترام المتبادل، وقد نرى في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)^{٢٣}، تأكيداً على هذه العلاقة والغاية من وجود أمم وشعوب مختلفة، إذ ورد في بعض الروايات والتفسير ما يفيد بأن المقصود من الشعوب هي الأمم القومية فلفظة العجم تطلق على كل من هو غير عربي، وأما المقصود من القبائل فهم العرب، ففي تفسير على بن إبراهيم، المعروف بتفسير القمي، قال: الشعوب العجم، والقبائل العرب، وقوله: « إن أكرمكم عند الله اتقاكم » هو رد على من يفتخر بالأحساب والأنساب^{٢٤}. كما جاء في مجمع البيان منسوبا إلى الإمام الصادق، وفيه قال: قال أبو عبيدة الشعوب العجم وأصله من التشعب، وهو كثرة تفرقهم في النسب^{٢٥}. والمهم في كل ذلك أن معنى الشعب لا يتحدد فقط بدلالته على جماعة بشرية أو جزء من جماعة أكبر، بل ويدل على المكان الذي تسكنه تلك الجماعة وتوطن فيه، وربما تساعد على فهمه بهذه الصورة الدلالة اللغوية للشعب وهو الحي العظيم، فمن المعلوم أن العرب كانوا ينتشرون في أرجاء الجزيرة، وأما غير العرب "العجم" فلهم مناطق محددة جغرافيا خارج الجزيرة العربية، وفي تفسير التبيان ورد أن الشعوب النسب الأبعد والقبائل النسب الأقرب^{٢٦}، وبهذا يقترب مفهوم الشعوب الوارد في الآية المباركة من دلالاته المعاصرة التي تعني جماعة من البشر تسكن في إقليم جغرافي معين. وكان الآية الكريمة تشير إلى عاملي الجغرافيا

22 - الممتحنة 8

23 - الحجرات 13

24 - تفسير القمي ج 2 - 322

25 - مجمع البيان للطبرسي ج 9 - ص 201

26 - التبيان في تفسير القرآن للطوسي، ج 9 - ص 341

من خلال (شعوبا)، وعامل الديموغرافيا من خلال (قبائل)، ليتكامل لدينا معنى الشعب الذي ينتمي إلى موطن محدد، وقد التفت بعض المفسرين إلى ذلك جاعلين الشعوب إشارة إلى انتساب الناس إلى المناطق الجغرافية، والقبائل إشارة إلى انتسابهم إلى العرق والدم^{٢٧}. وأن الغاية من هذه التعددية الطبيعية التي أوجدها الله تعالى هو أن تتعارف الشعوب فيما بينها، والتعارف يعني التواصل والتعاون والتلاحق الفكري والثقافي وسيادة العلاقات النبيلة والقيم الفاضلة، التي تسهم في استقرار المجتمع الإنساني، وتبادل المنافع والمصالح بين أفرادها وجماعاته.

الوطنية ومفهوم الأمة

قد يرى البعض أن ثمة تنافرا بين مفهومي الوطنية والأمة، وقبل أن نوضح عدم وجود مثل هذا التقاطع الحاد، لا بد أن نشير وكما سبق لنا ذلك، إلى أن الإسلام الحنيف دين عالمي لا يعترف بالحواجز والموانع بكل أشكالها من قومية وعرق وجنس ولون وغير ذلك، وقد ورد تأكيد هذه الحقيقة في عدة آيات قرآنية، فضلا عن السنة المطهرة، ويتبين ذلك عبر:-

إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ هُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ بِحَسَبِ صَرِيحِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قَالَ تَعَالَى: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)^{٢٨}.

إن المسلمين هم خير أمة بين الأمم السالفة ومن سماتهم المميزة هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)^{٢٩}. ويفسر صاحب الميزان رحمه الله هذه الآية بالقول: (إنكم معاشر أمة الإسلام كنتم في أول ما تكونتم وظهرتم للناس خير أمة ظهرت لكونكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتعتصمون بحبل الله متفقين متحدين كنفس واحدة)^{٣٠}.

27 - يُنظَر تَفْسِيرِ الْأُمَّةِ ج 16 - ص 561.

28 - الْأَنْبِيَاءُ 92

29 - آل عمران 110

30 - تَفْسِيرِ الْمِيزَانِ لِلْسَيِّدِ الطَّبْاطِبَائِيِّ، ج 3 - ص 205

إن الله لا يفرق بين عباده على أساس الجنس والعنصر واللون، فلا فرق بين ذكر وأنثى ولا عربي وأعجمي ولا أسود وأبيض ولا غني وفقير، ولا سائر التمايزات الظاهرية، إنما بناءً على التقوى، قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)^{٣١}. وفي السنة المطهرة نصوص عديدة تؤكد هذا المعنى كقوله صلى الله عليه وآله: (إن الله تبارك و تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم و أعمالكم)^{٣٢}.

إن المسلمين جميعاً تربطهم رابطة الإخوة الدينية، وإنهم كيان واحد متماسك، قال تعالى: (وَاذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)^{٣٣}. وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد، إن اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده)^{٣٤}. كما ورد عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)^{٣٥}، ولتأكيد هذه الحقيقة قال صلى الله عليه وآله: (من أصبح ولا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)^{٣٦}. وغيرها من الأحاديث الواضحة في تثبيت قوة العلاقة ورسوخها بين المسلمين ككيان واحد أينما كانوا، بغض النظر عن الاختلافات الأخرى، سواء كانت اختلافات تعود إلى الأشخاص كالعرق واللون والجنس، أو إلى الجماعات كالقبايل والأوطان والحدود السياسية التي ظهرت في العصور المتأخرة.

مشروعية حب الوطن والإخلاص للوطنية

إن هذه النقاط أو المحاور أعلاه هي التي تؤسس وتشكل لنا مفهوم الأمة

-
- 31 - الحجرات 13
 32 - بحار الأنوار، ج 74 - ص 88
 33 - آل عمران 103
 34 - بحار الأنوار، ج 58 - ص 148
 35 - ميزان الحكمة، ج 4 - ص 93
 36 - وسائل الشيعة، ج 12 - ص 383

في الرؤية الإسلامية، بمعنى وجود الشعور الحقيقي بانتماء الفرد المسلم إلى هويته الإسلامية، وإحساسه العميق بمسؤولية هذا الانتماء، وأنه شعور وإحساس تمليه ضرورة الإيمان بالله تعالى وبرسالته وتعاليمه، فنرى الفرد معتزاً بهويته مستشعراً لمسؤوليته تجاه غيره من إخوته، مهتماً بشؤونهم وأحوالهم، ومثل هذه الالتزامات في أبعادها النفسية والأخلاقية والسلوكية لا تتنافى مع التزاماته في تلك الأبعاد ذاتها تجاه وطنه، وهنا نتلمس مشروعية حب الوطن والشعور بالانتماء إليه والإخلاص في سبيله، وذلك من خلال ما يلي:

إن النقاط الأربع السابقة التي تؤصل لمفهوم الأمة هي ذاتها التي تؤصل لمفهوم الوطن، لأن لها أن تؤطر الحالة الوطنية نفسها، فالوطن غالباً في عالمنا الإسلامي هو صورة مصغرة عن الأمة، حيث تجد مصداقها في أية رقعة جغرافية محددة يرتبط أبناؤها فيما بينهم بروابط مشتركة كالدين والثقافة والقيم الاجتماعية والتاريخ والموروثات المختلفة. فلو راجعنا النقاط أعلاه لوجدناها تصدق على الوطن تماماً، صحيح أن مفهوم الأمة اكتسب بعداً عقائدياً يحمل دلالة توحيد المسلمين مقابل البعد الوضعي الحديث لمفهوم الوطنية، ولكن باحثي التيار الإسلامي أنفسهم مالوا خلال العقود الأخيرة إلى الدراسة والتركيز على معطيات تاريخية إسلامية جديدة كوثيقة المدينة التي كانت تمثل نموذجاً واضحاً لتأكيد مبدأ المواطنة، حيث تقرر الوثيقة إقامة مجتمع تعاقدى بين المسلمين وغير المسلمين³⁷.

إن الانتماء إلى الوطن والاعتزاز به والحنين إليه لا يعني إلغاءً لجانب الشعور بأن المرء جزء من أمة أوسع، وأن اهتمامه بكل جزء يعادل اهتمامه وشعوره بأي جزء آخر منها، كما أن العكس صحيح أيضاً. وقد مرت بنا تلك الروايات التي صوّرت حنين وتعلق الرسول الكريم بمسقط رأسه وموطنه في مكة، فحين تكون مكة أحب البقاع وهي أطيب الأماكن للنبي صلى الله عليه وآله، وحين يظهر اشتياقه ومحبته وحنينه لها فلا يعني ذلك بطبيعة الحال ذماً للمدينة، وهي التي آوته

37 - المواطنة والدولة، مقاربات واتجاهات، مجموعة باحثين، منتدى الفكر، الطبعة الأولى، 2010، ص 122

ونصرته وأقام فيها حكم الرسالة الإسلامية وباتت عاصمة الإسلام آنذاك. وعليه فالعلاقتان غير متعارضتين مطلقا، بل يكادان أن يكونا متكاملتين، فلا معنى للولاء والتعلق بالكل دون التعلق بالجزء. فالوطن جزء من الأمة الإسلامية على تعدد بلدانها وأوطانها، وليس أدل على ذلك مما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله من حنينه المستمر إلى مكة كما أشرنا، والذي كان يعكس بوضوح مشاعر الاغتراب عن الوطن التي كان يعاني منها النبي «ص» رغم إقامته في المدينة وكونها هي مقر سلطته، وكذا كان حال الصحابة أيضا كما يصفهم الإمام زين العابدين، حيث قال عليه السلام: (فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك، وبما حاشوا الخلق عليك، وكانوا مع رسولك دعاة لك إليك، واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم)³⁸.

إن استقراء ودراسة المرحلة التاريخية للنبي «ص» في المدينة المنورة تظهر بوضوح أنه حاول صلى الله عليه وآله أن يرسي دعائم ما نسميه اليوم بالهوية الوطنية بقدر إرساء مفهوم الأمة وفق فهمنا المعاصر. حيث بدأ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار من المسلمين، جاعلا للمدينة حدودا سياسية، ثم أقام روابط التعايش والإخاء مع أهل الكتاب، فأحلّ الله طعامهم وزواجهم، قال تعالى: (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ)³⁹. وبعدها وقّع حلفا سياسيا مع اليهود يوازي اليوم مصطلح الاتفاق الوطني، التزمت فيه القبائل اليهودية القاطنة في المدينة وما جاورها بمواجهة الأعداء الخارجيين، والمشاركة في المجهود الحربي، وتحمل بعض التكاليف المادية للاعتداءات الخارجية، والامتثال للقوانين المعمول بها في المدينة وهي قوانين الشريعة الإسلامية. فكأنه انطلق والحال هذه من بناء الوطن صوب بناء الأمة.

إن الرؤية الإسلامية قائمة على التوازن في كل شيء، ولهذا فمن غير الملائم

38 - الصحيفة السجادية، ص 40

39 - المائدة 5

أن يكون ثمة تغليب لمصالح الأبعدين على حساب الأقربين والإضرار بهم، وقد سئل الإمام علي بن الحسين عليه السلام عن العصبية؟ فقال: (العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم)^{٤٠}. وهذا الحديث يوضح مشروعية انحياز الإنسان لأبناء جلدته ووطنه، ولكن بشرط أن لا يصل ذلك إلى حدود الإعانة على ظلم الآخرين.

راعى الإسلام حقائق الحياة والفطرة و رغبات الإنسان الأصيلة التي لا تتعارض مع أهداف ومبانيات الرسالة السماوية، و انجذاب المرء إلى موطنه ومجتمعه وبيئته وحبها لها يكاد كما أسلفنا يكون أمرا فطريا فيه، بل هو كذلك برأي علماء الاجتماع، و قد قيل إن الإسلام دين الفطرة، بمعنى أنه يتماشى مع فطرة الإنسان وما زرع في داخله منذ خلقه وقبل ما تمليه عليه التنشئة والتربية. ومن هنا لا يمكن أن نتصور إلا أن يكون موقف الإسلام من هذه القضية، أي الانتماء للوطن والاعتزاز بحبه والتعلق به، موقفا إيجابيا تماما. وقد رأينا مشروعية حب الأرض في الأحاديث التي سبق إيرادها عن النبي صلى الله عليه وآله، وفي هذا السياق نفسه ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في مدح العراق قوله: (تربة تحبنا ونحبها، اللهم ارم من رماها وعاد من عادها)^{٤١}، وفيه يعبر الإمام عن حبه لأرض العراق، بل ويدعو ضد أعدائها كما هو واضح دون أن يحدد بصفة معينة سوى معاداتهم لها. كما ورد عن النبي «ص»: (حب الوطن من الإيمان)^{٤٢}.

إن العديد من الأحكام والمواقف الشرعية بخصوص قضايا مختلفة في حياة الإنسان ترتبها بمدى ما تحفل به النتائج من حكمة و من أهداف يقرها العقل والمنطق، وما تمليه المتغيرات العامة والمتنوعة، وحب الوطن مدعاة للنهوض بالمجتمعات وبنائها، فمن المفروغ منه أن اهتمام الإنسان بالمكان الذي يعيش فيه وينتمي إليه عاطفة وتاريخا وتقاليد وغيرها هو اهتمام لا ينافس بحال من الأحوال اهتمامه بالأماكن الأخرى، ولهذا روي عن أمير المؤمنين عليه السلام

40 - الكافي، ج2- ص308

41 - بحار الأنوار، ج57- ص210

42 - ميزان الحكمة، ج4- ص3566

قوله: (عَمَّرْتُ البلدان بحب الأوطان)^{٣٤}، والتعمير هنا يأخذ اتجاهين الأول التعمير الحقيقي الذي يعني بناء البلد واستثمار موارده لخير أبنائه، والثاني هو الدفاع عنه بوجه التهديدات الخارجية التي تطرأ في وقت ما. ولهذا يبذو الانشداد إلى أرض الوطن وشعبه سببا في إبقاء البلدان عامرة وإلا اختلت المعادلة لاسيما في وضعنا المعاصر، حيث الحدود السياسية والأنظمة المختلفة التي تحكم كل بلد أو دولة. وقد أشار أمير المؤمنين إلى هذا العامل المهم، واستثمره في حياته أثناء خلافته عليه السلام في الكوفة، فكان يخاطب الناس بأهل العراق، ومن ذلك ما قاله في إحدى خطبه عليه السلام: (وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة)^{٣٥}،

إن الإسلام دين مرن بعيد عن الجمود والتحجر، وهو يناسب كل زمان ومكان، ومن المعلوم أن العالم خلال القرون الأخيرة يعيش حالة الارتباط بالحدود السياسية، وأن كل قوم وأمة ينشدون إلى بلدهم ودولتهم بحدودها ومجتمعها ونظامها، وكل ما يتوفر عليه ذلك من مظاهر وقضايا مختلفة تؤثر مباشرة في أدق تفاصيل حياة الإنسان، ويجزم العقلاء بأنه لا بد من مسaire الثوابت التي تقوم على أساسها حياتنا اليوم، خاصة إذا ما كان من المستحيل التكرار لشيء منها، والدول والبلدان هي حقيقة ثابتة في عالمنا المعاصر، ولهذا لا مجال لإنكارها والتعالي عليها، وكما قلنا سابقا أن الانتماء للوطن لا يتعارض مع الشعور بانتماء المرء إلى الأمة انتماء عقائديا، فمحددات كل منهما واحدة، ومبررات الشعور بالانتماء كواجب يمليه الدين الحنيف هي ذاتها في كليهما. فالإطار العام الذي يحكم علاقة الفرد أو الجماعة بالأمة وبالوطن هي الشعور بالمسؤولية الدينية والأخلاقية وعليه فهما لا يتعارضان أبدا، بل إن مثل هذا التعارض يعد منحى سلبيا لأن نتائجه الضارة عديدة في مقابل الإيجابيات التي يمكن أن تنتج عنه.

تمثل المرجعية الدينية امتدادا لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وأننا جميعا كمكلفين علينا الرجوع والعودة إليها في معرفة أحكام الدين و فهم القضايا

43 - بحار الأنوار، ج 75 - ص 45

44 - نهج البلاغة، ج 3 - ص 11

المهمة التي تواجهنا، وكذلك معرفة الموقف السليم تجاهها، و لا يخفى أن الخطاب المرجعي و فتاوى المرجعية تصب في خانة الوطنية جلية واضحة دون لبس ولا غموض. فكثيرا ما دعت إلى تغليب مصالح الوطن ومواطنيه، وأكدت على الهوية الوطنية وضرورة ترسيخها ودعمها، و أن على الجميع الوقوف بوجه التدخلات الخارجية مهما كان نوعها ومهما كانت الحجة المساقاة في هذا الجانب، كما أظهرت حرصا واضحا للغاية على وحدة البلاد واحترام سيادتها، وهو خطاب لا يمكن أن نفهم منه غير الحرص على التعلق بالوطن والإخلاص لأجله ولم تنهج نهجا آخر أوسع دائرة من ذلك.

العراق في أحاديث أهل البيت عليهم السلام

يرد وصف (أهل العراق) في كثير من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام، و كان من الواضح أن هذا الوصف يشمل العراقيين جميعا في أرض السواد، ولا ينحصر بالكوفة أو البصرة مثلا، فكل منهما كان يسمى العراق، فالكوفة والبصرة هما العراقان، لكونهما أكبر حاضرتين آنذاك في هذه المنطقة. في ذات الوقت فإن (أهل الكوفة) يرد في روايات أخرى ولكنه لا ينحصر بمدينة الكوفة كذلك، فالكوفة كانت أشبه بالإقليم الذي تلحق به المدن القريبة الأخرى منه، والتي تسمى اليوم بالفرات الأوسط، صعودا إلى بغداد، و كانت هذه المنطقة تمثل الثقل السكاني الأكبر للعراق في ذلك الوقت.

كما أن من المناسب الإشارة إلى أن الكتابات التاريخية ولاسيما ما بين القرنين الحادي عشر والسادس عشر الميلادي توسعت في وصف العراق ليشمل أجزاء من إيران، فقد استخدم المؤرخون تسمية (عراق العرب) للدلالة على العراق الذي تنحصر مساحته من هيت غربا إلى منطقة الأهواز شرقا، وتسمية (عراق العجم) للدلالة على الأجزاء الغربية من إيران، والتي تشمل مدنا عدة كأصفهان والري وقزوين وكرمنشاه، إن إطلاق وصف (عراق العجم) على أجزاء إيران الغربية يوضح بشكل وافٍ أصالة الهوية العراقية، و ترسخها في الأذهان، إلى درجة أن هذا الوصف يوحى وكأن إيران لم تكن سوى جزء من العراق ولكن يسكنها العجم،

فسميت عراق العجم.

ولأن العراقيين منذ انتقل الإمام علي عليه السلام إلى الكوفة وجعلها عاصمة للخلافة الإسلامية تعلقوا بحب أهل البيت «ع» و تمسكوا بمودتهم وتعرفوا على قدرهم ومنزلتهم، ولأن أهل البيت بدءا من أمير المؤمنين وانتهاء بأخر الأئمة المعصومين (ع) بادلوا العراقيين المشاعر نفسها وامتدحوا فيهم إخلصهم وحبهم لآل بيت النبوة وصرحوا في أحاديث عديدة بتعلقهم وحبهم للعراق والعراقيين - كما ذكرنا بعضها وسيأتي قريبا ذكر روايات أخرى- فإن هذا الواقع لم يرض السلطات الأموية والسائرين في ركابها فيما بعد، ولهذا لم يجدوا سوى محاولة وضع الأحاديث الزائفة ودسها في الكتب التاريخية وترويجها بين العوام، وهي أحاديث تدمم العراق والعراقيين ذما لا مثيل له، و تحمّلهم وزر كل الأعمال الشائنة في التاريخ ماضيا ومستقبلا، فاتّهم العراق بكونه أرض الفتن وقرن الشيطان ومرتع أهل الضلالة و رفض النبي أن يباركه فيما بارك الشام وإلى آخر هذه المزاعم التي تبدو الأغراض السياسية واضحة كل الوضوح من وراء وضعها واختلاقها.

ومما ورد عن الأئمة عليهم السلام نذكر ما جاء عن الإمام الحسن عليه السلام حيث كان شديد التعلق بالعراق والكوفة، فحين اضطر للعودة إلى المدينة بعد الصلح مع معاوية قال:

و لا عن قلى فارقت دار معاشرى

هم المانعون حوزتي و ذماري^{٤٥}.

وعن حنان بن سدير عن أبيه قال: دخلت أنا وأبي وجدي وعمي حماما بالمدينة، فإذا رجل في بيت المسلخ فقال لنا: ممن القوم؟ فقلنا: من أهل العراق فقال: وأي العراق؟ فقلنا: كوفيون فقال: مرحبا بكم يا أهل الكوفة أنتم الشعار دون الدثار، وقد كان ذلك الرجل هو الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام^{٤٦}. وفي هذه الرواية تطالعنا إشارة جديدة كالتى أشرنا إليها في موضع سابق من أن العراقيين آنذاك يعبرون عن انتمائهم إلى العراق عامة وليس إلى منطقة مخصوصة منه

45 - شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد - ج16، ص17.

46 - بحار الأنوار - ج46، ص141

حتى الكوفة أو البصرة التي تسمى كل منهما بالعراق آنذاك.

إن الارتباط يبدو وثيقا وقويا بين العراق وأهل البيت، ونجد ذلك في الروايات الواردة عنهم عليهم السلام، والتعبير فيها عن حقيقة العلاقة الراسخة بين العراقيين و أئمة أهل البيت عليهم السلام من جهة، وعلاقة أهل البيت بالعراق من جهة ثانية، فمما قاله الإمام الصادق: (أهل كوفة أوتادنا وأهل هذا السواد منا ونحن منهم)^{٤٧}. وعنه عليه السلام أنه عندما دخل عليه عبد الله بن الوليد في جمع من أهل العراق، قال لهم: (ممن انتم ؟ قلنا من أهل الكوفة. قال ما من البلدان أكثر محبة لنا من أهل الكوفة لاسيما هذه العصابة، إن الله هداكم لأمر جهله الناس فأحببتمونا وابغضنا الناس وبايعتمونا وخالفنا الناس وصدقتمونا وكذبنا الناس ، فأحياكم الله محيانا وأماتكم مماتنا)^{٤٨}.

ومما ورد أيضا عن أهل البيت «ع» من أحاديث في مدح العراقيين و الثناء عليهم وعلى مواقفهم، ومن ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام يخاطب العراقيين: (أنتم الأنصار على الحق والإخوان في الدين والجنن يوم البأس والباطنة دون الناس)^{٤٩}.

وقال أيضا عليه السلام: (هذه مدينتنا ومحلنا ومقر شيعتنا)^{٥٠}.

ويقصد بالمدينة الكوفة التي كانت تمثل في دلالتها عموم العراق، ويعزز ذلك ورودها في الأحاديث المتعلقة بظهور الإمام المهدي «عج» حيث جاءت دالة على العراق بشكل عام. وعن أمير المؤمنين «ع» عندما دخل عليه عبد الله بن الوليد في جمع من أهل العراق فقال: (حباكم الله عز وجل بما لم يحب به أحداً، ففضل مصلاكم وهو بيت آدم وبيت نوح وبيت إدريس ومصلى إبراهيم الخليل ومصلى أخي الخضر ومصلاي، وإن مسجدكم هذا أحد الأربعة مساجد اختارها الله عز وجل لأهلها)^{٥١}.

47 - المصدر السابق - ج57، ص 214

48 - الأمالي الشيخ الطوسي، ص144

49 - بحار الأنوار، ج65- ص21

50 - المصدر السابق، ج57- ص210

51 - من لا يحضره الفقيه، ج4- ص40

الوطن في فكر تيار شهيد المحراب

لم يحمل تيار شهيد المحراب منذ انطلاقه في منتصف القرن الماضي إلا هموم الوطن العراقي، وتميز فكر هذا التيار بأنه ابن بيئته و ثقافته مجتمعه، و شكل استجابة لضرورات ومعاناة الواقع الداخلي بعيدا عن أية تأثيرات وارتباطات فكرية أو سياسية أو غيرها مع الخارج. فكانت النجف الأشرف منطلقه و موئل أتباعه و ساحة حراكه باتجاه المحافظات العراقية على امتداد رقعة البلاد. وهذا ما وسمه بالأصالة والوطنية، و بالقرب الحميم من هموم الناس وقضاياهم، وما عانوه من اضطهاد وقسوة على يد الأنظمة التي حكمت بعيدا عن إرادة الشعب و تطلعاته. وبمرور الوقت لم يحد هذا التيار عن الطريق الذي اختطه له الإمام المرجع السيد محسن الحكيم «رض»، في التأكيد على قوة الارتباط بالعراق أرضا وشعبا وتاريخا وهوية، وبرغم أن تيار شهيد المحراب هو جزء من تيار الحركة الإسلامية ككل إلا أنه تميز نتيجة لما ذكرناه بخصائص كان من أبرزها:

أنه ركز على البعد الوطني وقضاياها، و وضع سقفا محددًا لأهداف مشروعه تتمثل بإقامة دولة عصرية يتمتع فيها المواطن العراقي بحياة كريمة وحقوق متساوية وفرص متكافئة.

حرص عمليا على تجسيد الوحدة الوطنية وتثبيت الهوية العراقية وأن التنوع القومي والديني حالة إيجابية، ولا بد من التعامل معها على وفق مصالح الجميع دون تهميش وإقصاء، فكان موقفه منذ بدايته موقفا معبرا عما يؤمن به من عراق واحد موحد بعربه وكرده وأقلياته الأخرى.

تعامل بواقعية شديدة مع المتغيرات التي حفلت بها الساحة العراقية، لكونه أقرب إلى الطبقات والشرائح العادية في المجتمع، ولهذا كانت صلته قوية بالعشائر العراقية الأصيلة والشباب و الفقراء ملامسا معاناتهم وهمومهم، كذلك احتلت المرأة مكانتها في هذا الاهتمام، و لم ينح منحى نخبويًا رغم حرصه على إعداد الملاكات و القيادات الحركية الواعية.

كان متوازنا في طرحه و متبنياته كتيار إسلامي يعمل على هدي الرؤية الإسلامية التي تحملها المرجعية، ولهذا كان يرى العراق مرتكزا وجوهرا في الأمة، وليست الأمة قيمة تبتلع قيمة الوطن.

النشأة الوطنية لتيار شهيد المحراب

إن الدواعي التي بعثت على وجود تيار شهيد المحراب كانت وطنية صرفة، كيف لا! ومبادئ التيار مستمدة من فكر وأطروحة السيد محسن الحكيم قدس سره؛ ذلك المجاهد منذ فتوته، فقد كان مشاركا بارزا في الحركة الجهادية لمقاتلة الاحتلال الانكليزي عام ١٩١٤م-١٩١٥م، ومشى طالبا الشهادة في سبيل الدفاع عن وطنه وشعبه مع مواكب المجاهدين إلى الشعبية، ولم يكن الدافع آنذاك إلا دافعا وطنيا انطلاقا من الرؤية الإسلامية، التي توجب الدفاع عن الأرض والعرض والمال، لقد كان الإمام الحكيم «رض» معبأ بالروح الوطنية المثالية، و كان همّه هو همّ العراق الذي كان آنذاك يتعرض لغزو استعماري بريطاني واحتلال عثماني لم يعط للعراقيين سوى الفقر والفاقة والاضطهاد لأغلبية مواطنيه.

إن الخسارة التي مني بها المجاهدون، وهم يحاولون صدّ الاحتلال البريطاني بسبب قلة السلاح ومحدودية الإمكانيات وانهزام الجيش العثماني، ألهمت السيد محسن الحكيم «رض» آفاقا واسعة للتفكير في سبل مواجهة المستقبل وتحدياته، وبرغم الوجع الأليم الذي عانى منه الإمام الحكيم بفعل فقدان أستاذه المجاهد الكبير محمد سعيد الحبوبى قدس سره، إلا أنه سرعان ما أزاح غبار تلك النكبة وراح يواصل بشكل حثيث دراسته العلمية، حتى أصبح في منتصف الثلاثينات من القرن الماضي أحد ابرز الشخصيات الفاضلة في الحوزة العلمية، وبعد عشرة أعوام كان للسيد الإمام مقلدون كثيرون وزاحم اسمه على المرجعية التي انتهت مقاليدها إليه في بداية الستينات. وطوال تلك الفترة وما أعقبها كان الإمام الحكيم مشغولا بقضايا الوطن والساحة الإسلامية، و هو في أساليب معالجة الواقع كان ذا نظرة مستقبلية ثاقبة وشمولية، فتصدى لمحاولات طمس الهوية العراقية وخصائصها الثقافية والاجتماعية، وأعاد للحوزة العلمية ثقلها في داخل المجتمع، و فتح أبواب التواصل مع مختلف الشرائح المجتمعية، وتجلت الأبعاد الوطنية العميقة والأصيلة في مواقفه المشهودة، ومنها رفضه واعتراضه الشديد على المعاهدة العراقية-البريطانية لعدم مراعاتها استقلال ومصالح العراق الكاملة، ومنها رفضه وإدانتته بأقوى وأشد العبارات السياسة الملكية و مصادرتها

لحرية التعبير والتظاهر، حتى إنه أرسل رسالة شديدة اللهجة إلى الملك فيصل أتهم فيها الحكومة بإراقة الدماء البريئة وسلوكها لطريق الإرهاب ضد جميع الطبقات. ولم يكن المرجع الإمام ليفكر بالانتماءات الضيقة والقومية والمناطقية وغيرها، ولهذا نجده يدين ويستنكر ما أقدمت عليه السلطات في الموصل من إصدار أحكام الإعدام بحق المنتفضين ضدها فيما عُرِف بثورة الشواف، فطالب بإلغاء تلك الأحكام وتدخل ببرقيات للمسؤولين بشأن العمل على عدم تنفيذها، وكان من بين المعدومين ضباط بارزون وذوو سمعة وطنية، من بينهم العقيد ناظم الطبقجلي، والذي طلب في وصيته أن يقوم الإمام محسن الحكيم بالصلاة عليه، وإذا ما تعذر ذلك فليقرأ الفاتحة على روحه. ويستمر موقف الحكيم معبرا عن أصالته الوطنية عبر فتوى تحريم المشاركة في قتل الأكراد، وهي الفتوى التي كانت ردا على كل أشكال التطرف القومي والتعصب والتشدد التي شهدتها الساحة آنذاك. كما ويعود للإمام الحكيم الفضل في تبلور سياسة التقريب بين المذاهب الإسلامية، سواء داخل العراق أو خارجه، فقد كان يصر على حضور المناسبات التي يقيمها الأخوة السنة داعيا في المقابل إلى مشاركة أخوتهم الشيعة في مناسباتهم، ولم يكن هذا الانفتاح ضمن الفضاء الوطني ليوقف عند هذا الحد، بل نسج الإمام علاقات ودية وتواصل مع الأقليات الأخرى كالمسيحيين والصابئة، وكانت هناك زيارات لوفود عديدة منهم لمقره في النجف. وقد قال الإمام الحكيم ذات مرة لطاهر يحيى كي يوصل وجهة نظره إلى عبد السلام عارف: «أنا لا أرغب أن أذكر إلا ما فيه صلاح وصالح شعبي على اختلاف أنواعهم ولا فرق عندي بين عربي وكردى وتركمانى فكلهم إخوانى وأولادى أرغب في إسعادهم والمحافظة عليهم بكل ما أوتيت من قوة أو من إمكانية»

ومن هذه المواقف يمكننا أن نستنتج أهم البواعث والأهداف التي تشكل بموجبها وعلى أساسها تيار شهيد المحراب قبل أكثر من خمسين عاما، وقد تمثلت بما يلي:

مقاومة الظلم والتنكيل الذي أدمنت عليه السلطات الدكتاتورية المتعاقبة بحق الشعب العراقي. وأن يحظى هذا الشعب العريق بحقوقه في العيش حياة كريمة

وعزيزة له وللأجيال المقبلة.

الوقوف بوجه كل ما يتعرض له العراقيون سواء من تهديدات داخلية أو خارجية. والدفاع عنه بوجه تلك الأخطار بغض النظر عن انتماءاتهم. حفظ الهوية الوطنية بغناها وتعدديتها، وترسيخ وحدة البلاد، وأن يعيش الجميع في وطنهم من دون تمييز بين قومية وأخرى أو طائفة وغيرها. النهوض بالواقع الخدمي، حيث يجب أن يتمتع الجميع بموارد بلدهم، وقد كان سماحة السيد الإمام مهتما كثيرا بالشرائح الفقيرة والمدقعة، وفتح أبواب المساعدات لهم في النجف وغيرها من المحافظات. بناء الإنسان و وعيه الثقافي والفكري، و من المعروف للقاصي والداني السيد الإمام محسن الحكيم هو صاحب الريادة في نشر الوعي والثقافة الأصيلة من خلال فتح المكتبات العامة والمراكز الثقافية في عموم البلاد. كانت هذه النقاط أعلاه تمثل سماتٍ بقدر ما هي أهداف لتيار شهيد المحراب، و كما يبدو واضحا للعيان أنها تصب في بوتقة واحدة، هي الوطن العراقي من شماله إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه، و قد واصل العمل على هديها و متلمسا طريق إنجازها الصعب والمحاط بالتحديات الجسيمة السيد الشهيد محمد باقر الحكيم، شهيد المحراب الخالد «قدس»، ومع اختلاف الظروف كان لا بد أن تستجد تبعاً لها الآليات والأساليب، ولكن تنوع تلك الآليات و طرق الوصول إلى تحقيق الأهداف لم يكن ليغير من حقيقة الأهداف الوطنية والرسالية التي ناضل ويناضل لأجلها تيار شهيد المحراب.

شهيد المحراب ومرحلة الجهاد الوطني

بعد استلام حزب البعث للسلطة عبر انقلابه العسكري الأسود عاشت البلاد أوضاعاً صعبة، فقد فرض البعث دكتاتورية بغليضة كانت وسيلتها الأساسية هي القبضة الحديدية واستخدام النار والحديد لاضطهاد العراقيين وإلغاء إرادتهم الوطنية وإحلال أيديولوجيا البعث كمنهج يحكم كل أوجه الحياة في البلاد. وأقدمت سلطات البعث البائد على اعتقال كل صوت معارض وإعدامه، ولاحقت

الناشطين في الحركات السياسية المعارضة له وعلى رأسها الحركة الإسلامية، وبلغت عنجهية النظام وتجاوزاته حدودا لم تكن معهودة من قبل حيث تناول على العلماء الأعلام والفضلاء وطلاب الحوزة العلمية فاعتقل منهم المئات وطارد الآخرين، وانتهج سياسة التهجير و المضايقة وكل أنواع وأساليب الطغيان والاستبداد. وقد كانت تلك الأيام حالكة السواد وصعبة على الجميع، ووسط هذه الظروف كان السيد شهيد المحراب «قدس» نائب الحركة ولم تخفه وترعبه آلة القمع البعثية، مستندا إلى ذخر العقيدة ومنهج والده المرجع في رفض الظلم والاستعباد، وبعد اشتداد الظروف إلى أقصى مدياتها عقب إقدام الطاغية صدام على إعدام السيد الشهيد محمد باقر الصدر «قدس»، واتضح أن الأوضاع آخذة في الانحدار نحو المزيد من عنف السلطة وقسوتها، و بعد غياب المساحة المعقولة للتحرك السياسي وحتى الاجتماعي والثقافي، قرر شهيد المحراب رضوان الله عليه الهجرة والاعتراب ليتمكن من ممارسة واجبه الوطني والشرعي، ولم تكن آنذاك من جهة أو دولة تفسح مجالا لتواجد معارضي البعث على أراضيها سوى الجمهورية الإسلامية في إيران، فاضطر شهيد المحراب «قدس» إلى مغادرة العراق والإقامة فيها، وقد كانت الثورة الإسلامية آنذاك في بدايتها، فرحبت بقدمه مع آخرين من معارضي النظام البعثي المقبور، و وفرت لهم التسهيلات الممكنة لاستمرار عملهم المشروع في معارضة الدكتاتورية وفق كل القوانين والأعراف الدولية والإنسانية التي تبيح ذلك، ولأنه لم يكن ينفع أي أسلوب سياسي ودبلوماسي مع النظام البعثي الذي أغلق جميع الأبواب بوجه المعارضة الوطنية كان الخيار الوحيد هو مواجهته عسكريا، وهكذا استمر شهيد المحراب ورفاقه في الحركات الإسلامية والوطنية المختلفة طوال عقدين متصديا في ساحات الجهاد لنظام الطاغية المقبور. و كان تأسيس المجلس الأعلى هو بادرة التعبير الواضحة عن الروح الوطنية ليكون مظلة تجمع كل قوى المعارضة الوطنية العراقية لإسقاط النظام البائد، بغض النظر عن توجهاتها وانتماءاتها المتنوعة.

إن السمة الوطنية لتيار شهيد المحراب تعززت بوضوح سواء على صعيد العمل والحراك الفعلي على الأرض أو على مستوى الرؤية النظرية التي كان يحملها

السيد شهيد المحراب قدس سره. فعلى صعيد التحرك والمواقف العملية كان تيار شهيد الحراب ممثلاً بالمجلس الأعلى يخوض مرحلة الكفاح المسلح و يعطي التضحيات الجسيمة وشعاره في كل ذلك هو تحرير الشعب العراقي من قمع واضطهاد الدكتاتورية البغيضة، ولم يرفع أي شعار ينبو عن هذه الغاية الوطنية، ولم يدعُ إلى ما يتقاطع مع الروح الوطنية الأصيلة، فبرغم كل القسوة التي واجهتها أغلبية الشعب في الوسط والجنوب، وبرغم أن مرور حقب عديدة على إنشاء الدولة العراقية الحديثة في العشرينيات أثبت بوضوح أن حقوق هذه الأغلبية لم تصن بحدها الأدنى، ولم تتح لهم السلطات المتعاقبة مجالاً للمشاركة السياسية و الحصول على حقوقهم الطبيعية، إلا أن تيار شهيد المحراب لم يجد في ذلك مبرراً للدعوة إلى ما يخدش وطنيته المتأصلة، ولم يقصر غاياته في الخلاص على طائفة من الشعب، ولم يطالب بحقوقها هي فقط، ويسهل ملاحظة ذلك عند مراجعة وثائق تلك المرحلة والبيانات التي كان يصدرها المجلس الأعلى، ومواقفه السياسية وتحركاته الدبلوماسية.

أما على مستوى الرؤية والنظر السياسي فقد كان السيد شهيد المحراب «قدس» يؤمن بثلاثة مبادئ رئيسية هي:

أن العراق كل لا يتجزأ وأن وحدة الجغرافيا والتاريخ ثابتة تقود إلى وحدة المصير لجميع العراقيين.

لا تمييز بين العراقيين، فهم شعب واحد بعربهم وكردهم، بسنتهم وشيعتهم، وأن حدود الانصهار بينهم تعدت ما هو مألوف في بقية الدول والمجتمعات، ومن مظاهر ذلك المصاهرة المتبادلة، والعيش المختلط، و وجود عشائر كاملة نصفها من طائفة والنصف الآخر من طائفة ثانية.

أن العراق مرتكز الأمة، و لأن السيد شهيد المحراب «قدس» كان يعتقد بوحدة الأمة الإسلامية، لهذا كان يؤمن بأن هذه الوحدة إنما طريقها يمر عبر وحدة العراق، لما يتميز به من خصوصيات مختلفة.

ولهذا نرى من أقوال شهيد المحراب «قدس»: (علينا أن نكون يدا واحدة في الدفاع عن العراق والمقدسات والمرجعية الدينية)، حيث يضع شهيد المحراب

العراق في مقدمة من يجب الدفاع عنه، وعنده أيضا أن أولى الأولويات التي يسعى إليها تيار شهيد المحراب هو دولة عراقية تحظى بالاستقلال وتحترم هوية العراقيين الإسلامية، فيقول في هذا الصدد: (نريد دولة عراقية مستقلة تحترم الإسلام)، إن العراق في ضمير شهيد المحراب وجود حي له عمقه في التاريخ كما له مستقبله الذي يجب أن يرسم بإرادة أبنائه، و بينهما يمتد الحاضر طويا صفحة الظلم والطغيان ومؤسسا لنظام سياسي يتطلع إليه العراقيون كي ينصفهم من الماضي الأسود الذي عاشوه، وفي فكر تيار شهيد المحراب فإن هذا النظام يقوم على أربعة أركان هي:

إرادة الشعب

هوية العراق الإسلامية

خصائص الشعب العراقي

وحدة البلاد

إن إرادة الشعب هي التي يجب أن ترسم مستقبل البلاد، وهي التي تحدد شكل نظامه السياسي، وهي التي تختار من يمثلها في ممارسة المسؤوليات والتصدي لها، والحقيقة أن هذا الركن هو الأساس الأول في تأكيد مفهوم المواطنة وترسيخ الشعور بالانتماء الوطني، فحين يجد العراقي إرادته محترمة و مؤثرة وصاحبة دور فاعل ولا يلغيها ويصادرهما الحاكم، فحين ذاك يتعرع في العقول والقلوب مفهوم الوطن ويتعلق الإنسان به وبأرضه ويدافع عنه باستماتة ضد كل التحديات التي تواجهه. نعم أن حب العراق مغروس في أعماق وجداننا كعراقيين، فحب الإنسان لبلاده حب أزلي و تعلقه بها تعلق فريد من نوعه، ولكن ثمة واقعيات أيضا في الحياة الإنسانية، فلا يمكن إدامة زخم المشاعر الوطنية والحفاظ على منسوب ثابت لها في حال تمت سرقة الوطن نفسه من يد الشعب، و حين تمعن السلطات في التنكيل والاضطهاد باسم الوطن وتكون إرادتها هي فقط المتحكمة في كل شيء بعيدا عن أدنى احترام واعتراف بإرادة المواطنين، فهذا من شأنه بلا شك أن يؤثر في علاقة المواطن ببلده، أما الركن الثاني فهو الهوية العراقية الإسلامية، فالإسلام هو دين الأغلبية المطلقة للشعب و واحدة من أهم سمات

الهوية العراقية هي أنها هوية إسلامية، ولكن:

هل هناك تعارض بين الهوية الإسلامية والهوية الوطنية؟

كثيرا ما نسمع مثل هذا التقسيم واستخدام هذين الوصفين وكأنهما متقابلان ومتعارضان، والحقيقة هي أنه في فكر تيار شهيد المحراب يعتبر هذا التقسيم لا معنى له، فالهوية شيء مركب ويتمتع بخصائص معينة ومحددة، والإسلام واحد من تلك الخصائص الأكثر أهمية، وبالتالي فالهوية الوطنية للعراق هي هوية إسلامية أيضا. ولا يعني ذلك أن الأقليات من الأديان الأخرى، ولها هويات مغايرة، لا تقع ضمن الإطار الوطني، لأن مكونات الهوية الوطنية متعددة كالتاريخ والإرث الحضاري والجغرافيا والأبعاد الثقافية والتقاليد الاجتماعية وغيرها، وإذا كانت ثمة سمة من سمات الهوية العراقية لا تنطبق حرفيا على جزء من أبناء الشعب فهذا لا يعني مطلقا أن هويتهم الوطنية منقوصة وغير كاملة، لأن المحدد في ذلك هو الانغماس في هذه السمة و التماهي معها والتعايش الصميم في ظلها، وهذا ما ينطبق على الأقليات كالمسيحيين والصابئة وغيرهما، ومن هذا المنطلق يؤكد شهيد المحراب «قدس» على أن الإسلام هوية العراقيين جميعا بما فيهم المسيحيون، ويضيف قائلا: (أقول حتى المسيحيين لأنهم وإن كانوا يختلفون معنا في الدين لكنهم يرون في الإسلام الظل الظليل الذي يحمي وجودهم من الاضطهاد والقمع والمطاردة)⁵². ولهذا ففي فكر شهيد المحراب الخالد أن الهوية الوطنية هي ذاتها الهوية الإسلامية، وإذا ما كان ثمة اختلاف وتفاوت في دائرة كل منهما حيث غالبا ما يُنظر إلى الهوية الوطنية كونها أكثر سعة من الهوية الدينية إلا أن ذلك لا يعني شيئا مهما على أرض الواقع، لأن الإسلام استوعب حقيقة الانتماء إلى الوطن دون تمييز، وناغم بين انتماء المرء إلى عقيدته من جهة وإلى وطنه من جهة أخرى. ولكن هذا الانسجام والتناغم لا ينفى واقع الخصوصيات المميزة لكل مكون ولاسيما في المجتمعات التعددية كالعراق، وانطلاقا من ذلك يتجه شهيد المحراب إلى التأكيد على الركن الثالث حيث الخصوصيات أو الخصائص التي تميز مكونات الشعب العراقي، إذ يرى قدس

52 - الأربعة عشر مناهج و رؤى - آية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم، ص 52

سره الشريف أنه من غير الممكن فرض صيغة واحدة على جميع مكونات الشعب، فلا بد لكل مكون أن يتمتع بحق احترام ثقافته من الآخرين، ولا يجوز فرض شيء عليه وإجباره على أسلوب واحد^{٥٣}. إن ترسيخ هذا الركن ليس مطلباً في تحديد طبيعة النظام السياسي وحسب، بل هو ضرورة لترسيخ العلاقة بين الفرد ووطنه، ودفعه صوب الانغماس في الهوية الوطنية الجامعة، إذ أنه مع مصادرة حقه في التعبير عن خصوصياته الدينية والثقافية والمجتمعية تصبح الرابطة مع الوطن مهددة بالخطر، حيث ستزاحمها الرغبة العارمة والملحة في التعبير عن الهوية الخاصة والفرعية، وعندها تتضرر تلك العلاقة مع الوطن لا محال وتصبح وحدته مهددة.

عزيز العراق.. والفدائية الوطنية

في مرحلة التأسيس للدولة العراقية الجديدة ونظامها الديمقراطي منذ ٢٠٠٣ وهي المرحلة الأكثر صعوبة وحلبى بالتحديات الجسيمة، سطع نجم السيد عزيز العراق «قدس» كواحد من الأعمدة الوطنية الشامخة التي ترتكن إليها خيمة العراق الجديد، وانطلق بروح وثابة ومتحدية لبناء العملية السياسية و كانت أبرز سمات هذه الشخصية الفذة هي روحها الوطنية العالية، والتي تبرز من خلال: بذل الجهود الملخصة لتقريب وجهات النظر بين القوى الوطنية المختلفة إبان سقوط النظام البعثي المقبور، وكانت تلك الجهود ذات قدرة استثنائية على صهر القناعات المختلفة في بوتقة وطنية واحدة، ثم ما أعقب سقوط النظام من جهود أكبر في خلق حالة وطنية عامة قائمة على تقوية المشتركات وتحجيم الخلافات، الأمر الذي جعل من شخصية السيد عزيز العراق تحظى بإجماع وطني على دورها وحصافة رأيها وتأثيرها وإخلاصها للعراق.

تعامل مع الواقع العراقي من منطلق أن العراق للجميع وليس حكراً على مكون دون آخر، و حصر الجهود والأهداف بترسيخ كيان الدولة العراقية عبر صياغة دستور دائم يلبي حقوق وطموحات كل أبناء البلد، و إجراء انتخابات يختار من خلالها

53 - المصدر نفسه

الشعب ممثليه في البرلمان والحكومة، ولم يكن يميل عزيز العراق «قدس» إلى ما عُرف وقتها بمجلس الحكم وتحفظ على اختياره كعضو لولا مطالبة المرجعية بذلك.

ولما كانت الضرورة تستدعي توحيد الصفوف والعمل السياسي المنظم قام بتأسيس ائتلاف العراق الموحد عام ٢٠٠٥ وكان هذا العنوان حريصا على نفي شبهة التكتل الطائفي باختيار اسم العراق والعمل على وحدته باعتبارها هدفا أساسيا لا تنازل عنه. ولكن لم يقف الأمر عند العنوان السياسي فقط، بل كانت مواقف عزيز العراق وحراكه السياسي منطلقا من بعده الوطني والحرص على العمل لصالح العراق ككل، فأكد على مفهوم الشراكة الوطنية، وضرورة أن يُمثّل الجميع دون استثناء وإقامة أقوى العلاقات مع الآخرين في القوى الوطنية المختلفة.

في تلك المرحلة التي تصدى فيها عزيز العراق كانت الظروف على قدر كبير من الصعوبة والإرباك، ولكن لم تستطع ثنيه عن أهدافه وتحمل قسوة الوقوف في فوهة المدفع، فكان قدس سره يقف في الواجهة متحديا للصعوبات الكثيرة وفوضى المشهد السياسي والأمني، وأكد على ضرورة التزام الحق الدستوري الضامن لمستقبل أبناء العراق، وقد كان لذلك التأكيد والتعريف بحقوق الشعب ثمنٌ كبير لم يتردد السيد عزيز العراق عن دفعه في سبيل مصلحة العراقيين الذين عانوا الظلم والاضطهاد طوال حقبة عديدة. ولهذا يمكن وصف السيد طاب ثراه بأنه فدائي الوطنية الذي تحلى بالشجاعة العظيمة والجرأة الكبيرة من أجل تأكيد حقوق الشعب وضمّان مستقبله ومستقبل أجياله، وتستمر هذه الفدائية حتى آخر محطات حياته، حين داهمه المرض بيد أنه لم يستكن إليه ولم يمنعه من التواصل مع الجماهير وممارسة مسؤولياته في وقت كانت نصائح الأطباء له بضرورة الركون إلى الراحة والابتعاد عن هموم المسؤولية ومشاكل العمل.

إن الوطنية تتجلى بأبهى صورها وأكثرها دلالة وعمقا في شخصية السيد عزيز العراق، و في مواقفه وآرائه السياسية وحراكه في المشهد ومن كل جوانبه وتفصيله، ويمكن الاستشهاد بكلمات مضيئة من كلمات عزيز العراق تعبر تعبيراً

صميما عن هذا التماهي والتجذر في الحالة الوطنية، ومن ذلك: أنه يرى الشعب العراقي شعبا واحدا وأن التعددية التي يتسم بها هي تنوع طبيعي يزيده قوة وإغناء، كما باقة الورد المتعددة الألوان والزهور، يقول قدس سره: (إن حقيقة الشعب العراقي كما صورتها دائما هي كباقة الورد والزهور الجميلة، لكل منها لونه وعطره المميز وفي الوقت نفسه تساهم في إعطاء الصورة المتكاملة).⁵⁴

إن العراق وطن الجميع، و هو الذي يجمع العراقيين بكل انتماءاتهم الدينية والعرقية، وإن هذه الوحدة هي سر القوة وقد كانت علامة مميزة للعراقيين على مر التاريخ، يقول السيد عزيز العراق «قدس» بهذا الشأن: (إن وحدتكم هي عنوان قوتكم والتزامكم بتعاليم الإسلام العظيم، إن رسالتكم التي تحملونها إلى جميع أنحاء الأرض هي رسالة الوحدة بين العراقيين والأخوة والتناصر، فالعراقيون كانوا وما زالوا وعلى مر التاريخ موحدين في إطار وطن واحد).⁵⁵

إن نهوض العراق وتقدمه وضممان مستقبله مرهون بوحدته وتلاحم أبنائه، و سيادة الروح الوطنية العامرة بالألفة و المحبة، يقول قدس سره: (إن وحدة الشعب تمثل حجر الزاوية في المساعي الرامية إلى تحقيق النهوض و التقدم للعراق بعد عهود من التخلف والتراجع، فبدون الوحدة وسيادة روح الألفة والتحاب بين جميع أطراف هذا الشعب مكوناته لا يمكن لمشاريع الإعمار أن تتقدم ولا يمكن للعملية السياسية أن تتقدم، كما لا يمكن بناء عراق يقوم على أساس سيادة المكون الواحد على بقية المكونات).⁵⁶

إن الوطنية هي الإطار الجامع للعراقيين بجميع طوائفهم، وأن الطائفية ليست التعبير الطبيعي عن الانتماء الخاص لمذهب معين بل هي محاولة مصادرة حقوق الآخرين والإساءة إليهم، وأما التجليات السياسية فإن التعبير عن الهوية الإسلامية حق ثابت، و لا يؤمن التيار الإسلامي بفصل الدين عن السياسة، ولكنه يرفض إساءة استخدام الدين كشعارات للخداع والتضليل، أما على صعيد العمل

54 - موسوعة خطب وكلمات عزيز العراق - ج3، ص 59

55 - المصدر السابق، ج2-ص 161

56 - المصدر السابق، ج2، ص 215

فإن السياسة عمل يقع في سياق بقية الأعمال التي لها آثارها في الدنيا والآخرة، يوضح سماحة السيد عزيز العراق ذلك بالقول: (الدين والسياسة شيء واحد، هناك ارتباط إداري بين أعمال الدنيا و بين الموقع في الآخرة، وبالتالي فالعمل في الأرض يؤدي إلى وضع الإنسان في الآخرة، ومن أهم القضايا في الدنيا هي إدارة الصراعات والتعامل مع المجتمعات الأخرى)⁵⁷.

السيد عمار الحكيم وترسيخ الأبعاد الوطنية للتيار

لقد كثرت التحديات والصعوبات التي واجهت وتواجه العراق اليوم، و خلال السنوات القليلة الماضية كانت ثمة مصاعب جسيمة و أزمات مختلفة، و قد كان موقف تيار شهيد المحراب إزاء كل هذه التطورات هو الموقف المنطلق من أسس وطنية ثابتة و واضحة، ويمكن القول إنه خلال السنوات الست الماضية كانت قيادة المجلس الأعلى و تيار شهيد المحراب المتمثلة بسماحة السيد عمار الحكيم حفظه الله قد دخلت في طور ترسيخ و تأكيد البعد الوطني في كل حراكها و مواقفها و أطروحاتها و آرائها لحل المشاكل السياسية و الأمنية و الاقتصادية وغيرها.

لقد دأب السيد الحكيم على انتهاج سياسة و خطاب يرسخ قيم الوطنية الحقيقية و ينظر إلى أبعد من اللحظة الراهنة صوب المستقبل الذي لا يمكن بناؤه من دون ترسيخ الهوية الوطنية التي تجمع العراقيين تحت خيمتها. و قد تجلّى هذا السعي في مواقف متعددة و متنوعة و على أكثر من صعيد و في سياقات مختلفة سياسية و اجتماعية، داخلية و خارجية، ويمكن توضيح ذلك من خلال:

أولاً/ التأكيد على أهمية و ضرورة الوحدة الوطنية و التحذير من مشاريع التقسيم و التجزئة، و قد جرى ذلك في سياق خطاب صريح و واضح و شفاف، و هي ميزة ميزت خطاب تيار شهيد المحراب، يقول سماحة السيد حفظه الله: (إن مسؤوليتنا الاجتماعية و السياسية تحتم علينا أن نتحدث بلغة صريحة و واضحة لأبناء شعبنا، و لاسيما في الأزمات الكبيرة و في المخاطر العظيمة التي تلم بهم و اليوم نعيش أزمة خطيرة و مصيرية على واقعنا العراقي، و اليوم يجب أن نكون صريحين

57 - المصدر السابق، ج4- ص21

وواضحين مع أبناء شعبنا لما يجري خلف الأبواب المغلقة، إن تشكيل إقليم غير منضبط وغير متجانس في هذه الأجواء من الصخب والانفعالات ستؤدي بالتدرج إلى حالة من التقسيم لهذا البلد الكريم)^{٥٨}.

ثانياً/ أن لا فرق بين العراقيين بحسب القومية أو الطائفة، فالجميع عراقيون ينتمون إلى هذا البلد و يستظلون بخيمته و ينعمون بقدر متساو بخيراته، يؤكد سماحته على توضيح هذه المسألة قائلاً: (كلنا عراقيون وفينا من هو من هذه القومية أو تلك، ومن هذا المذهب أو ذاك، ولكن خيمة العراق هي التي تجمعنا ويجب أن نكرس هذا الحس، واليوم يتوجه الشارع إلى انقسام خطير واعدروني إذا تكلمت بصراحة مع أبناء شعبنا، فهناك انقسام اليوم في الشارع وهذا انقسام خطير لو تجاهلناه وسكتنا عنه سنخاطر بكل ما انجزناه في السنوات السابقة، علينا أن نوقف هذا الانقسام الخطير ونعود لنتذكر أننا عراقيون والعراق أولاً ومصالح العراق أولاً، حتى نللم الجراح ونعض عليها ونضع يدا بيد ونواصل المشوار. هناك في البيت الواحد اختلاف كبير ولكن يبكون أسرة واحدة، وعليهم أن يستوعبوا مشاكلهم ويتجاوزوها ولا خيار لنا إلا أن نكون ضمن الخيمة الواحدة وخيارنا أن نكون ضمن خيمة العراق ونتحمل بعضنا بعضاً حتى نحقق القاسم المشترك ما بيننا)^{٥٩}.

ثالثاً/ الدعوة إلى التعاون و العمل بروح الوطنية العالية، و أن يكون الجميع من القوى السياسية العراقية معبرة عن انتمائها الواضح والراسخ للعراق فلا تعتمد إلى أية سياسات وخطابات تنطوي على التمييز و التفرقة و الدعوة إلى تهميش وإلغاء دور الآخر، يقول سماحة السيد في هذا الصدد: (ندعو كل القوى الوطنية العراقية المخلصة إلى التكاتف والتعاقد من أجل ترسيخ كل الانجازات التي تحققت طيلة السنوات الثماني الماضية، والتي قدم العراقيون من أجلها مئات الآلاف من الضحايا، وإلى تجاوز كل العقبات التي مازالت تؤخر تقدمه وتوفر للعراقيين الأمن والرخاء وتحقيق مصالحهم وتوفير الخدمات لهم، ومواجهة مهام المرحلة

58 - الملتقى الثقافي - بتاريخ 7/2/2013

59 - كلمة يوم السيادة والاستقلال - بتاريخ 3/1/2012

القادمة وفق برنامج متفق عليه وبتعاون ومشاركة جميع القوى المخلصة)⁶⁰. رابعا/ إن من الملامح الأساسية لترسيخ الوطنية هو منع التدخلات الخارجية، ووقوف بوجهها سواء كانت من دول الجوار الإقليمي أو الدول الأخرى، كما أن هذه التدخلات إنما تحدث بسبب إرباك وضعف يصيب الوحدة الداخلية، وهذا الموقف كثيرا ما أكد عليه تيار شهيد المحراب، و طرح موقفه المتوازن حول علاقة العراق بالخارج و ضرورة عدم تجاوز الحدود التي تنتهك السيادة الوطنية، فالحس الوطني يرفض ذلك مطلقا، يقول سماحة السيد: (العراق ليس جزيرة معزولة في المحيط عن العالم وهو جزء من منظومة إقليمية ودولية، وعلينا أن نتشاور ونستشير ونذهب ونتحدث ولكن القرار سيبقى قراراً عراقياً بالدرجة الأولى، ولن نقبل بفرض أية أجندات إقليمية أو دولية على الواقع العراقي. وإذا ما أردنا أن نحد من أية تأثيرات سلبية خارجية فعلينا أن نوحّد كلمتنا)⁶¹.

الرؤية الإسلامية- الوطنية لتيار شهيد المحراب

تتضح أبعاد المشروع الوطني لتيار شهيد المحراب في هذه المرحلة، أي مرحلة ما بعد سقوط النظام البائد وتأسيس العراق الجديد، و قد اتسم هذا المشروع في بناء الدولة العراقية بلامح وسمات مبنية على رؤية وطنية وإسلامية، فليس في فكر تيار شهيد المحراب تناقضا ولا تباينا بين الإسلام والوطن، بين الرؤية المستمدة من ديننا الحنيف وينطلق من خلفيتها العمل السياسي للتيار، وبين الرؤية الوطنية التي تضع العراق في جوهر اهتمامها ويشكل بناؤه على كل الأصعدة هدفا ثابتا له.

ولتوضيح ذلك لا بد من التأكيد على أن العمل بموجب النظرية الإسلامية يضع مبادئ وأهدافا تتلخص بالتالي:

حفظ الهوية الإسلامية، والمحافظة على ثقافة وتقاليد وأعراف المجتمع المسلم، ومن ذلك احترام و قدسية المرجعية الدينية كونها أبرز المظاهر الدينية

60 - بيان حول الاتفاقية الأمنية بين العراق والولايات المتحدة- بتاريخ 6/8/2011

61 - الملتقى الثقافي، بتاريخ 23/6/2010

والاجتماعية التي تميز الأمة العراقية. يستلزم حفظ الهوية تحقيق الاستقلال والسيادة وعدم فرض الآخرين سطوتهم أو وصايتهم أو نفوذهم بأي شكل من الأشكال. تقدير القيمة العليا للإنسان، كونه خليفة الله في الأرض، وبالتالي احترام وجوده وحقوقه، وتبعا لذلك فلا بد من صرف الجهود نحو بناء الإنسان والمجتمع، وإتباع كل الوسائل المفضية إلى تحقيق ذلك، ومن بين ذلك تنظيم شرائح الأمة وخلق مؤسسات إدارية فعالة و قوية. وبيئني على النقطة السابقة أيضا ضرورة السعي إلى إشاعة العدل و نبذ الظلم ومحاربتهم، وأن لا يُعامل الناس على وفق انتماءاتهم وعناوينهم الفرعية. إن من بين ما يقتضيه تحقيق العدل هو عدم التمييز والتهميش والإقصاء، ولا بد لأجل إلغاء هذه المظاهر من أن يكون المجتمع مجتمعا متعايشا تحترم فيه المكونات و خصوصياتها، وضرورة انفتاح بعضهم على البعض الآخر. لا تكتمل الكثير من الغايات الأساسية إلا بوجود الحرية، وتمتع الناس بالقدرة على التعبير عن آرائهم و القيام بممارساتهم المنضبطة تحت الفقرات السابقة، فيجب أن تكون الحرية غير مهددة للهوية ولا سببا في الاعتداء ووقوع المظالم، ولا تؤدي إلى نفس التعايش من خلال تحويلها إلى فوضى تهدد بحرق الأخضر واليابس.

أما على صعيد الرؤية الوطنية فيؤمن بما يلي:

وحدة البلاد أرضا وشعبا، ومناهضة كل أشكال ومشاريع التقسيم والتجزئة، فالتجزئة ضعف وإرباك و دوامة من المشاكل والصعوبات التي تضر بالجميع ولا تنفعهم.

تأكيد بناء النظام الديمقراطي و دعم العملية السياسية التي تأسست بموجب الدستور والتوافق الوطني، والثوابت التي آمنت بها جميع القوى الوطنية أيام المعارضة وما بعدها.

التزام الدستور والقانون وكونه المرجعية التي يجب الاحتكام إليها في كل صغيرة وكبيرة.

استقلال العراق وامتلاكه لقراره الوطني وفرض السيادة الكاملة غير المنقوصة. الشراكة والانفتاح على الجميع، ونبذ التهميش لأي جهة أو إقصائها وإلغاء دورها.

التعامل مع الواقع العراقي المعقد بموضوعية، واستيعاب الآخرين دون تعصب. استغلال الثروات الوطنية لخدمة أبناء الوطن، و توفير الحياة الكريمة لهم وتحسين أوضاعهم المعيشية عبر بناء اقتصاد متين يخطط لبنائه تخطيطا استراتيجيا يوظف كل القدرات والطاقات والعقول المبدعة.

ولو نظرنا فيما سبق لوجدنا أن تيار شهيد المحراب جمع تلك المبادئ والأهداف في سياق الرؤيتين السابقتين، وجعل منها مبادئ سياسية ثابتة، تمثلت بمبادئ التسعة المعروفة: (المرجعية الدينية، تنظيم الأمة، الاستقلال، العدالة، الحرية، الوحدة، الانفتاح، الدولة العصرية العادلة، الواقعية السياسية). وبوسعنا أن نجد كل تلك النقاط المشار إليها ضمن الرؤيتين متوفرة في هذه المبادئ التسعة.

العراق.. تاريخ مختصر



عراقه العراق وأصالته

العراق من بين البلدان الأصيلة تاريخيا، بمعنى أنه يمتلك عمقا ضاربا في التاريخ لوجوده وهويته، على خلاف الدول والبلدان المصطنعة التي ولدت في عصور متأخرة بعد مرحلة الاستعمار. فقد أجمع الجغرافيون و المؤرخون العرب على تحديد حدود العراق جنوبا من البصرة التي كانت تسمى سره العراق صعودا إلى الموصل شمالا، وشرقا يمتد حتى عبادان و غربا إلى هيت. وهذه هي الحدود الحالية تقريبا باختلاف طفيف.

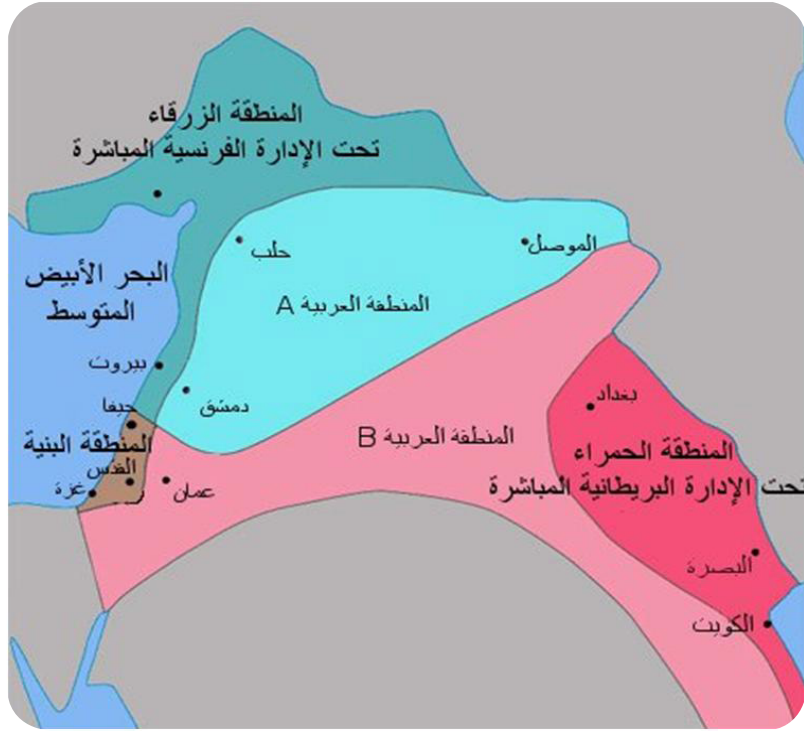
ولم تكن هذه الحدود مجرد حدود جغرافية بل كان سكانها يشعرون بالانتماء إليها وأن لهم هويتهم وخصوصيتهم التي تميزهم عن غيرهم في أي مكان آخر، فوصف (عراقي) ورد في كتب التاريخ والتراث قبل قرون عديدة، إذ يوصف الشخص الذي يعيش في تلك الرقعة التي حددها الجغرافيون العرب قديما سواء كان في البصرة أو الكوفة أو غيرهما بكونه عراقيا، وليس بصريا مثلا، ومما يؤكد ذلك ما ذكره الطبرسي في الاحتجاج حكاية عن أبي الهذيل العلاف المتوفى في القرن الثالث الهجري حيث قال: دخلت الرقعة فنذكر لي أن بدير زكن رجلا مجنونا حسن الكلام، فأتيته فإذا أنا بشيخ حسن الهيئة جالس على وسادة يسرح رأسه ولحيته، فسلمت عليه فرد السلام وقال: ممن يكون الرجل؟ قال: قلت: من أهل العراق. قال: نعم. أهل الظرف والأدب. قال: من أيها أنت؟ قلت: من أهل البصرة. قال: أهل التجارب والعلم، قال: فمن أيها أنت... الخ'. حيث نرى بوضوح أن أبا الهذيل وقبل أكثر من ألف عام ينتسب أولا إلى العراق ثم إلى البصرة، ثم إلى الخصوصيات المحلية الأخرى، بل نجد تأكيدا آخر أقدم من ذلك في حكاية ميثم التمار مع أم سلمة رضي الله عنها، توضح أن وصف العراق لم يكن محصورا بالرقعة الجغرافية بل أن القاطنين فيها يحملون هويتهم وانتماءهم إليها، خلافا لما يدعيه البعض من أن وصف العراقي حديث العهد ولا يتجاوز المائة عام، حيث جاء في خبر ميثم رضي الله عنه أنه حج في السنة التي قتل فيها فدخل على أم سلمة رضي الله عنها، فقالت له من أنت؟ قال: عراقي،

1 - الاحتجاج، للطبرسي، ج2- ص151

فاستنسبته فذكر لها أنه مولى علي بن أبي طالب، فقالت أنت هيئتم؟ قال: بل أنا ميئتم، فقالت سبحان الله و الله لربما سمعت رسول الله يوصي بك عليا في جوف الليل..². وهذا يعني أن ميئتم التمار "رض" لم يجد هويته وانتماءه مجسدا إلا في العراق وليس في النهروان مسقط رأسه ولا في الكوفة محل سكناه! ونعتقد أن هذا أقدم وأوضح نص دالّ على تجسد الانتساب إلى العراق كهوية أقرب ما تكون لمفهوم الهوية الوطنية في عرفنا المعاصر. وهو يدل دلالة واضحة على أن العراق ليس مساحة أرض أو إقليما جغرافيا يحمل اسما معنا ومجردا فحسب، بل له دلالاته ومعزاه وعمقه اللافت في علاقة واعية للإنسان بأرضه ومجتمعه وتاريخه، وأن صفة عراقي تجاوزت تلك الأطر الأضيقة كالانتساب إلى مدينة أو قبيلة أو حي التي كانت شائعة آنذاك.

إن الآراء والكتابات التي يتحدث أصحابها عن (عراق مصطنع)، و تروج لها بعض الجهات المغرضة، لا تستند ادعاءاتها على أية حقائق قاطعة وثابتة، فضلا عن أنه إذا كان المقصود بالاصطناع هو إيجاد نظام وحدود سياسية فهذا يعني أن جميع الدول في العالم هي دول مصطنعة رُسمت حدودها على الأرض عبر اتفاقيات أو معاهدات أو ثورات وما شاكل ذلك. وإذا كان المقصود هو جمع مكونات وطوائف متعددة داخل إطار سياسي واحد فهذا هو الآخر شأن الأغلبية من دول العالم، إذ نادرا ما يكون هناك مجتمع ينتمي إلى جذر واحد و قومية واحدة ودين واحد وطائفة واحدة و خال من أية مظاهر للتعددية المجتمعية. ولعل أهم ما يعتمد عليه دعاة (العراق المصطنع) هو الحديث عن اتفاقية سايكس بيكو، التي جرت بين بريطانيا وفرنسا عام ١٩١٦م، والشيء المهم الذي يجب قوله هنا هو أن الخرائط المنشورة لهذه الاتفاقية مختلفة بعضها عن بعض، ويجهل الكثيرون النسخة الأصلية لها، أما النسخة الأصلية فهي لا تشير إلى الحدود السياسية المعروفة اليوم بين العراق وسوريا والأردن، بل تظهرها ضمن مساحة مقسومة إلى قسمين A & B و كان من المخطط أن تكون هذه المساحة دولة عربية مستقلة واحدة، يكون القسم A مجال نفوذ فرنسي والقسم B مجال نفوذ

2 - شرح بن أبي الحديد، ج2- ص292



بريطاني، أما الجزء الذي يخضع مباشرة للنفوذ البريطاني فهو المرسوم باللون الأحمر ويشمل جزءاً من الحدود العراقية المعروفة اليوم، وهذا يتنافى مع القول إن حدود العراق اصطنعها البريطانيون، وكما يتضح بجلاء من الخريطة الأصلية التي وقعها كل من مارك سايكس وفرانسوا جورج بيكو في ٨ أيار ١٩١٦.

لقد عززت من أكذوبة العراق المصطنع الحركات القومية التي ظهرت في منتصف القرن الماضي، وذلك لأجل إثبات أن الوطن العربي من الخليج إلى المغرب كان عبارة عن وحدة سياسية واحدة تم تقسيمها على يد الاستعمار الأوربي ولا بد من إعادة دمجها بالقوة من جديد، وبرغم حقيقة أن المستعمرين الغربيين للبلاد العربية والإسلامية انتهجوا سياسة تقسيم وتجزئة الأمم والشعوب إلا أن هذه الحقيقة استثمرها القوميون في اختلاق وتأكيد بعض الأكاذيب التي لا يقرها التاريخ من حيث يشعرون أو لا يشعرون، ومن ذلك القول إن العراق وليد المائة سنة الماضية فقط. وإن الإرادة البريطانية والفرنسية هي من أوجدته، وصاغت له حدوده الحالية، وكان قبل ذلك لا يملك لنفسه كيانه واضحاً ولا هوية مميزة ولا يعدو أكثر من فضاء جغرافي متصل بالجزيرة العربية وبلاد الشام. بينما

رأينا آنفا أن سكان العراق كانوا يشعرون بنوع واضح ومميز من الانتماء إلى الأرض والجغرافيا والمجتمع، وأن أحد أبرز صحابة الإمام علي وهو ميثم التمار «رض» كان يرى نفسه عراقيا ويعرف عن نفسه بأنه منتسب إلى العراق وليس إلى الكوفة التي كان يسكن فيها. ومثله ما ورد في رواية بشير بن أبي أراكمة النبال أنه قال: (لما قدمت المدينة انتهيت إلى منزل أبي جعفر الباقر عليه السلام فإذا أنا ببغلته مسرجة بالباب، فجلست حيال الدار، فخرج فسلمت عليه فنزل عن البغلة وأقبل نحوي فقال: ممن الرجل؟ فقلت: من أهل العراق، قال: من أيها؟ قلت: من أهل الكوفة)².

امتيازات الموقع الجغرافي



يحتل العراق موقعا جغرافيا مميزا ومهما وقد شكل عبر التاريخ محطة للأقوام المتنقلة بين مناطق آسيا و الجزيرة العربية والشام والأناضول، واستقرت فيه موجات عديدة من الهجرات القادمة من أواسط آسيا، كما أن موقعه المميز هذا جعل الممرات والطرق التجارية تمر من خلاله لاسيما القادمة من الهند عبر البصرة ومن ثم الفرات وصولا إلى أوروبا.

يحد العراق من جهة الشمال تركيا، ومن الشرق إيران، أما من جهة الغرب فتحاذيه الأقطار العربية: سوريا، الأردن، السعودية، ومن الجنوب الكويت والخليج العربي. ويقع العراق بين دائرتي عرض ٢٩- ٣٧ شمالا، و لهذا فهو يقع ضمن القسم الجنوبي للمنطقة المعتدلة الشمالية، وتكمن أهمية ذلك في توفر مناخ

3 - بحار الأنوار، ج 52- ص 357.

يساعد على زراعة مختلف المحاصيل الزراعية خاصة مع وفرة المياه والأرض الخصبة، ففي العراق نهران عظيمان هما دجلة والفرات، و لهذا سمي العراق بأرض الرافدين، وينبع هذان النهران من الأراضي التركية ويلتقيان في منطقة القرنة قرب البصرة ليشكلان نهر شط العرب الذي ينتهي مصبه في الخليج العربي. إن من مميزات الموقع الجغرافي هو أنه مثل عبر التاريخ صلة وصل بين الشرق والغرب، كما شكل مناخا للتلاقح الثقافي و انصهرت فيه عدة الثقافات قديمة و لاحقة، الأمر الذي منح المجتمع العراقي تعددية واسعة و جعل منه مثالا منذ أقدم العصور في التعايش والانسجام والتبادل الثقافي. أضف إلى ذلك أن الموقع الذي احتله العراق يزخر بالثروات الطبيعية الهائلة، و أبرزها النفط حيث يطفو العراق على بحر من المحزون النفطي يتركز في المنطقة الجنوبية وكذلك في كركوك و المناطق الشمالية.

وبسبب هذه الميزات التي توفرت للعراق بفعل موقعه الجغرافي والمكانة الإستراتيجية التي يحظى بها كان له أن وقع في مرمى المطامح الأجنبية و الاستعمارية، وهكذا تعرض العراق منذ القديم إلى هجمات و غزوات خارجية كان العديد منها مدمرا و تركت آثارا في الذاكرة العراقية، بدءا من الغزوات القديمة للساسانيين و مرورا بالغزو المغولي ثم الاحتلال العثماني، و أعقبه الاحتلال البريطاني.

وقد عانى العراقيون في كل تلك المراحل التاريخية الكثير من المآسي والالام، و تعرضت ثرواتهم المادية والحضارية للاستيلاء والنهب. ومع كل هذا فلم يستطع كل الغزاة أن يسلبوا البلاد ميزاتها وموقعها الاستراتيجي وما يزخر به من ثروات فهي هبة الله لأبنائه.

عمق التاريخ والتأثير الحضاري

نشأت أولى الحضارات الإنسانية في العراق، و من العراق انطلق نور الحرف الأول ليكتب بداية التاريخ، و يزيل غياهب الظلمات عن العقل والروح، إن الحديث عن

عمق التاريخ والحضارة العراقية هو حديث عن التاريخ والحضارة الإنسانية برمتها، فقبل ثمانية آلاف عام وربما أبعد من ذلك كان العراق قد شهد أولى بواكير الرقي وانطلق ركب الحضارة البشرية على هذا الكوكب من بين أحضان دجلة والفرات، ومن على مشارف الهور، و تحول الطين الرافديني إلى ذاكرة تسجل للأجيال إبداعات العقل العراقي بعد اكتشاف أهم ما يمكن للعقل اكتشافه... إنها الكتابة، ثم أعقبها منجزات عديدة ما زالت حية إلى يومنا هذا، في كل النواحي والحقول من الزراعة وأنظمة الري و أساليب الإدارة والحكم، وسن القوانين والتشريعات التي تنظم حياة المجتمعات، و بناء العمران، و ابتكار الحساب و حركة الكواكب والنجوم.. وغيرها الكثير مما أثرى الحضارة الإنسانية ودفعها نحو التقدم، فلكل شيء جذر وأصل، وأصل الحضارة اليوم يعود إلى أرض الرافدين، فلولا إنجازات سومر وأكد وبابل وآشور لتأخر ركب الإنسانية دهورا طويلة.

الحضارة السومرية، الحضارة البابلية، الحضارة الآشورية

الحضارة السومرية

وهي الحضارة التي قامت في جنوب العراق، أو فيما يعرف ببلاد سومر التي تمتد



زقورة اور - قرب مدينة الناصرية

من شمال مدينة الديوانية إلى الخليج العربي جنوبا، أي أنها تضم محافظات الديوانية وذي قار والمثنى والبصرة، وقد أُطلق على سكان هذه المنطقة تسمية السومريين، نسبة إلى سومر. وتعني كلمة سومر في اللغة السومرية أرض سيد القصب أو أرض الأحراش، ويعتبر

السومريون من أعرق وأقدم الشعوب المعروفة تاريخياً، ويعود إليهم الفضل في وضع وتأسيس اللبنة الأولى للحضارة والتاريخ الإنساني بشكل عام. يعود الظهور السومري في بلاد الرافدين إلى وقت مبكر وتقريباً في حدود الألف الخامس قبل الميلاد، واختلف الباحثون اختلافاً كبيراً حول أصل السومريين و تعددت آراؤهم، ولكن ما يرجحه العديد من الدارسين أنهم قوم أصليون في العراق ولم يهاجروا إليه من مكان آخر، بل هم من أقوام محلية عراقية سابقة، والدليل على ذلك أن أساطيرهم كلها تتحدث عن بيئة يكثر فيها الماء والأنهار والقصب والبردي، وهذه هي بيئة الأهوار في جنوب العراق.

أهم المدن السومرية:

شيّد السومريون عدداً كبيراً من المدن والتي كانت من أوائل مظاهر العمران البشري، ومن هذه المدن: أريدو، أور، لارسا، أدبا، لكش، نيبور، كيش. وغيرها مما يشهد على عظمة السومريين وتطور فنون البناء والعمارة لديهم.

منجزات السومريين

إن أهم إنجاز للحضارة السومرية تمثل باكتشاف الكتابة المسمارية، وكانت بدايتها هي الكتابة بالصور، أي رسم صور الأشياء على الألواح الطينية، ثم تطورت إلى استخدام الرموز ومن بعدها الكتابة بالحروف المسمارية، وكان ذلك في حوالي ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد. وسميت الكتاب بالمسمارية لأن أطراف الحروف ورموزها تنتهي بما يشبه رؤوس المسامير، وقد اكتشفت الكتابة المسمارية في مدينة الوركاء أو أوروك، والكائنة بقاياها اليوم على بعد ٣٠ كم شرق مدينة السماوة. وهي من أعظم مدن السومريين، بل أعظم مدن التاريخ القديم برمتها، وإليها تعود قصة الملك كلكامش وملحمته التي تعتبر واحدة من روائع الأدب في العالم القديم.

إن ابتكار الكتابة يعد من أعظم المنجزات الحضارية و بها بدأ التاريخ الحقيقي للإنسان، أما قبلها فكان ما يعرف بعصور ما قبل التاريخ، وقد انتشرت الكتابة من

بلاد سومر باتجاه بقية البلدان والحضارات الغابرة كالحضارة المصرية ثم إلى أرجاء المعمورة. ولهذا فالعراق كما يقول سماحة السيد عمار كان منطلقاً للحضارات والقوانين والتشريعات، بلد انطلق منه الحرف لأول مرة في تاريخ البشرية.

الحضارة البابلية

بدأ العصر البابلي بعد غزو قبائل بدوية هي القبائل الأمورية، و في غضون عدة سنوات بزغت مراحل التقدم والتطور للحضارة البابلية، وكان من أبرز ملوكها حمورابي، الذي وضع أول مسلة تشريعات في التاريخ، وكان مركز هذه الحضارة العراقية الأصيلة في مدينة بابل أو بابليون، التي كانت تمثل العاصمة أيام حكم حمورابي، وامتد نفوذها إلى كل المناطق في ما بين النهرين دجلة والفرات وطوال ثلاثة قرون قبل الميلاد. وفي هذه الفترة

بلغت حضارة بابل العراقية أوج تطورها وازدهارها، والدليل على ذلك انتشار اللغة البابلية في عموم المنطقة كلها، وظهرت خلالها الكثير من العلوم والفنون والمعارف التي رفدت الحضارة الإنسانية بكل ما هو مثمر وخالق.

منجزات الحضارة البابلية

يمكن القول من دون تردد إن أهم منجزات البابليين هي التشريعات القانونية والإدارية التي سبقت عصرها بكثير، وهي التشريعات التي تعرف بقانون حمورابي، ومن بين ما نصت عليه مواد قانون حمورابي التي تدفع إلى احترام العقل العراقي و أسبقيته في



بوابة عشتار لمدينة بابل القديمة- متحف برلين

الميدان التشريعي هو المادة التي تعاقب القاضي حين يقوم بأخذ الرشوة وتزوير الأحكام القضائية والتلاعب بها، فقد كان القاضي الذي تثبت إدانته يعفى من منصبه مدى الحياة ويتعرض لغرامة مادية كبيرة تعادل ما تسبب به من ضياع الحقوق وفق الأحكام التي صدرت و أقدم على التلاعب بها و تزويرها. ويعتبر هذا الإجراء من أقدم الإجراءات القانونية في التاريخ والتي حاربت الفساد الإداري وعمدت إلى إصلاح القضاء وإنصاف المواطنين. كما أن من بين التشريعات هو تعاون السلطة والمواطنين على تعويض من تتضرر ممتلكاته أو يفقد شخصا من ذويه على يد قاتل مجهول، فتدفع له الدولة وبالتعاون مع المواطنين الدية

المطلوبة وتعوضه عن خسارته تعويضا مناسباً.

كما برع البابليون في الميدان العمراني وشيّدوا المدن الجميلة و لعل أهم المنجزات في هذا المجال هو الجنائن المعلقة التي اعتبرت من عجائب الدنيا السبع، وتم بناؤها في القرن السابع قبل الميلاد. كما أبدعت الحضارة البابلية في



الثور المجنح الآشوري- متحف اللوفر

ميدان الجغرافيا، حيث رسموا خرائط دقيقة لكل المناطق والأقاليم المحيطة بهم، بل رسموا خارطة للعالم القديم تظهر الأرض على شكل دائرة، كما تقدموا في مجال الصناعات والحرف، وتعرفوا على الخواص المعدنية للفلزات وصنعوا العقاقير الطبية والأصبغ والصابون والعمود والماء الملكي المستخدم في صهر الذهب، وعليه فالعراقيون القدماء سبقوا العالم العربي جابر بن حيان في إنتاج الماء الملكي (هو مزيج من حمض النيتريك والهاييدروكلوريك). وكذا برع البابليون

في علم الفلك وواصلوا شوط السومريين في هذا المجال، فوضعوا أقدم جداول لحساب حركة الشمس والقمر اليومية والشهرية والسنوية.

الحضارة الآشورية

من حضارات العراق القديمة والعريقة هي الحضارة الآشورية التي قامت في الجزء الشمالي من البلاد، ونشأت آشور في بداية تكوينها في المنطقة المحصورة بين رافدي نهر دجلة الزاب الأكبر والزاب الأصغر، وكانت مدينة آشور تحتل موقعا إستراتيجيا مهما حيث كانت تتحكم بطرق التجارة مع سومر وأكد من ناحية وكردستان وأرض الجزيرة الشمالية من ناحية ثانية. ومكان آشور حاليا هو الذي قامت على أنقاضه قلعة الشرقاط.

كان الآشوريون في البداية خاضعين لحكم ملوك أور الثالثة ولكن بعد سقوط الإمبراطورية السومرية أصبحت آشور دولة مستقلة، ثم ما لبث أن توسعت وأصبحت بدورها إمبراطورية كبرى في الألف الثاني قبل الميلاد وامتدت شمالا إلى مدن نينوى و نمرود و خورسباد، واستولى الآشوريون في توسعهم على فينيقيا والسامرة والقدس (أورشليم)، و وصل نفوذهم العسكري إلى مصر والقوقاز.

منجزات الحضارة الآشورية

برغم اشتهار الآشوريين بكونهم محاربين وأهل حرب وغزو إلا أن الحضارة الآشورية قدمت منجزات في بعض الميادين لاسيما العمران والأساليب المميزة في البناء والنحت، ورسم الأشكال والتحف الفنية، ومن أبرز التحف والمعالم هي الثيران المجنحة، أما في المجال الأدبي فكان نتاج الآشوريين قليلا ولكنهم تميزوا بأمر مهم هو حفظهم للآثار الأدبية الأقدم وإعادة تدوينها وأشهر الملوك الذين انشغلوا بجمع التراث القديم لشعوب ما بين النهرين هو الملك آشور بانيبال الذي أنشأ مكتبة عظيمة ضمت الآلاف من الألواح المسمارية القديمة، وقد جمعها بعد أن اصدر أمرا لكل حكام ولاياته بضرورة البحث والجمع لكل الرقع والألواح مهما

كان نوعها وإرسالها إليه.

وقد أقدم أعداء الإنسانية والتاريخ والحضارة من داعش بعد احتلال الموصل على تدمير الكثير مما يعد آثارا نفيسة في التراث العراقي والعالمي، وهي جريمة كبرى بحق الكنوز الحضارية العراقية، ومحاولة لقطع جذور العراقيين بتاريخهم وجغرافيتهم و تنوعهم وغناهم الحضاري والمعرفي، ولهذا طالب سماحة السيد عمار الحكيم المجتمع الدولي بإصدار قانون يجرم تدمير الآثار العراقية، فهذه الآثار ليست ملكا للعراق فحسب بل للإنسانية والتراث العالمي ككل، فقد قال سماحته في وصف هذه الجريمة النكراء: (كل يوم يتفنن الإرهاب في إضافة جريمة جديدة إلى سجل جرائمه المتعددة، وكان آخرها تجريف المدن الأثرية التي يمتد عمرها لآلاف السنين، إنه عمل لا يستوعبه العقل، فقد مرت المنطقة بالكثير من الأحداث والمجرمين والمنحرفين ولكن لم نر من وصل به الإجرام إلى سرقة الآثار وتدمير المدن الأثرية، وهذا دليل واضح على أن ما نواجهه هو أسوأ إرهاب وأجرام على مر التاريخ. إننا نطلب من الدبلوماسية العراقية العمل وبالسرية الممكنة على تشجيع المجتمع الدولي ومجلس الأمن لإصدار قانون يجرم تدمير الآثار العراقية ويعتبرها جرائم حرب).^٥

إن هذه الحضارات الرافدينية القديمة هي التي رسمت للعالم مساره في الرقي والتطور، ونشرت أشعة العلم والمعرفة والفن في أرجاء المعمورة، ونحن العراقيون أحفاد هذه الحضارات العظيمة وصناع مجدها، وإليها ننتسب تاريخا وحضارة وثقافة و ثراء، إن قدم هذه الحضارات و مجيء أمواج من الهجرات الخارجية المتعاقبة و تعرض البلاد إلى الغزوات والاحتلال والتحويلات والتبدلات التي حدثت خلال تاريخنا الطويل لا يفك أواصر الترابط الحضاري بجذورنا الأولى، تلك الجذور السومرية والأكدية والبابلية والآشورية، فنحن كعراقيين الوارثون الشرعيون لبناء تلك الحضارات الكبيرة الملهمة. ولكل عراقي من الجنوب حتى الشمال أن يفخر بهذه الحضارات الثلاث التي توزعت على عموم أرجاء البلاد، في الجنوب والوسط

5 - الملتقى الثقافي، بتاريخ 2015\3\11

والشمال، فهي جزء من هويتنا التاريخية الراسخة والغنية، وهي معالم أصالتنا وعمقنا أمام العالم كله، وحري بكل عراقي أصيل أن يطلع على تاريخ بلاده و يفهم إرثها الحضاري و أهميته ومنجزاته، ويتوسع في المعرفة والإطلاع على تاريخنا العظيم الممتد لآلاف السنوات، في وقت كانت بقية بقاع الأرض تعيش حالة من البدائية و التخلف المطبق و لا تعرف شيئاً عن نفسها وعمما يحيط بها، بينما كان العراقيون الأوائل ينهمكون في إبداع كل ما هو جليل القدر و يثرون الحياة الإنسانية بالعلم والمعرفة والفن والأدب. وفي استحضار هذا التفرد العراقي وأصالة الدور و عظمة التاريخ يقول الشاعر المرحوم محمد مهدي البصير:

وطني والحق يؤيده أصفيه الحب وأعضده
مهد التشريع و منبته ومنار العلم و فرقه
كم في الإصلاح له أثر ما زال الكون يمجده

بلد الأديان والمذاهب والمقدسات

يتميز العراق بأنه بلد التنوع والتعدد الديني، فقد احتضن شتى الأديان والنحل والطوائف، ويحتل العراق تحت مسمى بابل مكانة تاريخية ودينية هامة في كتب العهد القديم (التوراة)، كما ورد ذكر بابل في القرآن في سورة البقرة الآية ١٠٢، يتساءل سماحة السيد الحكيم في معرض البحث عن المكانة المميزة للعراق واعتباره عاصمة دولة العدل الإلهي في زمن الظهور قائلًا: (هناك سر غريب في هذا البلد الكريم، فحينما نذهب عند أمير المؤمنين نقول: «السلام عليك وعلى ضجيعك آدم ونوح»، إذن آدم في العراق ونوح في العراق وإبراهيم انطلق من العراق وبيته موجود في الناصرية أنبياء بني إسرائيل في العراق وهذه حقائق تاريخية)^١.

والحقيقة أن العراق كان مركزا مهما وبقعة مباركة لربط الخلق بالرسالات الإلهية، إذ تشير بعض الروايات والدلائل التاريخية إلى أن العراق كان الجنة التي

6 - احتفالية مولد الإمام المهدي (عج) - بتاريخ 4/7/2012

خلق الله فيها آدم عليه السلام، ويعزز ذلك ما ورد في التوراة من وصف نهري دجلة والفرات بأنهما من أنهار الجنة، كما يذكر ياقوت الحموي في كتابة معجم البلدان قائلاً: ذكر أهل التوراة أن مقام آدم عليه السلام كان ببابل^٧. كما أن الأنبياء الذين بعثهم الله بعد آدم كان عدد منهم من العراق، كالنبي إدريس و نوح، أما أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام فالثابت أنه ولد في مدينة أور السومرية، فضلاً عن دفن عدد من أنبياء اليهود في الأرض العراقية، كالنبي دانيال و شادراخ وعزرا وغيرهم.

وبعد ظهور الإسلام تحول العراق إلى عاصمة سياسية في عهد الإمام علي عليه السلام، وجعل الكوفة مقراً لخلافته وإدارة دولته، ثم ما لبث العراق أن تحول إلى عاصمة روحية مقدسة قبلتها كربلاء الشهادة حيث مرقد الإمام الحسين وأخيه أبي الفضل العباس وأصحابه عليهم الرضوان، تبع ذلك مجيء الأئمة عليهم السلام وقد توفي و دفن بعضهم في العراق، كالإمام الكاظم والإمام الجواد والإمام علي الهادي والإمام حسن العسكري عليهم أفضل الصلاة والسلام.

ولا يقتصر احتضان العراق لأئمة أهل البيت «ع» وشيعتهم فقط، بل كان أيضاً موئلاً لبقية المذاهب التي تعايش أتباعها بسلام في أغلبية المراحل التاريخية ما عدا تلك الفترات التي ثارت فيها الحساسيات والصراعات لأسباب تتعلق بمصالح السلطات السياسية، ولهذا فقد احتضن العراق المذاهب الأربعة وأئمتهم، فأحمد بن حنبل نشأ وترعرع في العراق و تردد بين بغداد والبصرة، وأما الشافعي فرغم أنه ولد خارج العراق إلا أن له أتباعاً روجوا لمذهبه في العراق وأقام في بغداد لفترات مختلفة، وتميزت فتاوى الشافعي العراقية عن فتاواه المصرية بطابع مختلف ناسب البيئة العراقية المتسامحة والهاضمة لكل التيارات والتوجهات الفكرية، ولا يختلف الأمر مع الإمام أبي حنيفة النعمان الذي تعدده بعض الروايات التاريخية تلميذاً للإمام الصادق «ع»، وكذلك مع مالك بن أنس الذي يقول: اختلفت إلى جعفر بن محمد زماناً فما كنت أراه إلا على إحدى ثلاث خصال: إما مصلياً وإما صائماً وإما يقرأ القرآن، وما رأيته قط يحدّث عن رسول الله إلا على الطهارة، ولا

7 - الحموي، معجم البلدان، ج1- ص311.

يتكلم بما لا يعنيه، و كان من العلماء العبّاد و الزهاد الذين يخشون الله، و ما رأّت عين و لا سمعت أذن ولا خَطَرَ على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علما و عبادة و ورعا^١. كما أن العراق احتضن العديد من الملل والنحل والطوائف التي اندثر بعضها وتحول البعض الآخر أو ذاب في تيارات ومذاهب أخرى، وكل ذلك كان قد جعل من العراق قبلة للعلم وفنارا مشعا يزدحم فيه العلماء وطلاب العلوم العقلية والنقلية من فقهاء وفلاسفة ومتكلمين.

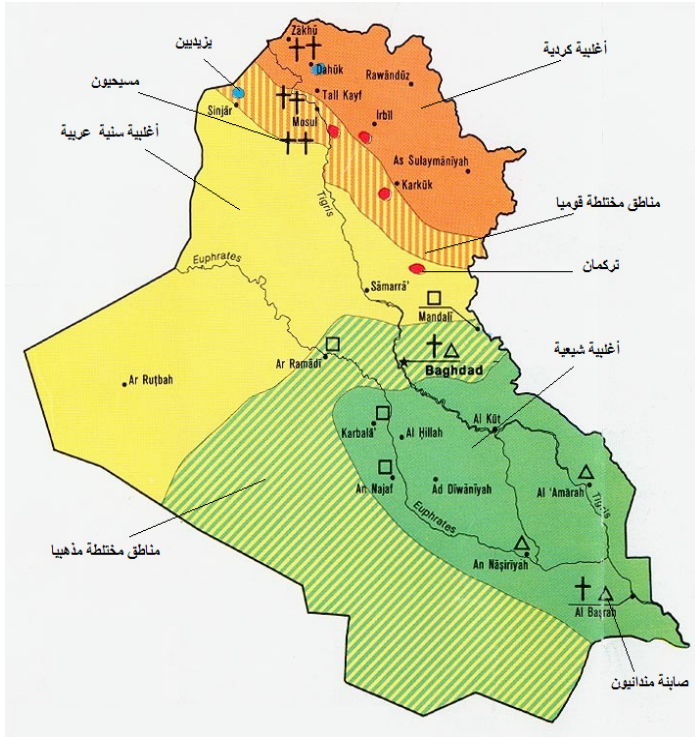
وفضلا عن مذاهب الإسلام كان العراق مستقرا مناسبا لأتباع الأديان المختلفة، والتي ما زالت في العراق جنوبا ووسطا وشمالا، ومنهم اليهود والمسيحيون والصابئة و اليزيديون، ولبعض من هذه الأديان طوائف ومذاهب لها أقليات متواجدة اليوم كجزء من النسيج العراقي الزاهي و باقة الورد الوطنية التي تلوّن مساحة البلد و تعبر عن تاريخه في التنوع والتعددية والتعايش بين الجميع.

ديموغرافيا التنوع والتعايش

مثلما تتنوع الجغرافيا العراقية يتنوع توزيع السكان في كل أرجاء بلادنا الحبيبة، ويكفي إلقاء نظرة على الخارطة أدناه ليلاحظ المرء هذه الباقية الملونة الزاهية من الفسيفساء العراقية الأصيلة، حيث تتوزع المكونات العراقية وتختلط في أماكن مختلفة، وهذه المكونات هي:

العرب: بمذهبيهم الكبيرين الشيعة والسنة واللذين تعايشا على مر العصور، فتعاونوا في بناء البلاد وتحملا أعباء المحن و المآسي و تصديا للغزوات والاحتلال الأجنبي، و تشاركا في التأسيس لمراحل بناء الدولة العراقية، وتقاسما خيرات البلاد، و نسجا الأواصر الاجتماعية المتينة عبر المصاهرة و التحالفات العشائرية، بل إن العديد من العشائر العراقية الأصيلة هي مزيج مختلط من الطائفتين، وفي كل ذلك دلالات واضحة وقوية على حجم الروابط والانسجام المشترك بينهما، وأن ما حدث من إرباك في بعض المراحل والفترات ومنها المرحلة الأخيرة إنما هي صنيعة الدسائس و المؤامرات و الشواذ من المخدوعين بالفكر الإرهابي الخبيث،

8 - بحار الأنوار - ج 47، ص 28



وقد باءت كل تلك المحاولات وما زالت تبوء بالفشل الذريع نتيجة لوعي وإدراك العراقيين لهويتهم الوطنية وتشبثهم بحبهم للعراق وهويته وأصالته التاريخية والحضارية، وإن شاء الله سيستمر هذا الوعي الوطني ليقطع الطريق على المخططات اللئيمة التي لا تريد للعراق والعراقيين الخير والسلام.

الأكراد: وهم القومية الثانية في البلاد، و تتركز في

المحافظات الشمالية الثلاث (أربيل، سلیمانیه، دهوك). وهم مكّون عراقي أصيل، تعايش مع بقية المكونات ولاسيما الأغلبية العربية، وتاريخ الكرد تاريخ حافل فقد امتازوا برفضهم للظلم ومقاومتهم للطغيان، كما عرفت عنهم رغبتهم في توطيد علاقاتهم بالعرب المسلمين، و لشيوع المذهب الشافعي في مراحل تاريخ كردستان فقد كان لهم تعاطفهم الواضح مع آل البيت عليهم السلام، لكون المذهب الشافعي أقرب المذاهب لمودة آل البيت الأطهار، ومن الأسباب التاريخية التي جعلت محبة آل البيت راسخة في نفوس الكثير من الأكراد هو هجرة أبناء الأئمة وسلالتهم من السادة الحسينيين والحسينيين إلى كردستان وذلك لوقوعها في منطقة جبلية يصعب على السلطات السياسية الحاكمة أن تتبع أثرهم فيها، ومن بين هؤلاء السادة طائفة من ذرية الإمام الكاظم ومنهم أربعة من إخوة الإمام الرضا عليه السلام⁹. وكان لهذه الأسباب أن اعتنق بعض الأخوة الكرد مذهب آل البيت حتى أن بعض الدارسين يقدرون بأن عددا غير قليل من الكرد ينتمون

للمذهب الشيعي تقدر نسبتهم بحوالي خمس الكرد تقريبا¹⁰.

9 - محبة الحسين عليه السلام وموقع عاشوراء لدى الأكراد، مقال منشور على شبكة الإمام الرضا عليه السلام.

10 - تاريخ الكرد في العهود الإسلامية، أحمد الخليل، ص 87

التركمان: هم القومية الثالثة في العراق، و من مواطني البلد الأصليين الذين يعود تواجدهم فيه إلى قرون عديدة، و يختلف الباحثون حول تحديد معنى كلمة تركمان، ومن تلك الآراء أنها تعني (الأتراك المسلمون) لأنهم دخلوا الإسلام وأقبلوا عليه بشكل منقطع النظير ولهذا قيل تركمان مكونة من ترك وإيمان. و قيل في معناها أيضا أنها تعني (أشباه الأتراك)'. لقد أسس التركمان دولا وإمارات حكمت في تاريخ العراق والمنطقة، ويتركز وجودهم في كركوك و نينوى وفي مناطق السعدية وجلولاء وسليمان بيك و أمر لي، كما يتواجد جزء منهم في أربيل. وقد آمن التركمان بالتعايش والانسجام مع باقي المكونات العربية والكردية، وينتمي العديد منهم إلى مذهب آل البيت "ع"، و بعضهم على المذاهب السنية الكريمة. و كانوا جزءا من عجلة التغيير السياسي ودعموا تأسيس العراق الجديد، فقد تعرضوا كغيرهم من المكونات إلى ظلم واضطهاد السلطات الدكتاتورية الجائرة.

المسيحيون: من المكونات العراقية الأصيلة، بل هي أكثر هذه المكونات عمقا وحضورا في تاريخ العراق منذ القدم، فقد كانت بلاد الرافدين قبل الفتح الإسلامي محتضنة لأعداد كبيرة جدا من المسيحيين، بشتى مذاهبهم، وقد دخل الكثيرون منهم في الإسلام، أما من بقي فقد تعايش مع بقية المكونات وأسهم إسهامات حضارية كبيرة، لاسيما في العصر العباسي حيث قادوا حركة الترجمة لكتب مهمة عن اليونانية والسريانية والفارسية، وكانوا أهم أسباب تطور الحركة العلمية و مازجوا بين الثقافة الإسلامية والثقافات السابقة وطوروا من أفكارها ونقدوا بعضها ورفدوا الثقافة العربية الإسلامية بالكثير من المعارف الهامة التي استثمرها العلماء المسلمون في علوم ومجالات شتى. ولهذه الأصالة التاريخية وعمق تواجدهم التاريخي لا يمكن اعتبار الأقلية المسيحية مجرد عدد مضاف إلى سكان العراق بل وكما يؤكد سماحة السيد عمار الحكيم من أن: (وجود المسيحيين في العراق يمثل إضافة نوعية وليس عددية وهو جزء إضافي من باقة الوجود العراقية المتعددة الألوان والروائح الزكية، ولذلك نحن حريصون كل الحرص

11 - التركمان في العراق، حسن أوزمن، ص 16

للاحتفاظ بهذا اللون المهم في الموزائيك العراقي^{١٢}. لقد تركز تواجد الإخوة المسيحيين في مناطق معينة و انتشروا في مناطق أخرى سواء في البصرة أو نينوى و ما بينهما كما في بغداد و بعض المحافظات الأخرى بأعداد أقل، وهذا دليل على أنهم ليسوا بالطارئین على النسيج العراقي، بل جزءاً أصيلاً و ثابتاً من التركيبة المجتمعية العراقية، يؤكد سماحة السيد الحكيم قائلاً: (إنهم ليسوا أناساً دخلاء في هذه المناطق، بل مواطنين أصلاء، كانوا جزءاً أساسياً من التركيبة الديموغرافية والسكانية في هذه المناطق منذ أمد بعيد، فالمسيحيون في سهل نينوى وفي غيرها من المواقع كانوا في هذه الديار منذ آلاف السنين وهؤلاء هم السكان الأصليون في هذه الديار)^{١٣}. ويتنوع الوجود المسيحي من الناحية التاريخية والعرقية والمذهبية إلى كلدان كاثوليك، وآثوريين نسطرة، وسريان أرثوذكس، وأرمن، وهناك أقلية منهم تتبع المذهب البروتستانتية. و كانت نسبتهم بحسب إحصاء ١٩٤٧ تبلغ ٣٪، أما عددهم في ثمانينات القرن الماضي فبلغ المليون والنصف، غير أن الأحداث التي توالفت من مطلع التسعينيات حيث حماقة غزو النظام الصدامي للكويت وما أعقبه من حصار أسهم في تناقص أعدادهم نتيجة هجرتهم إلى الخارج، وزادت هذه الهجرة بشكل كبير بعد عام ٢٠٠٣م، وما طالهم من أذى وتهديد على يد الجماعات الإرهابية، ليتعرضوا إلى نكبة كبيرة في عام ٢٠١٤ بعد سيطرة قوى الظلام الداعشي على الموصل، فقتلت وأسرت عدداً منهم فيما نزع آخرون.

الصابئة المندائيون: وهم من الأقليات الدينية العريقة التي يعود تواجدها إلى قرون مديدة في العراق، وينتسبون إلى الأديان الإبراهيمية التي توحد الله تعالى، وكتابهم المقدس يعرف بـ (كنزا ربا)، الذي يحفل بذكر أسماء الله سبحانه التي تدل على توحيده، كالحى العظيم والمهيمن والرحيم والغفور، وأنه خالق الأكوان جميعها ومانح الحياة لها، و قد تعايشوا وانسجموا مع إخوتهم في جنوب العراق انسجاماً لافتاً، فكانت وما تزال الروابط الأخوية قائمة بينهم، و يتركز تواجدهم

12 - لقاء قناة OTV اللبنانية- بتاريخ 14/1/2010

13 - الأسمية الرمضانية، بتاريخ 2014\7\20

في البصرة والعمارة والناصرية، و كذلك في بغداد والكوت والديوانية، ويقدر عدد الصابئة المندائيين بحوالي ٢٠٠ ألف نسمة، وبرز ما ميز الصابئة عبر تاريخ تواجدهم في العراق الذي يعود إلى القرن الأول الميلادي بأنهم أناس وادعون طبيوا المعشر، لم تصدر منهم أية حركات تمرد أو اعتداء على من يجاورهم، ولهذا السبب كان من السهل أن يتعايشوا تعايشا إنسانيا واجتماعيا وثقافيا مع أهل الجنوب الذين بادلوهم الطيبة والمحبة و مشاعر الودّ والسلام. ولهذا يؤكد سماحة السيد الحكيم على أن الصابئة: (.. إضافة نوعية لواقعنا العراقي ولابد من دعم وجودهم وحضورهم في العراق ولاسيما إن العراق هو مركز الصابئة المندائيين، مما يدعونا إلى الاعتزاز بهم ولابد من إعطاء الفرص لممارسة شعائرهم بحرية كاملة وحماية دور عبادتهم وتوفير فرص الحياة كريمة لهم، كما هي لجميع المواطنين العراقيين)^{١٤}.

بالإضافة إلى هذه المكونات فهناك مكونات أخرى هي جزء من باقة الورد العراقية الجميلة، ومن ذلك الأيزيديين و الشبك الذين يتركز وجودهم في شمال العراق، وقد تعرضوا إلى الأذى المرير على يد الإرهاب التكفيرى الأعمى، لاسيما مجازره التي يندى لها جبين الإنسانية بعد سيطرته على مناطق واسعة من الموصل وسهل نينوى، وإقدامه على قتل واغتصاب وسبي النساء والأبرياء، وقتلهم على الهوية والمعتقد والطائفة، وهو عمل بشع لا تقره الرسالات السماوية ولا الإسلام ولا الأخلاق ولا الأعراف والقيم الإنسانية.

مختصر في التاريخ السياسي للعراق

عهود الاحتلال المظلمة

تعرض العراق بفعل ميزاته في الموقع الجغرافي و موارده الطبيعية و قواه البشرية ورمزيته الحضارية والتاريخية إلى غزوات واحتلالات متعاقبة، وكان أبرزها الاحتلال العثماني الذي دام زهاء أربعة قرون، ما بين عام ١٥٣٢ إلى عام ١٩١٨. وللأسف كانت تلك الحقبة التاريخية الطويلة من أسوأ الحقب وأكثرها تخلفا وعانى خلالها العراقيون من شتى أنواع الظلم والاضطهاد وعدم المساواة، وانتهج الاحتلال العثماني سياسة التتريك فحاول طمس الثقافة العراقية الأصيلة واستبدالها بالثقافة التركية، كما تم استغلال الثروات العراقية المختلفة استغلالا بشعا إلى أقصى مدى يخدم المحتل العثماني، فضلا عن زرعه للحساسيات والكراهيات القومية والمذهبية بين أبناء البلد الواحد.

لم يستكن العراقيون لهذا الاحتلال ولم يندعوا بشعار العثمانيين الإسلامي القائم على احتلال البلدان والشعوب وتشويه هويتها، فاندلعت العديد من الثورات التي قادتها العشائر العراقية العربية والكردية، و شملت المقاومة مناطق عدة منها بغداد في ثورة حزيران ١٨٣١م، و كذلك أعمال الرفض للهيمنة العثمانية في القرى والأرياف، وكل هذا يدل دلالة واضحة على عمق الشعور العراقي بالانتماء إلى هويته وتاريخه الأصيل لبلاد الرافدين.

الحركة الجهادية عام ١٩١٤

ومع بداية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م حدثت تحولات كبيرة، حيث اندفعت القوات البريطانية نحو احتلال العراق من الجنوب عبر البصرة، وهنا تناخى العراقيون للدفاع عن وطنهم ومقدساتهم وأرضهم وعرضهم، وهويتهم التي صارت أمام تهديد مضاعف، وحينها وقفت المرجعية الدينية المباركة و استحدث العلماء والفقهاء في النجف وكربلاء وبغداد المواطنين على ضرورة الجهاد بوجه الاحتلال الانكليزي، فدبت الحركة الجهادية في ربوع الوطن، و تطوع الآلاف من أبناء العراق الغيارى والعشائر الوطنية الأصيلة، و اتجهت هذه الآلاف بقيادة



السيد الحبوبي "قدس" متوسطا الصورة في جامع السهلة قبيل انطلاقه صوب الشيعية، وإلى أقصى اليسار السيد محسن الحكيم "قدس" وأمامه طفله السيد يوسف "قدس"

المجاهد الكبير
محمد سعيد
الحبوبي قدس
سرّه، ومع
مساعديه الذين
كان من أبرزهم
أمين سرّه السيد
الإمام محسن
الحكيم رضي الله
عنه وهو لا يزال
في ريعان شبابه. و

خيموا في منطقة الشعيبة قرب البصرة التي كانت تسطر أروع صفحات المقاومة ضد الاحتلال الأجنبي.

وقد شهدت معركة الشعيبة استبسالاً و ثباتاً للمجاهدين من العلماء وطلاب العلم و أبناء العشائر و من لحق بهم من العراقيين حتى من الأكراد الذين قدموا من كردستان. وقد انتهت هذه المعركة للأسف بانكسار المجاهدين نتيجة لإشاعة دبت بين صفوفهم وأدت إلى هبوط معنوياتهم، وكانت تلك الإشاعة تفيد بمقتل القائد العثماني والضباط وسائر القادة حتى لم يبق من يقود اثنين من المجاهدين، وهنا أظهر السيد الحكيم «قدس» ثباتاً وهمة وبسالة منقطعة النظر، ومن بين ما يرويه المؤرخون أنه وفي تلك الظروف القاسية وحيث بلغت القلوب الحناجر تطوع بنفسه للذهاب إلى خيمة القيادة والاطلاع على جلية الأمر، ولكنه كان راجلاً ولم يجد فرساً تحمله، فترجع أحد الشيوخ وهو الشيخ المجاهد الورع رحوم الظالمي و قدم فرسه للسيد، وحين سئل عن هذا الأمر أجاب جواباً بليغاً مثل نبوءة تدل على فراسة عربي مؤمن ينظر بعين الله ولا غرابة في ذلك، إذ قال: لا أبالي إذا سلم هذا السيد وهلكت، فوجوده أنفع من وجودي، وسيأتي

اليوم الذي يقود فيه العراق^{١٥}.

ولكن لم تمثل خسارة المجاهدين للمعركة في الشعبية خسارة الحرب مع الاحتلال الانكليزي، بل تواصلت الأعمال البطولية المقاومة للمحتل، و اندلعت ثورات عدة أبرزها ثورة النجف الأشرف عام ١٩١٥ والتي وضعت حدا للتواجد العثماني، وأعقبها ثورة عام ١٩١٨ م ضد الاحتلال الانكليزي.

ثورة العشرين

أما الثورة العراقية الأشهر والأكثر ضراوة فهي ثورة العشرين التي اندلعت شرارتها الأولى في قضاء الرميثة من محافظة المثنى، ثم سرعان ما عمت مناطق العراق جنوبا و وسطا وشمالا. وقد غيرت هذه الثورة كافة المعطيات وأجبرت المحتل على التعامل مع العراقيين تعاملًا واقعيًا وكطرف يملك خيارات تحديد مصير ومستقبل بلاده، واضطرت سلطة الاحتلال إلى تغيير نهجها وسياساتها



والاعتراف بحقوق العراقيين، يلخص لنا سماحة السيد عمار الحكيم تلك الثورة وطبيعتها ونتائجها بالقول: (...في مثل هذا اليوم في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠ ذكرى ثورة العشرين، هذه الثورة الخالدة والملحمة الوطنية العراقية التي جسدت أنموذجا واضحا في تلاحم هذا الشعب،

ووقفته وتضحياته الجسيمة لتحقيق السيادة الوطنية والاستقلال الكامل، وإبعاد المحتل البريطاني - آنذاك - من الأراضي العراقية. إن لثورة العشرين الدور الكبير حيث أصبحت من النقاط الواضحة في تزيخ هذا الشعب المجيد، وكان للعشائر

15 - الحوزة العلمية العراقية، مركز العراق للدراسات، ص 13

العراقية الدور الحاسم في الاستجابة لنداء المرجعية الدينية والعلماء الأعلام، الذين طالبوا عموم الناس والمواطنين بالخروج بمسيرات احتجاجية والتهيؤ لمواجهة المحتل آنذاك. فخرجت العشائر وانطلقت أولى شرارة الثورة في مثل هذا اليوم. وقام المحتل البريطاني باعتقال عدد من شيوخ العشائر وفي مقدمتهم الشيخ شعلان أبو الجون وغيره من الشيوخ. ولكن نتيجة لهذا الحضور من أبناء العشائر أضطر الاحتلال لإطلاق سراح الشيخ أبو الجون في نفس ذلك اليوم، وبدأت الثورة في وضع الملامح الأولى لتشكيل وتأسيس الدولة العراقية الحديثة^{١٦}.

وقد أَرخ الأدب العراقي والشعر على وجه الخصوص لهذه المعركة الوطنية الكبرى، التي كان لها شعراؤها الذين نهضوا بأعباء الدعوة وإثارة الحماسة و الروح الوطنية، وعلى رأس هؤلاء شاعر ثورة العشرين المرحوم محمد مهدي البصير، و كانت له قصائد منها تلك القصيدة الوطنية الرائعة التي حفظها الناس في بغداد والنجف وشاعت على ألسنتهم، والتي مطلعها:

إن ضاق يا وطني عليّ فضاكا... فلتتسع بي للأمام خطاكا
وسياتي ذكر هذه القصيدة في مكان قادم.

تشكيل الدولة العراقية

أهم ما أثبتته ثورة العشرين هو الروح الوطنية العالية والتلاحم المصيري بين أبناء البلد، فقد كان الجميع قد اشترك بالثورة من شيعة وسنة وأكراد، فكما انفجرت ثورة العراقيين في السماوة والناصرية والبصرة والعمارة والحلة وكربلاء والنجف والكوفة تفجرت أيضا في لواء الدليم (المنطقة الغربية)، وبالمثل في مناطق كردستان من زاخو إلى السليمانية والسعدية وخانقين وكفري وغيرها.

إن أهم النتائج التي تحققت للعراقيين بعد ثورتهم العظيمة هذه هو رضوخ الاحتلال الانكليزي إلى مطالب وضع خارطة طريق لاستقلال العراق وتشكيل حكومة عربية عراقية مستقلة، وهذا ما تم الاتفاق عليه في تشرين الثاني عام ١٩٢٠م.

وبناء على ذلك قامت السلطات المحتلة بتشكيل مجلس حكم أهلي في العراق وتشكيل أول حكومة وطنية مؤقتة ترأسها عبد الرحمن النقيب، ولكنها لم تكن حكومة مستقلة كما كانت آمال العراقيين بالطبع، فقد كان المستشارون البريطانيون هم من يحكم وزاراتها فعليا. وفي آب ١٩٢١ أعلن الأمير فيصل ملكا على العراق بعد استفتاء شعبي حصل فيه على ٩٦٪ من الأصوات المؤيدة لتوليته حكم المملكة العراقية.

لم تجر الأمور على وفق ما كان يطمح إليه العراقيون جميعا، بل تواصل الوجود والتدخل الأجنبي بشؤونهم، ولعب هذا التدخل على حبال خبيثة، لإثارة المشاكل بين العراقيين كي يضمن بقاءه لأطول فترة ممكنة، وهكذا واجهت الملك فيصل مشاكل داخلية تتعلق بالعشائر والأقليات والتمثيل للمكونات العراقية المختلفة، كما فرضت بريطانيا على العراق معاهدة مهدت للانتداب تم توقيعها في العاشر من تشرين الأول عام ١٩٢٢.

العهد الملكي

استمر العراق تحت الانتداب البريطاني حتى عام ١٩٣٢م، حيث دخل في هذه السنة كعضو في عصبة الأمم، و بات دولة مستقلة إلا أن القيود السياسية والاقتصادية كانت لا تزال قائمة، و خلال مدة العهد الملكي الذي استمر حتى عام ١٩٥٨م كُتب دستور للبلاد وذلك في ١٩٢٥م، و أجريت عشرة انتخابات عامة وتشكلت خمسون حكومة، وهو أمر يدل على غياب الاستقرار السياسي، كما أن الانتخابات لم تكن نزيهة تماما ولم تمنح فرصا متكافئة لجميع العراقيين آنذاك. إن من سمات العهد الملكي في بدايته هو وجود هامش من الحرية، ولكنها لم تكن حرية فاعلة ومنصفة للعراقيين، بل وصارت تضيق يوما بعد آخر ومرحلة بعد أخرى، إلى أن باتت الانتخابات مجرد حالة شكلية وصورية، فقد كان المرشحون الفائزون معروفين سلفا ممن تختارهم السلطة أو الأيدي الأجنبية الخارجية، بل إن مجلس الأعيان كان يتم اختيار أعضائه مباشرة بالتعيين دون اللجوء إلى الإرادة الجماهيرية.

على أن أهم ما اتصف به ذلك العهد هو غياب العقلية الإدارية السليمة التي تستطيع إدارة شؤون بلد كبير كالعراق بتعديته وطوائفه وإمكانياته وموقعه في قلب العالم، ويشخص سماحة السيد عمار الحكيم هذه الحقيقة بالقول: (منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة في العهد الملكي انبثقت مع تأسيس الدولة إشكاليات إدارية عويصة ولم تعالج إلى يومنا الحاضر، ونحن نتحمل هذه المضاعفات لهذا الخلل الإداري من دون أن ينبري ويتصدى من العقول الإدارية في هذا البلد من يضع حدا لهذه التحديات وهذه الإشكاليات)^{١٧}.

موقف المرجعية الدينية في العهد الملكي

كان موقف المرجعية الدينية في العهد الملكي مع استقلال العراق من النفوذ البريطاني، و أن يكون تأسيس الدولة العراقية على أساس إرادة جميع العراقيين، وكان موقفها ثابتا تجاه وحدة البلاد و الصف الوطني و عدم التدخل في شؤونها،

وأن يتترك للعراقيين حرية بناء بلادهم بعد عصور من القمع والتنكيل والمصادرة في ظل الاحتلال العثماني والانكليزي.

ولهذا فقد بدأت مواقف المرجعيات تتبلور تجاه الواقع السياسي بعد قيادتها للمقاومة المسلحة، وذلك مع بداية إجبار المحتل على الرضوخ لإرادة العراقيين عقب ثورة العشرين، فقد تحفظ كل من الشيخ محمد حسين النائيني والسيد أبو الحسن الأصفهاني على موضوع ترشيح ملك للعراق، وكان الرأي السائد في أوساط المرجعية الدينية هو ضرورة العمل أولا على استقلال العراق وضم

17 - الملتقى الثقافي - بتاريخ 2014/9/4



هذا الاستقلال وإنهاء الانتداب البريطاني قبل التفكير بالشخصية التي يجب أن تتولى العرش، وعليه كانت المرجعية الممثلة بالسيد الأصفهاني ضد فكرة الترشيح لعرش العراق سواء كان ذلك المرشح فيصلاً أو غيره ما لم يُضمن استقلال العراق، وهذا يعني أن تتويج الملك فيصل تم بإرادة ورغبة بريطانية بعيداً عن إرادة طيف واسع من العراقيين والمرجعية الدينية¹⁸.

وقد واصلت المرجعية الدينية رفضها للوصاية الأجنبية و المطالبة بالاستقلال الكامل للعراق، و في الوقت نفسه كانت تشخص وتدرك واقع السياسات الملكية الخاطئة وشيوع الفساد و التردي العام في أغلب المجالات، و من بين ذلك ترسيخ آليات سياسية هي في ظاهرها آليات ديمقراطية بيد أن واقعها هو ترسيخ الحكم بيد فئة و طبقة معينة، و ابرز ملامح ذلك هو مجلسا الأعيان والنواب، فالوصول إلى عضويتهم كان عبر الولاء للسلطة، هذه السلطة التي عملت على محاولة تقريب زعماء العشائر وقلصت نفوذ الشيوخ الحقيقيين و الوطنيين وعمدت إلى شراء ذمم أشخاص فاسدين و مهتمين بمصالحهم الخاصة، وقد أدرك السيد محسن الحكيم «فدس» خطورة ذلك، فعمل على محاربة هذا المخطط وقام بمشروعه الكبير في ربط العشائر العراقية العربية الأصيلة بالمرجعية الدينية بدلاً من السلطة الحاكمة، كما أدرك الإمام قدس سره الشريف خطورة محاولات السلطة وبعض الأطراف فيها الساعية إلى النيل من استقلالية الحوزة العلمية من خلال رفضه المطلق لمقترح دفع رواتب من الحكومة للفقهاء وطلاب العلم، ومع بدء سطوع مكانته و مرجعيته رضوان الله عليه وزيادة نفوذه الاجتماعي تحركت السلطة ممثلة بالملك للاتصال به ولكنه رفض مقابله لعدم تحقيق الحكومة لأي من المطالب الوطنية العامة التي كان الشارع العراقي ينادي بها¹⁹.

18 - الشيعة وتنصيب فيصل الأول ملكاً على العراق، مركز دراسات البينة، نقلاً لما قاله المؤرخ الأستاذ عبد الكريم آل نجف.

19 - السيد محمد باقر الحكيم قائد النضال ضد الدكتاتورية، القسم التاسع، الدكتور علاء الجوادى، مقال منشور.

العهد الجمهوري

انتهى العهد الملكي بثورة عبد الكريم قاسم عام ١٩٥٨م، و انتقال النظام السياسي العراقي من الملكية إلى النظام الجمهوري، وجاء الإعلان عن هذا الانتقال والتحول من خلال البيان رقم واحد الذي أذيع على الناس من الإذاعة.

يكاد يجمع الدارسون والمؤرخون لتاريخ العراق الحديث على أن انهيار النظام الملكي كان أمراً حتمياً، لشيوع الفساد في أركانه و تردي أجهزة الدولة وعجزها عن القيام بواجباتها، و لرسوخ صيغة حكم اتسمت بالطائفية السياسية، و لكثرة القلاقل والاضطرابات، و لتحول الهامش الديمقراطي إلى ممارسة صورية وشكلية، و لتدخل الدول الأجنبية في الشؤون الوطنية الداخلية وانصياع رجال الحكم لها.

كما كانت العوامل الاقتصادية حاضرة بقوة حيث الفقر المدقع وسلطة الإقطاعيين و التفاوت الطبقي بين الطبقة السياسية من العائلة المالكة وحاشيتها ومؤيديها و المسؤولين وأقاربهم وكل من يسير في ركابها من جهة و بين عموم المواطنين الذين عانوا تردياً عاماً في مجمل أوضاعهم الحياتية من جهة أخرى.

ولكن بدلا من أن يصحح النظام الجديد الأوضاع السابقة و يعالج المشاكل التي كان يعاني منها العراق حدث العكس، فعلى صعيد السلطة والحريات أمسك الزعيم عبد الكريم قاسم بمفاصل الدولة وجمع لنفسه ثلاثة مناصب دفعة واحدة فكان رئيساً للوزراء و وزيراً للدفاع و قائداً عاماً للقوات المسلحة، فضلا عن كونه في منصب رئيس الجمهورية بما يقتضيه هذا النظام. ثم أنه عمد إلى تقريب الشيوعيين و الماركسيين، و أطلق جملة من الإجراءات التي كانت تتناغم مع الأفكار الشيوعية الغربية على المجتمع والمناهضة لهويته الإسلامية، ومع أنه ألغى ظاهرة الإقطاع إلا أنها لم تكن خطوة حاسمة شديدة الأهمية بعد أن فقد الإقطاعيون واقعا الكثير من نفوذهم وتداعى قبل ذلك بعدة سنوات. علاوة على ذلك لم يحدث النظام الجمهوري أية نقلة إلى الأمام على صعيد طريقة إدارة الجهاز الحكومي، يشخص سماحة السيد عمار الحكيم تلك الإخفاقات بالقول: (إذا أردنا أن نراجع تاريخ المسار الإداري في البلاد فنجد أن الإخفاق والإشكاليات

الإدارية التي عشناها في العهد الملكي حينما تحولنا إلى العهد الجمهوري على يد العسكريين وكانت جمهورية البنادق فشهدنا تراجعاً ملحوظاً في واقعنا الإداري من جديد حيث إن الإدارة تراجعت وحل محلها لغة الأوامر، لأن العسكري يفهم أن الإدارة هي مجموعة أوامر وتعليمات فتحوّلت البلاد في منظومتها الإدارية إلى مجموعة من الأوامر والتعميمات التي يقوم بها الحاكم العسكري في هذه البلاد وتحوّلت إلى منظومة إدارية فيها الكثير من الإشكاليات والتلكؤ لأن الرؤية لم تكن رؤية صحيحة²⁰.

ويبقى أسوأ ما تسبب به الانتقال العنيف والدموي إلى النظام الجمهوري هو فتح الباب لعصر الانقلابات العسكرية، و تغييب إرادة الجماهير، وعسكرة المجتمع وتلاشي ملامح الحياة المدنية، وكل ذلك أدى إلى استنزاف مقدرات البلد و الدخول في دوامة صراعات داخلية وخارجية، وإقصاء وتهميش لمكونات المجتمع العراقي.

وهكذا نرى أنه في عام ١٩٦٣م انقلب عبد السلام عارف على صديقه عبد الكريم قاسم، و بعد أن مات عبد السلام في ظروف غامضة عام ١٩٦٦ تولى رئاسة الجمهورية أخوه عبد الرحمن عارف، واستمر العهد العارفي الذي تميز بالطائفية السياسية و القسوة في ضرب المعارضين حتى انقلاب تموز الأسود و وصول حزب البعث إلى السلطة عام ١٩٦٨م.

انقلاب تموز الأسود و وصول البعث للسلطة

وصل حزب البعث إلى السلطة بانقلابه العسكري، ولم يكن هذا الحزب الذي عاث في البلاد الخراب والدمار سوى عصابة، يقول سماحة السيد الحكيم في تشخيص واقع الحكم البعثي: (لقد جاءت عصابات وحكمت البلد، من قبيل عصابة اسمها حزب البعث العربي الاشتراكي، كل من كان مع هذه العصابة أصبحت له حظوة وكل من ليس معها لوهق وطورد وصوردت ممتلكاته وقبض عليه)²¹.

وبالفعل مارس حزب البعث جرائم شنيعة و مجازر مروعة طالت حتى بعض من

20 - الملتقى الثقافي - بتاريخ 2014/9/4

21 - اللقاء بشيوخ عشائر الصويرة - بتاريخ 2011/4/30

كانوا محسوبين على قيادته، و دخل في تصفيات داخلية قادها الدكتاتور صدام حين كان نائبا للرئيس أحمد حسن البكر الذي كان مجرد جزر آخر من البعث، وأحكم الحزب الذي يعود تأسيسه إلى ميشيل عفلق في الأربعينيات من القرن الماضي وبدعم من المخابرات الدولية العالمية والإقليمية، أحكم هذا الحزب سلطته على كل مظاهر الحياة العراقية طوال أكثر من ثلاثة عقود، كانت مليئة بالمرارة و القسوة والاضطهاد، والحروب الكارثية التي شنّها على دول الجوار، وأهدرت طاقات ومقدرات العراق وأضرّت بمستقبله ضررا ما زال العراقيون يدفعون ضريبته الباهظة.

جاء البعث تحت شعارات براقّة أهمها شعار الحزب (وحدة- حرية- اشتراكية)، ولكنه لم يعمل إلا على عكس هذه الشعارات تماما، فلم يكن وجوده إلا عنصرا أثار الفرقة والتناحر وأعاق قيام الوحدة بين البلدان العربية، وتوجّ كل ذلك بضربة قاصمة للوحدة العربية والإسلامية بعد حربه المدمرتين ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية ودولة الكويت الشقيقة، أما شعار الحرية فكان مجرد نكتة سمجة لا علاقة لسياسات وفكر البعث بها لا من قريب ولا من بعيد، فأية حرية كان يتحدث عنها هذا الحزب وهو صاحب مبدأ ثابت يتمثل في (نقذ ثم ناقش)، بل حتى على صعيد الدعوة إلى الاشتراكية فلم يكن مخلصا لها، إذ أخذ بمبدأ اقتصادي هجين بين الاشتراكية والرأسمالية، ولم يستفد من ثروات العراق الهائلة في صناعة بنية تحتية حقيقية واقتصاد قوي، بل كانت إيرادات النفط و الثروات الأخرى تذهب إلى جيوب السلطة وتوزع على زبائنها ومقربيه، وانتهى بالعراق إلى وضع مأساوي في التسعينيات، فكان الشعب العراقي من أفقر شعوب المنطقة بل العالم وهو صاحب أضخم ثروات الطبيعة في المنطقة!!

بعض من سياسات البعث ونتائجها

لا بد أن تبقى الذاكرة العراقية مستفزة وحاملة لما جرى في حقبة البعث، وسياساته المدمرة، و نذكر هنا بعضا من تلك السياسات التي انتهجها حزب

البعث وسلطة صدام و ما قادت إليه من دمار وخراب:
مصادرة كل أشكال الحريات العامة المدنية والسياسية، وجعل الانتماء إلى حزب
البعث معيارا وحيدا للوطنية، فاقتزل الوطن العراقي بتاريخه وحضارته وتنوعه
بحزب طارئ وبمفاهيم غريبة عنه، ثم اختزله بالرجل الواحد وقائد الضرورة.
مارس حملات التصفية الجسدية لكل من لا يواليه ويعارض سياساته، ولا



أم مع طفلتها يقضيان ضحية السلاح الكيميائي في حلبجة، عام ١٩٨٨



مقبرة جماعية لضحايا الانتفاضة الشعبانية و والد يبحث عن أشلاء ولده فيها

يؤمن بمبادئ الحزب، فاعتقل
وزج في سجونهم ومعتقلاته
آلاف الشباب الأبرياء ولاسيما
من الخط الرسالي والتيارات
الإسلامية العاملة التي رفضت
الظلم والتسلط.

ممارساته الاستبدادية ضد
المراجع الدينية والشخصيات
العلمائية، و شن حملات
التصفية الجسدية ضدهم،
بداية من السبعينيات مرورا
بحقبة الثمانينات، وانتهاء بما
جرى من تصفيات لعلماء كبار
في التسعينيات.

احتكار مقدرات الدولة و
الاستيلاء على المال العام
ونهبه و وضعه في حسابات
مصرفية لعائلة صدام

ومقربيه. فضلا عما أحرقته حرابه العنيفة التي قدرت تكاليفها في الحرب
العراقية الإيرانية فقط بأكثر من ٤٠٠ مليار دولار، فضلا عن الخسائر المضاعفة في
حرب الكويت وما بعدها.

شن الحروب المدمرة التي زرعت الخراب و الدمار وتسببت بقتل ما لا يقل عن مليونين من العراقيين فضلا عما لا يقل عن خمسة ملايين معاق ومصاب. إدخال البلاد في عزلة دولية خانقة، وحصار اقتصادي أهلك الحرف والنسل، و أعاد العراق قرونا إلى الورا.

أقدم على محاربة الشعب في الجنوب والشمال، واستخدم الأسلحة المحرمة دوليا لقتل آلاف المواطنين في المناطق الكردية و الأهوار، وفي مقدمة تلك الجرائم، وأكثرها بشاعة جريمة حلبجة التي ذهب ضحيتها أكثر من خمسة آلاف شخص، أما الجريمة الكبرى التي لم يشهد لها تاريخ المنطقة مثيلا فهو قمعه للانتفاضة الشعبانية و قتله قرابة نصف مليون مواطن عراقي في مناطق الجنوب والوسط.

موقف المرجعية الدينية في العهد الجمهوري

في العهد الجمهوري ظهرت تيارات فكرية وسياسية مختلفة، وكان الكثير منها متأثرا بالأفكار والأيديولوجيات الغربية وتنوعت بين مادية واشتراكية وشيوعية و قومية وديمقراطية، و مثل الكثير منها تحديا لهوية البلاد وجدّ في محاولة التلاعب بقيم وأعراف اجتماعية ودينية راسخة في العراق منذ قرون طويلة. ولهذا كان لا بد للمرجعية الدينية وللفقهاء والأعلام أن ينبروا للتصدي لها، والمحافظة على هوية الأمة العراقية، وخصائصها الاجتماعية والفكرية والثقافية، والتأكيد على الجوانب الوطنية ووحدة البلاد، و عدم السماح بالتدخلات الأجنبية الشرقية والغربية، و قد كانت الظروف معقدة تعقيدا شديدا و كان لا بد من رؤية موضوعية ثاقبة توازن بين الضرورات والأوليات وتأخذ بنظر الاعتبار المساحة التي تسمح بالحركة و التغيير الإيجابي والفعل البناء، و هكذا وجدت المرجعية الدينية والفقهاء والمجاهدون الأعلام في التيار الإسلامي ضرورة قصر العمل على نشر الثقافة والتأكيد على ترصين الجوانب الفكرية والثقافية للمجتمع العراقي ونخبته و شبابه. وقد كان هذا الرأي والتوجه منطلقا بالأساس من الإمام السيد محسن الحكيم رضوان الله عليه، وسرعان ما عمل به الجميع آنذاك، فقد

كانت الوفود تترى على سماحته لتستطلع رأيه وتأخذ بنصيحته، و قد كان قدس سره يوصي الجميع بأمر واحد هو التأكيد على نشر الثقافة الإسلامية، و ما أن استحكمت حلقات البلاء بوصول البعث إلى السلطة حتى زاد نشاط الإمام الحكيم و توسعت حركته وجهوده في نشر الثقافة الإسلامية الأصيلة و التواصل مع الفئات المختلفة ولاسيما الشباب في كل مناطق العراق. ومن ذلك فتح المكتبات ونشر وطباعة الكتب والرسائل التي تؤكد على ثوابت الإسلام وحفظ هويته. وقد كان السيد محسن الحكيم «قدس» قد أدرك منذ اللحظة الأولى لتولي البعث لمقاييد السلطة أن المستقبل المرتقب لن يكون في ظل حكم هذا البعث إلا مرحلة حالكة وعصيبة، يقول سماحة السيد عمار الحكيم نقلا عن عزيز العراق: (عندما جاء انقلاب حزب البعث فتح السيد محسن الحكيم "قدس" الراديو ليرسم أن هناك انقلابا، وترقبوا بعد قليل البيان رقم واحد، وكل الناس كانوا يترقبون من جاء ومن عمل هذا الانقلاب، يقول: انتظرنا إلى أن قرب وقت صلاة المغرب والسيد محسن الحكيم "قدس" كانت لديه صلاة في صحن أمير المؤمنين "ع" ولا يستطيع الانتظار فخرج وذهب للصلاة، يقول الوالد: بقيت على الراديو أتابع لأسمع البيان رقم واحد لأرى من هي الجهة الانقلابية، وبعد المغرب أعلنوا البيان، أن حزب البعث العربي الاشتراكي هو صاحب الانقلاب، فخرجت إلى الحرم وكان السيد محسن الحكيم "قده" قد أنهى الصلاة توا، فجئت بالقرب منه، وبين صلاة المغرب والعشاء جلست بالقرب منه وقلت له: سيدنا إن الجهة الانقلابية هي حزب البعث العربي الاشتراكي، فقال السيد محسن "قدس" وهو جالس: إنا لله وإنا إليه راجعون، في وقت كان الهتاف: وحدة وحرية واشتراكية، والناس تصفق وتهلل والنخب فرحة، لكن السيد محسن الحكيم من أول يوم عرف من هم البعثيون، وقال إنا لله وإنا إليه راجعون، وكان هذا موقف السيد محسن الحكيم "قده" يمثل رؤية عميقة للواقع)²².

ولهذا لم يكن لدى الإمام الحكيم رضوان الله عليه سوى أمل وحيد هو سقوط و زوال حكم حزب البعث المجرم، يروي سماحة المرجع الوحيد الخراساني للسيد عمار

22 - اللقاء بقيادات تجمع الأمل في عموم العراق - بتاريخ - 2011\10\22

الحكيم بعضاً من ذكرياته عن تلك المرحلة الحرجة حين كان تلميذاً للسيد أبي القاسم الخوئي، حيث يقول سماحة المرجع: (ذهبت ذات يوم إلى السيد الخوئي فرأيت قلبه يعتصر ألماً، ويكثر من التدخين، فاقتربت منه وقلت له: سيدنا ما عهدتك بهذه الطريقة، فأنت صلب صبور، فقال لي كنت عند السيد محسن الحكيم فقطع قلبي هذا الرجل، قلت له: وما الذي حدث؟ قال كنت جالسا عنده وقال لي سيدنا أبا القاسم عندي أمل وحيد أتمنى من الله سبحانه وتعالى أن يحقق لي هذا الأمل، قلت له سيدنا، وما هو هذا الأمل؟ قال أمني أن أرى نهاية حزب البعث في العراق، وهنا يعلق الشيخ الخراساني فيقول، إن الله سبحانه وتعالى استجاب للسيد محسن ولكن ليس هو من رأى، وإنما هم أبناؤه وأحفاده الذين كانوا حاضرين ومؤثرين في هذه العملية، وهذه آهات السيد محسن الحكيم التي نتنعم بها وببركتها، ويحكم من يحكم اليوم في العراق)^{٢٣}.

العراق ما بعد البعث

سقط النظام البعثي الصدامي في التاسع من نيسان ٢٠٠٣م، وهو سقوط نتج عن انهيار ركائز النظام بفعل سياسات البطش والتنكيل التي انتهجها، وما أدت إليه من غليان جماهيري عارم عبّر عن نفسه في الانتفاضة الشعبانية الخالدة، ولهذا كان سقوطه لا بسبب التدخل الأجنبي الذي قادته الولايات المتحدة الأمريكية بل كان نتيجة منطقية و حتمية لبسالة الشعب العراقي في تلك الانتفاضة وما تبعها، حيث تم تعرية النظام وفقدانه الشرعية الكاملة أمام المجتمع الدولي، ولولا ذلك كان من الصعب توقع أن يقدم هذا المجتمع على تأييد الإجهاز عليه في عام ٢٠٠٣. يوضح سماحة السيد عمار الحكيم هذه الحقيقة التاريخية التي يجب أن لا تغيب عن التدوين التاريخي للعراق الجديد، بالقول: (لقد قال الشعب العراقي كلمته في انتفاضة ١٩٩١، وكان لتلك المقولة المدوية التي انطلقت من البصرة الفيحاء، من قلب الجنوب، من عاصمة الخير العراقي، وشملت ما يقارب من ١٤ محافظة لتكون بداية الانطلاقة الحقيقية في عملية تغيير النظام. ذلك

الحدث الكبير الذي أوصلنا إلى ما نحن فيه اليوم. ومن يعتقد سقوط النظام تم في عام ٢٠٠٣ و بفعل قوة عسكرية أمريكية أجنبية جاءت وأسقطته فهو مخطئ، فلماذا لم تأت هذه القوة قبل ذلك؟ و لماذا جاءت بهذا التوقيت حينما وجدت أن هذا النظام لا يمثل مصلحة لها؟ والسؤال هنا من الذي جعل نظام صدام فاقدا للشرعية وعاجزا عن تحقيق مصالح الدول الأجنبية التي طالما وقف ولبى مطالبها؟ من الذي عزل النظام و من الذي أفرغه من محتواه؟، ويضيف سماحته موضحا الإجابة السليمة لهذه التساؤلات قائلا: (إن انتفاضة الخامس عشر من شعبان المترامنة مع آذار ١٩٩١ كانت هي الشرارة والبداية التي سحبت الشرعية من النظام، إن الله سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل، البعض من قصيري النفس والنظر يريد أن يرى النتائج في لحظة واحدة، وهذا غير ممكن، فقد تزرع اليوم ولكنك ستحصد بعد ثلاثة أشهر أو ستة أشهر، وأحيانا تعرس نبتة ثم تنتظر عشر سنوات أو حتى خمس عشرة سنة، وهكذا فنبتة الحرية عُرس في ٩١ حتى نقطف ثمارها في ٢٠٠٣)٢٤. كما أن سماحة السيد أكد في إحدى المناسبات على الانعطاف التاريخي والتحول المهم الذي أحدثته الانتفاضة بوجه النظام، حيث قال سماحته: (مواجهة الشعب للدكتاتور قبل الانتفاضة كانت مواجهة نخوية يتصدى لها نخبة من العلماء والشباب المثقف الحركي من الذين شخصوا حقيقة النظام الدكتاتوري منذ بدايته، وقرروا مواجهته حتى جاءت الانتفاضة الشعبانية لتتحول المواجهة من النخبة إلى الجماهير، وتشعل جذوة الحماس والثورة لدى شعبنا المظلوم وتؤسس للشعب المقاوم وتدق المسمار الأكبر في نعش الطاغية، فمنذ الانتفاضة الشعبانية لم يعد الدكتاتور إلى سلطته المعهودة وبدأ العد التنازلي لانهيائه وزواله، لقد كانت الانتفاضة الأكبر في تاريخ الشعب العراقي الحديث، حيث شاركت فيها أكثر من ١٤ محافظة من أصل ١٨ ، وكافة طبقات المجتمع وأثبتت للدكتاتور وحزبه العبثي أن هذا الشعب يرفضه ويرفض سلطته وأيديولوجيته وكل ما له علاقة به)٢٥.

24 - لقاء تنظيمات المجلس الأعلى في البصرة- بتاريخ 2/3/2012

25 - كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في احتفالية ولادة الإمام المهدي «عج»، بتاريخ 2015/6/3

مراحل بناء وتأسيس العراق الجديد

انطلقت مرحلة تاريخية جديدة تدشن لمستقبل العراق بروح من التفاؤل والإيمان والثقة بالله تعالى أولاً والشعب العراقي الذي تحمل تضحيات جسيمة قبل وبعد سقوط النظام ثانياً.

وقد اختطت مسارات البناء الجديد انطلاقاً من مرحلة أولى تعاملت مع الواقع والظروف الموضوعية حيث تواجد القوات الأجنبية و الاعتراف بها من قبل الأمم المتحدة ومجلس الأمن كقوات محتلة، و سارت الأمور عبر المراحل التالية:

مجلس الحكم: وهو عبارة عن هيئة إدارية تشكلت بتاريخ ٢٢ تموز ٢٠٠٣م، تكونت من (٢٥) عضواً، يمثلون مختلف المكونات والتيارات والأحزاب العراقية، و بصلاحيات محددة، على أن يتولى رئاسة المجلس عضو من الأعضاء بصورة دورية وبحسب التسلسل الأبجدي لأسماء أعضائه. اعترفت الجامعة العربية بمجلس الحكم العراقي في حزيران ٢٠٠٤م، و وافقت على أن يشغل مجلس الحكم مقعد العراق في الجامعة العربية. وقد استمر مجلس الحكم حتى منتصف عام ٢٠٠٤ حيث تم حله بعد تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة. تولى السيد عزيز العراق «قدس» رئاسة المجلس لشهر كانون الأول ٢٠٠٤م.

الحكومة العراقية المؤقتة: وهي الحكومة التي تشكلت في ٢٨ حزيران ٢٠٠٤م، خلفاً لمجلس الحكم، و قد كانت تمثل خطوة ضرورية باتجاه استرداد السيادة والاستقلال للبلاد، و رأس هذه الحكومة الدكتور أياد علاوي رئيساً للوزراء، فيما كان الشيخ غازي عجيل الياور رئيساً للجمهورية. وضمت الحكومة المؤقتة (٣١) وزيراً من مختلف ألوان الطيف العراقي. اعترفت الأمم المتحدة والجامعة العربية والعديد من الدول بالحكومة العراقية كممثل شرعي للشعب العراقي. وقد واجهت الحكومة مصاعب أمنية وسياسية آنذاك، تمثلت في سقوط الفلوجة بيد الزمر الإرهابية، و اضطراب الأمن في العاصمة وما حولها، و تفشي ظهور المجاميع المسلحة غير الشرعية. انتهت صلاحية هذه الحكومة بتاريخ ١٣ أيار ٢٠٠٥م.

الحكومة الانتقالية: وهي الحكومة التي تشكلت على أثر انتخاب الجمعية

أن هذا النظام لا يمثل مصلحة لها؟ والسؤال هنا من الذي جعل نظام صدام فاقدا للشرعية وعاجزا عن تحقيق مصالح الدول الأجنبية التي طالما وقف ولبى مطالبها؟ من الذي عزل النظام و من الذي أفرغه من محتواه؟، ويضيف سماحته موضحا الإجابة السليمة لهذه التساؤلات قائلا: (إن انتفاضة الخامس عشر من شعبان المترامنة مع آذار ١٩٩١ كانت هي الشرارة والبداية التي سحبت الشرعية من النظام، إن الله سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل، البعض من قصيري النفس والنظر يريد أن يرى النتائج في لحظة واحدة، وهذا غير ممكن، فقد تزرع اليوم ولكنك ستحصد بعد ثلاثة أشهر أو ستة أشهر، وأحيانا تغرس نبتة ثم تنتظر عشر سنوات أو حتى خمس عشرة سنة، وهكذا فنبتة الحرية عُرسَت في ٩١ حتى نقطف ثمارها في ٢٠٠٣)¹. كما أن سماحة السيد أكد في إحدى المناسبات على الانعطاف التاريخي والتحول المهم الذي أحدثته الانتفاضة بوجه النظام، حيث قال سماحته: (مواجهة الشعب للدكتاتور قبل الانتفاضة كانت مواجهة نخوية يتصدى لها نخبة من العلماء والشباب المثقف الحركي من الذين شخصوا حقيقة النظام الدكتاتوري منذ بدايته، وقرروا مواجهته حتى جاءت الانتفاضة الشعبانية لتتحول المواجهة من النخبة إلى الجماهير، وتشعل جذوة الحماس والثورة لدى شعبنا المظلوم وتؤسس للشعب المقاوم وتدق المسمار الأكبر في نعش الطاغية، فمنذ الانتفاضة الشعبانية لم يعد الدكتاتور إلى سلطته المعهودة وبدأ العد التنازلي لانتهائه وزواله، لقد كانت الانتفاضة الأكبر في تاريخ الشعب العراقي الحديث، حيث شاركت فيها أكثر من ١٤ محافظة من أصل ١٨ ، وكافة طبقات المجتمع وأثبتت للدكتاتور وحزبه العبثي أن هذا الشعب يرفضه ويرفض سلطته وأيديولوجيته وكل ما له علاقة به)².

1 - لقاء تنظيمات المجلس الأعلى في البصرة - بتاريخ 2/3/2012
2 - كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في احتفالية ولادة الإمام المهدي «عج»، بتاريخ 2015\6\3

مراحل بناء وتأسيس العراق الجديد

انطلقت مرحلة تاريخية جديدة تدشن لمستقبل العراق بروح من التفاؤل والإيمان والثقة بالله تعالى أولاً والشعب العراقي الذي تحمل تضحيات جسيمة قبل وبعد سقوط النظام ثانياً.

وقد اختطت مسارات البناء الجديد انطلاقاً من مرحلة أولى تعاملت مع الواقع والظروف الموضوعية حيث تواجد القوات الأجنبية و الاعتراف بها من قبل الأمم المتحدة ومجلس الأمن كقوات محتلة، و سارت الأمور عبر المراحل التالية:

مجلس الحكم: وهو عبارة عن هيئة إدارية تشكلت بتاريخ ٢٢ تموز ٢٠٠٣م، تكونت من (٢٥) عضواً، يمثلون مختلف المكونات والتيارات والأحزاب العراقية، و بصلاحيات محددة، على أن يتولى رئاسة المجلس عضو من الأعضاء بصورة دورية وبحسب التسلسل الأبجدي لأسماء أعضائه. اعترفت الجامعة العربية بمجلس الحكم العراقي في حزيران ٢٠٠٤م، و وافقت على أن يشغل مجلس الحكم مقعد العراق في الجامعة العربية. وقد استمر مجلس الحكم حتى منتصف عام ٢٠٠٤م حيث تم حله بعد تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة. تولى السيد عزيز العراق «قدس» رئاسة المجلس لشهر كانون الأول ٢٠٠٤م.

الحكومة العراقية المؤقتة: وهي الحكومة التي تشكلت في ٢٨ حزيران ٢٠٠٤م، خلفاً لمجلس الحكم، و قد كانت تمثل خطوة ضرورية باتجاه استرداد السيادة والاستقلال للبلاد، و رأس هذه الحكومة الدكتور أياد علاوي رئيساً للوزراء، فيما كان الشيخ غازي عجيل الياور رئيساً للجمهورية. وضمت الحكومة المؤقتة (٣١) وزيراً من مختلف ألوان الطيف العراقي. اعترفت الأمم المتحدة والجامعة العربية والعديد من الدول بالحكومة العراقية كممثل شرعي للشعب العراقي. وقد واجهت الحكومة مصاعب أمنية وسياسية آنذاك، تمثلت في سقوط الفلوجة بيد الزمر الإرهابية، و اضطراب الأمن في العاصمة وما حولها، و تفشي ظهور المجاميع المسلحة غير الشرعية. انتهت صلاحية هذه الحكومة بتاريخ ١٣ أيار ٢٠٠٥م. الحكومة الانتقالية: وهي الحكومة التي تشكلت على أثر انتخاب الجمعية

الوطنية الانتقالية، التي فاز فيها الائتلاف العراقي الموحد بقيادة عزيز العراق وحصل على ١٤٠ مقعداً، وكانت المهمة الأبرز للجمعية الوطنية هي كتابة الدستور الدائم للعراق الذي يجري التصويت عليه من قبل الشعب باستفتاء عام، والإعداد لقيام انتخابات عامة لتشكيل حكومة دائمة لأربع سنوات. حازت الحكومة الانتقالية برئاسة السيد إبراهيم الجعفري على ثقة الجمعية الوطنية العراقية بتاريخ ٢٨ نيسان ٢٠٠٥.

الدستور الدائم: كتب أول دستور دائم للعراق بعد مراحل طويلة في ظل دساتير مؤقتة، وأجري عليه الاستفتاء بتاريخ ١٥ تشرين الأول ٢٠٠٥، ودخل حيز التنفيذ في عام ٢٠٠٦ م. وكتب الدستور بواسطة لجنة تألفت من (٥٥) عضواً مثلوا كل أطراف المجتمع العراقي، وترأس هذه اللجنة الشيخ همام حمودي ومن ثم ترأس لجنة تعديل الدستور كذلك.

مجلس النواب العراقي: وهو المجلس الذي تشكل على أثر انتخابات ١٥ كانون الأول ٢٠٠٥، وتكون المجلس من ٣٢٥ مقعداً، وانبثقت عن المجلس أول حكومة دائمة كاملة السيادة من الناحية القانونية برئاسة السيد نوري المالكي الذي تولى رئاستها في شهر أيار ٢٠٠٦.

اتفاقية خروج القوات الأمريكية: انسحبت القوات الأمريكية من العراق نهاية عام ٢٠١١ م، واسترد العراق كامل سيادته الوطنية، ولم ينقصها سوى الخروج من الفصل السابع لميثاق الأمم المتحدة، وهو ما تم في عام ٢٠١٣ ومن خلال قرار مجلس الأمن المرقم ٢١٠٨.

الدور الوطني لتيار شهيد المحراب

لقد أسهم المجلس الأعلى وتيار شهيد المحراب في عملية تأسيس العراق الجديد إسهاماً جوهرياً وممارس دوراً تاريخياً لا يخفى على أحد. ويمكن اختصار هذا الدور في جملة من النقاط التالية:

لعب المجلس الأعلى وقيادته دوراً محورياً كبيراً في كشف حقائق ما كان يجري

في العراق زمن الدكتاتورية و إيضاح ذلك للرأي العام وفي مختلف المحافل الدولية والمنظمات الحقوقية والإنسانية، فقدم البيانات و الأدلة المطلوبة لإدانة النظام، وأقام مراكز البحث والمراقبة و الأرشفة لمد المنظمات المعنية بكل ما كان يجب أن يتوفر ليشكل تصورا واضحا لدى الرأي العام حول جرائم النظام البعثي. وكان لهذه الخطوات دورها المهم في حشد الرأي العالمي والأممي للوقوف بوجه الدكتاتورية الصدامية البائدة.

كان المجلس الأعلى بقياداته داعما لبناء عراق ديمقراطي تعددي قائم على أساس العدل والمساواة بين مكوناته، و برغم أن المجلس الأعلى لم يكن ليرى في الاحتلال الأجنبي الذي قاده الولايات المتحدة الصيغة الأنسب لإسقاط النظام، بل رأى أن يتم دعم الشعب العراقي و هو الذي يمتلك القدرة والشجاعة على الإطاحة بذلك النظام. بيد أن هذا الرأي لم يجد له صدى لدى الدوائر المعنية، وحدثت الكثير من التبعات السلبية التي كان قد حذر منها المجلس الأعلى وتيار شهيد المحراب. ومع هذا لم يتردد المجلس الأعلى في بذل كل الجهود لبناء العراق وإعادته إلى السكة الصحيحة، فشارك في مجلس الحكم عبر شخصية السيد عزيز العراق وبتوجيه مباشر من المرجعية الدينية المباركة.

طالب المجلس الأعلى بضرورة قاطعة وملحة للإسراع بترتيب الوضع الانتقالي و استرداد السيادة الوطنية، وذلك بتسليم السلطة إلى العراقيين و تشكيل حكومة مؤقتة و الاستعداد فجراء الانتخابات التي يعبر من خلالها الشعب العراقي عن إرادته الحرة بعد عصور من القمع والتنكيل ومصادر الحقوق.

جعل المجلس الأعلى قضية كتابة الدستور إحدى أهم الأولويات، ولم ينقطع عن المطالبة بذلك حتى تم تشكيل لجنة كتابة الدستور برئاسة الشيخ همام حمودي. واستمر المجلس الأعلى وتيار شهيد المحراب بالدعوة إلى التزام بنود الدستور بعد التصويت عليه، والإلحاح في كل مناسبة على أهمية اعتباره المرجعية الأولى والأساسية للبلاد، و أن يخضع مبدأ حل المشاكل والصعوبات للاحتكام إلى الدستور وألياته.

شارك المجلس الأعلى في الانتخابات، وأكد بصفة مستمرة على أنها المكسب

الأهم في تاريخ العراقيين وأنها الآلية الضامنة لحقوقهم، ولهذا أطلق حملات متواصلة ودعوات مستمرة بضرورة ممارسة المواطن العراقي لحقه الانتخابي وعدم تضييع مثل هذا الحق، و لم يشترط هذا الخطاب الوطني أن يكون التصويت مرشحي التيار شهيد المحراب، فالقضية ليست متعلقة بمكاسب خاصة وضيقة بل بمصلحة الوطن ومستقبله وأجياله، وضرورة إنجاز العملية السياسية وإيصالها إلى بر الأمان.

وفي سبيل نجاح هذه العملية لم يتوقف تيار شهيد المحراب عند المكاسب الآنية و المصالح الأنانية بل أكد باستمرار قولاً وعملاً على أن الهدف هو الأساس هو بناء عراق حر ديمقراطي يحفظ هويته ويؤمن مستقبل أبنائه، وأن النجاح لطرف هو نجاح للكل، فالمغزى المعتبر هو تحقيق المصالح الوطنية وليست المصالح الفئوية والحزبية وغيرها.

وانطلاقاً من هذا الحرص لم يقف المجلس الأعلى وتيار شهيد المحراب وكتلة المواطن البرلمانية يوماً بوجه مشاريع أو مساعٍ أو حلول تصب في خدمة العراق والعراقيين، بل وتعامل بروح من الإيثار السياسي و انتهاز أسلوب التقوى السياسية، و دعا إلى الحوار والتوافق الوطني وإرساء قيم التعايش و الانسجام في إدارة شؤون البلاد والابتعاد عن الصراعات السياسية و منع التدخلات الخارجية، و غير ذلك مما تميزت به مواقف الدعم لتأسيس العراق الجديد وضمن مستقبل أجياله، من خلال ترسيخ المنجزات المتحققة وعدم التفريط بها لكونها جاءت بعد سفر خالد من التضحيات التي قدّمها الشعب العراقي بكل مكوناته وفئاته وطبقاته الاجتماعية.

التنشئة الوطنية

رؤية منهجية لتيار شهيد
المحراب في بذر وتعزيز روح
الانتماء الوطني

لا يمكن أن يطرح الحديث عن الوطن والروح الوطنية والمواطنة وضرورة استحضارها ونتائجها ثمارا حقيقية ما لم يكن ثمة عمل يجب القيام به، عمل يعزز من شعور الانتماء إلى الوطن ويرسم حدود العلاقة معه ويرسخ من قيم حبه والاعتزاز به في نفوس المواطنين، وينطلق كل عمل حقيقي وإيجابي في هذا الصدد من ضرورة التنشئة الوطنية الصحيحة والسليمة.

وما نقصده بالتنشئة الوطنية هو:

العملية التي يكتسب من خلالها الأفراد سلوكيات ومعايير وضوابط تعزز من انتمائهم إلى وطنهم وتشعرهم بقوة الرابطة الذي يربطهم به وبالمجتمع الذي ينتمون إليه، وبالتالي يكون ذلك أحد الملامح التي تشكل شخصياتهم. وتتضمن التنشئة الوطنية التي نتحدث عنها جملة من الآليات والطرق التربوية التي تبذر القيم الوطنية وتعززها في الجيل الناشئ، فضلا عن الإجراءات و القوانين التي تكفل تحقيق تلك الغاية، على أن ينتظم كل ذلك وفقا لرؤية منهجية مدروسة و واضحة.

ونطرح هنا رؤيتنا في تيار شهيد المحراب لرسم خارطة طريق تهدف إلى تحقيق ما يلي:

زرع الروح الوطنية وحب الوطن في نفوس النشء الجديد.

ترسيخ مبادئ وقيم الوطنية الحقيقية والمحافظة عليها.

تحقيق التوازن المطلوب في النظر إلى الحياة، والوطن جزء أساس من حياة الأفراد.

ولا بد قبل كل شيء أن نؤشر إلى قضية مفصلية لا يمكن الحديث عن العلاقة بين الإنسان و الوطن بمعزل عنها، و تتمثل في أن الفرد برغم تعلقه بوطنه على نحو فطري إلا أن مشاعره تجاه وطنه يمكن أن تهن أو حتى تتلاشى بناء على طبيعة التجربة الشخصية التي يعيشها، وبعبارة أوضح فإن مستوى الاستقرار والرفاهية التي يحظى بها الفرد تتحكم على نحو مباشر بتلك العلاقة القائمة بينه ووطنه، فحين يتمتع الشخص بمستوى من العيش الكريم والرفاهية المقبولة فإنه سيكون أكثر تعلقا بالوطن وأكثر محافظة على علاقة الانتماء والاعتزاز التي

تربطه به، وفي حال طبعت حياته القسوة والحرمان والأزمات المستمرة فإن العلاقة ستتأثر لا محال، ولا يجدي معها ما تم غرسه من مفاهيم وقيم في نفسه عبر التنشئة الإيجابية التي مر بها على فرض تحققها.

إن هذه النظرة الواقعية لا يمكن إغفالها أو القفز على حقيقتها الصارخة في حياة الناس أينما كانوا، فقد لجأت على مر التاريخ الإنساني شعوب بأكملها إلى الهجرة من أوطانها إلى أماكن أخرى بحثاً عن ظروف حياتية أفضل، ولا يمكن التشكيك بحقيقة تعلقها بأرضها وبيئتها و موطنها، إلا أن حجم التحديات المعيشية الهائلة تجبرها على التخلي عن كل ذلك سعياً وراء متطلبات الحياة الطبيعية. وبالنسبة إلينا فإن من المطمئن أن العراق بلد غني وذو إمكانيات اقتصادية هائلة وفي جميع محافظاتنا كما سيتضح لنا في الفصل القادم، الأمر الذي يجعل التفاؤل بالمستقبل قائماً على أساس متين، وهذه الحقيقة تقلل كثيراً من الافتراضات المزعجة وتفتح الباب لإمكانية تجاوز التحديات والصعوبات على هذا المستوى.

ومن هنا تتضح أهمية ما ذكرناه في الفصل الأول من هذا الكاتب حول (المواطنة) باعتبارها ترسيخاً للحقوق والواجبات على الدولة والفرد معاً، فالعلاقة القائمة بين الطرفين، الدولة من جهة باعتبارها المؤسسة الإدارية العامة والتي تعكس ما تكون عليه صورة الوطن في ذهن المواطن، والشعب من جهة أخرى، هي علاقة مبنية على التوازن بين جملة من الحقوق المترتبة على الدولة و المواطنين و الواجبات الموازية لها وعلى الطرفين معاً.

تحديد المفاهيم

تعتبر قضية الوضوح والتحديد للمفاهيم قضية على قدر كبير من الأهمية في الحياة الإنسانية، وعليه فإذا ما أردنا تنشئة وطنية ضمن عملية تربوية ناجحة فلا بد من أن تكون المفاهيم الأساسية المتعلقة بها وبموضوعها واضحة ومحددة تماماً.

ومن بين ابرز هذه المفاهيم:

الوطن: فالوطن هو ليس رقعة من الأرض وحسب، لأن من شأن التحديد أو التركيز على هذا الجانب فقط أن يجر إلى نتائج وتبعات عكسية في حال كانت ثمة تعددية قومية أو دينية في البلد ضمن جغرافيا محددة، كما أنه ليس النظام السياسي ولا شخصية الحاكم، لأن بعض الأنظمة الدكتاتورية تجعل من مفهوم الوطن ذائبا في مفهوم السلطة، وسنتطرق إلى ذلك لاحقا، وأيضا فإن الوطن ليس هو المجتمع بثقافته وخصوصيات الطابع الاجتماعي التي تميزه، لأن هذه الأمور قد تختلف وتتباين بهذا القدر أو ذلك من مكان إلى آخر ضمن البلد الواحد نفسه، بل كما ارتأينا تعريفه في الفصل الأول بالقول إن: (الوطن إنما يعرف على أساس الانتماء إلى الأرض ووجود روابط ثقافية واجتماعية وفكرية وسياسية بين الفرد والأفراد الآخرين الذين يعيشون على الرقعة الجغرافية المحددة نفسها وتجمعهم ذات الروابط المشتركة). بمعنى أن مفهوم الوطن يقوم على كل هذه الأسس مجتمعة والتي جاءت في التعريف.

الولاء الوطني: يعرف الولاء الوطني بأنه حالة شعورية وقناعة بالانحياز إلى الوطن وقضاياه على حساب الولاءات الفرعية الأخرى، و قد مر بنا الحديث عن ذلك في مبحث الهوية الوطنية، ونجد من المناسب التأكيد على أن الولاء الوطني من منظورنا لا يستلزم التنكر للولاءات الأخرى، سواء كانت قومية أو دينية أو غيرها، بل يجب أن لا تتغلب هذه الولاءات الفرعية على الولاء الوطني ولا تنال منه بشكل ما، إذ يبقى من حق المواطنين الاعتزاز بهوياتهم تلك والتعبير عن خصوصياتها ولا يؤخذون على التغني والإشادة والفخر بها، طالما توفر الشرط السابق وهو أن لا تتحول الهوية الفرعية إلى هوية أصلية تتنكر لهوية الوطن، وتتصدر عليها.

التنشئة الوطنية: لقد سبق تعريف التنشئة الوطنية آنفا، و سنزيد هنا القول إن التنشئة هي عملية تربوية لها شروطها ومناهجها وأهدافها، ولكي لا يختلط هذا المفهوم بمفاهيم تربوية أخرى فإن من المناسب التأكيد على أنها في الدول المتقدمة تعني عملية شمولية واسعة ذات أبعاد متعددة تركز على جوانب

نفسية وصحية وعلمية واقتصادية واجتماعية، وبالتالي فهي أكثر تعقيدا من كل نواحي التنشئة والتربية الأخرى، وإن كانت بشكل عام تعد جزءا من التنشئة الاجتماعية. ومع هذا فلا بد من توضيح أن التنشئة الوطنية كنهج تربوي قصدي لا تعني أنها غير متحققة في ظل غياب هذا المنهج الموجه والمرعي من قبل الدولة أو الجهات الاجتماعية بمختلف مؤسساتها بدءا من الأسرة صعودا إلى المؤسسات الأخرى، فالتنشئة الوطنية عملية مستمرة وربما تكون بشكل لا إرادي وغير مقصودة بنفسها، والسبب في ذلك هو ما سبق أن أشرنا إليه من تعلق فطري للإنسان بوطنه أرضا ومجتمعا وهوية، وبالتالي ينقل الجيل السابق إلى الجيل اللاحق بطريقة أو بأخرى مشاعره ونظراته وتقديره لوطنه، ويحاول غرسها في نفوس الأبناء بآليات عفوية أحيانا.

مقومات التنشئة الوطنية

لا بد للتنشئة الوطنية أن تتوفر لها مجموعة من المقومات الرئيسة والأساسية التي لا غنى عنها، ويجب توفر شروط تساعد على إنجازها بالشكل الصحيح، ونعرض هنا لأهم تلك المقومات:

الدافع الذاتي: ففي عملية التنشئة لا بد أن يكون ثمة دافع ذاتي لدى الفرد يدفعه باتجاه التحلي ببعض السلوكيات والتصرفات التي يشعر أنها ستوصله إلى هدف معين يسعى إليه، وقد كررنا القول في الصفحات السابقة من أن حب الوطن منغرس في ذات الإنسان حتى قيل إنه حب فطري وتوجّه تلقائي، ولا شك أن أي إنسان يدرك أهمية الاستجابة لمثل هذه الدوافع التي تلبي حاجة عميقة في داخله، وليس بمقدوره تجاهلها وعض الطرف عنها، لأنه في هذه الحالة سيعاني من أزمة نفسية وفراغ يبحث عما يملؤه.

التفاعل: يعتبر عنصرا هاما من العناصر والمقومات التي تنهض على أساسها التنشئة الوطنية، ومقصودنا بالتفاعل هنا التفاعل مع المحيط، وهو أمر يندفع إليه الإنسان بفعل حاجته إليه، وهي حاجات تتعاضد مع نموه في السن.

الإرشاد: إن عنصر الإرشاد والتوجيه من أهم المقومات فحين يتوفر للإنسان عنصر الدافعية والتفاعل فإن ذلك لوحده لا يعني شيئاً ما لم يحضر هذا العنصر الحيوي، وعملية الإرشاد عملية تربوية توضح للفرد مفاهيم حب الوطن وأهميته والوطن هنا بكل ما يعنيه من مجتمع وثقافة وتقاليد وقيم وعادات وتاريخ وغير ذلك.

الفصل بين الوطن والسلطة: قد يتوفر الإرشاد والتوجيه ولكن بطريقة خاطئة، وذلك حين يختلط الولاء للوطن بالولاء للسلطة، وقد يتحقق هذا الأمر ليس على مستوى المؤسسات العائدة للسلطة نفسها فقط، بل ومن المؤسسة الأهم في البناء الاجتماعي وهي الأسرة، حين تكون الظروف ظروف قهر واضطهاد تمارسها السلطات الدكتاتورية، ومن هنا يتضح أن التنشئة الوطنية تجد مناخها المثالي في أجواء منفتحة بعيدة عن الرعب والخوف والقمع.

الوعي العام: ويعني توفر الوعي اللازم لإدراك مفاهيم أساسية في الحياة كأهمية دور الفرد وتأثيره في المجتمع، وأهمية الوطن بالنسبة إليه، ومعنى أن يكون إنساناً وطنياً وعنصراً فاعلاً في الحياة وأنه لا يحسن به الانكفاء والانعزال وعدم المبالاة بالأوضاع العامة والخاصة.

التكاملية: وتعني توفر برامج مدروسة للتنشئة الوطنية تتكامل مع بعضها البعض برغم تنوع الجهات التي يؤدي كل منها دوراً معيناً، ولذلك فإن أطرافاً كالأسرة والمجتمع والمدرسة ووسائل الإعلام والمنظمات المدنية والهيئات العامة وبعض المؤسسات الرسمية المعنية كلها من الواجب أن تتكامل وتتآزر جهودها في سبيل تنشئة جيل متسلح بالإيمان بوطنه ويحمل حب الوطن ومبادئ الوطنية الحقيقية في أعماقه عن قناعة راسخة وقوية.

دور الأسرة في التنشئة الوطنية

تضطلع الأسرة بأهم الأدوار وأكثرها حساسية، فهي المسؤول الأول عن التنشئة الاجتماعية للطفل، فكل أسرة تتولى وظيفة تعليم أبنائها بدءاً من اللغة وانتهاءً

بتعريف قضايا الحياة لهم و تمكينهم من العيش والتفاعل وبناء مستقبلهم واكتساب الخبرات والعادات المطلوبة التي تسهل ذلك عليهم. ومن هنا يبدو دور الأسرة في التنشئة الوطنية دورا هاما ومفصليا، ويمكن أن تلعب الأسرة هذا الدور من خلال:

التعريف بقيمة الوطن وأهميته، وأن لا بديل للإنسان عنه، لزرع الروح الوطنية في داخل الأبناء وهم في مراحلهم الأولى، وتنمية الشعور الفطري لديهم للتعلم بالأرض والمجتمع والثقافة التي ينتمون إليها.

بذر التسامح والمحبة تجاه المجتمع بكل تكويناته وفئاته. والابتعاد عن مشاعر الكراهية والأحقاد لأي سبب أو مسوغ كان. فحب الوطن لا يمكن أن يتأسس من غير حب الإنسان.

تبيان الملامح المتفائلة، و رسم صورة جميلة عن المستقبل بعيدا عن اليأس والإحباط اللذين لا يغنيان ولا يجديان شيئا، بل كفيلا بكسر الرغبة والحماسة لدى الأطفال والشباب، و لا شك أن تنامي بذرة اليأس والقنوط ينتهي إلى عواقب وخيمة على صعيد حياة الفرد والمجتمع.

النأي عن التعصب والانغلاق والتشدد في الولاء الشخصي والحزبي والفئوي، فسيان ذلك إلى الأطفال والمراهقين سيجعل من ولاءهم للوطن قضية ثانوية ويشبون على التشبع بروح الخلافات والعصبية المقيتة. ولهذا جدير بالأهل تربية أبنائهم على قيم الانفتاح والاحترام المتبادل وتأكيد مبدأ استيعاب الآخرين، فلكل حق أن تكون له رؤيته وتصوره الخاص.

إظهار الاعتزاز أمام الأبناء بتاريخ الوطن وشخصياته ومعالمه الأثرية والتراثية وتعريفهم بها وبمواقعها، وسرد الحكايات ذات الدلالات الوطنية المفعمة بحب البلاد وأهلها.

دور المجتمع

يتكون المجتمع من الجماعات والأفراد و لكل منهم دوره و وظيفته الفاعلة في منح المجتمع سماته وملامحه وطبيعته خصائصه المختلفة، ولا شك من خلال هذا

الإطار كان للمجتمع أن يمارس دوره في التنشئة الوطنية، عبر التفاعل اليومي للعلاقات الاجتماعية بين أفرادها بمختلف فئاتهم، ويمكن تبين ذلك الدور من خلال ما يلي:

إشاعة الروح الوطنية وتمثلها عبر الأفعال والتصرفات، فمن شأن ذلك أن يستلهمها النشء الجديد ويتصف بها، فكلما كان المجتمع معتادا على المواقف والسلوكيات التي تنم عن وطنيته كان الجيل الذي ينشأ بين أحضانها منطويا على تلك الصفات التي تحكم تصرفاته ومواقفه ونظرته نحو بلاده.

التقيد بالأنظمة والقوانين والسلوكيات المتحضرة التي تدل على احترام القانون والسلطة، فالشعب الذي تتدنى لديه درجة الالتزام تكون عرى المحبة والولاء للوطن هشة و سريعة الانفصام. والالتزام القانون لا يعني ولاء للسلطة بل للدولة كمؤسسة عليا وهي الصورة التي يتجلى من خلالها الوطن.

تشجيع المبادرات الشخصية والجماعية التي تصب في مصب الوطنية وتنمية روحها الوثابة في أنفس الناس، فيجب جعلها مثلا ونموذجا للاقتداء كي تنغرس في ذهن النشء روح المبادرة في سبيل الوطن والشعب.

نبذ الفرقة والتشردم بين مكونات البلد، وإشاعة التسامح والانفتاح والتواصل بين أبنائه بجميع مكوناتهم وخلفياتهم، فالمجتمع الذي تعتريه روح الانغلاق والتفرقة والحساسيات لا يمكنه إنتاج جيل مفعم بحب الوطن، بل لا يرث سوى تلك العناصر السلبية التي لها أن تساهم في إثارة النعرات وتمزيق المجتمعات و تفتيت الوحدة الوطنية ورمي البلاد في مصير مجهول.

التفاعل مع الآليات التي تثبت حقوق الشعب والتعبير عن إرادته، كالانتخابات والاستفتاءات والانتماء إلى المنظمات المدنية والرقابية و ما شاكل ذلك، لأجل ترسيخ مبدأ المشاركة الجماهيرية الفاعلة والتي تنعكس آثارها حاضرا ومستقبلا باتجاه تعزيز الروح الوطنية والتعاطي مع الشأن العام بإيجابية وفاعلية.

دور وسائل الإعلام

أما الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام بمختلف أشكالها فهو دور حيوي كبير، فهذه الوسائل باتت حلقة التواصل مع الأفراد من جميع الفئات والتوجهات وأينما كانوا في بقاع الوطن أو خارجه، ولهذا فهي من أهم الوسائل التربوية في عالمنا اليوم.

إن هذا الدور لا بد وأن ينطلق من ركائز ومقومات أساسية في مهنة الإعلام كالحرفية ومراعاة الصالح العام و الدقة في نقل وعرض المنتج الإعلامي أيا كان، ويمكن أن تلعب وسائل إعلامنا الرسمية وغير الرسمية دورها هذا من خلال:

التركيز على مبادئ وقيم الانتماء إلى الوطن ونبذ التوجهات التي من شأنها توهين الصلة بين الجمهور و الهوية الوطنية الجامعة، كأن يتم ذلك من خلال إثارة النعرة الطائفية أو القومية أو الحزبية، فالناس اليوم سريعو التأثر والاستجابة لما تعرضه وسائل الإعلام بطرق إقناع وتأثير مختلفة ومتعددة، ومن هنا فإن المضامين التي تعرضها وتوصلها إلى المتلقي يجب أن تكون منطوية على المبادئ والأسس التي تعزز من روح الانتماء الوطني وخلق مناخ للمحبة والتسامح بين المواطنين. وبخلاف ذلك فهي تغامر بمصير البلاد والعباد لحساب مكاسب مؤقتة ومصالح آنية زائلة.

أن تركز وسائل الإعلام في رسم استراتيجياتها على منطلقات أساسية تتمثل بخمسة منطلقات هي: الوحدة الوطنية، المصلحة العليا للبلاد، الهوية العراقية، القيم الدستورية، ترسيخ السلم الأهلي.

إعداد البرامج التي تسهم في بث الوعي بقضايا الوطن ومصالحه، وبيان المخاطر والصعوبات التي تتهدده، وتعريف المواطن بوظيفته و واجباته في مختلف الظروف والأحداث التي تستدعي منه ردة فعل إيجابية.

التعريف بتاريخ البلاد وهويتها الثقافية والفكرية و إطلاع الجمهور ولاسيما الفئات العمرية ضمن مرحلة الطفولة والشباب على الشخصيات المؤثرة والأعلام التي كان لها دورها المميز في مختلف الحقول والمجالات، وعرض كل ذلك

بأسلوب سلس وشيق، غير منفر ولا يتسم بالتكرار و التقليدية.

الترويج للنماذج الوطنية الشبابية والمبادرات التي يمكن أن يجتهدوا في تأديتها، وذلك لتشجيع أقرانهم على الاقتداء بها وممارستها، بدلا من الإسفاف و الترويج للظواهر عديمة الجدوى التي تصل أحيانا إلى مستوى من التفاهة لأجل كسب فئة من الجماهير أو محاكاة وتقليد وسائل إعلام أجنبية لا تحتكم إلى ثقافة المجتمع وقيمه وأعرافه.

إعداد الأفلام الوثائقية والتحقيقات التي تتناول معالم البلاد وآثارها و اللقاء بالشخصيات ذات الأدوار الوطنية وما شابه ذلك، مما يسهم في نشر الحس الوطني والثقافة العامة بالبلاد و قيمتها الحضارية وما تتوفر عليه من سمات وخصائص حري الاعتزاز و التفاخر بها.

بتّ روح الأمل والتفاؤل بالمستقبل، فهو أمر أساس لأجل منح الشباب طاقة وزخما في التطمح إلى مستقبل حياتهم و مشاركتهم في بناء بلدهم.

إجراء المسابقات الوطنية على مستوى البلاد في حقول البحث التاريخي والفكري المتعلق بالعراق فضلا عن المسابقات الأدبية في فروع مختلفة كالشعر والقصة والرواية، والتي يكون محورها الاعتزاز بالهوية الوطنية وترسيخ قيم ومبادئ الوطنية الحقة.

دور مؤسسات المجتمع المدني

تتحمل المؤسسات المدنية مسؤولية كبرى في جانب التنشئة الوطنية، لأنها الأكثر قدرة على تأدية هذه المهمة ولعب الدور المطلوب، فالتنشئة الوطنية هي عملية تأهيل و تثقيف و توعية، وهذا كما أشرنا سابقا يحتاج إلى الظروف والمقومات المناسبة و واحدة منها أن لا تكون هذه التنشئة خاضعة للسلطة وثقافتها الأيديولوجية، ومنظمات المجتمع المدني هي منظمات مستقلة غير مرتبطة بالحكومات، وبالتالي لا توجد كما يفترض ثمة أغراض وأهداف من وراء لعب دورها في التنشئة الوطنية.

ومن المفروغ منه اليوم أن المنظمات المدنية تمثل جوهرًا أساسيًا للمجتمع الديمقراطي المدني القائم على مبادئ مهمة كإتاحة المجال أمام المشاركة السياسية وحرية التعبير و الدفاع عن جميع فئات المجتمع وتحديد نفوذ السلطة في الحياة الاجتماعية، وتشجيع الأفراد على لعب دورهم البنّاء في خدمة وطنهم وشعبهم. وهذه المكانة التي تحظى بها المنظمات المدنية يجعلها ذات دور ثقيل ومؤثر في تأهيل الفرد وبناء ثقافته وتنميته اجتماعيا وسياسيا وقانونيا و أخلاقيا وغير ذلك من الجوانب المهمة في تشكيل شخصية قادرة على المضي في طريق فاعليتها وتأدية دورها الإيجابي.

ويمكن بيان دور المنظمات المدنية في التنشئة الاجتماعية عبر النقاط التالية: ترسيخ القيم الديمقراطية والحريات ومنع الاضطهاد والتعسف والتفرد بالسلطة، وهو أمر ضروري في التنشئة الوطنية، التي يكون فيها الوطن قيمة مركزية من خلال الولاء له والعمل لأجل المصالح العليا لعموم المواطنين، وليس للسلطة أو أحزابها السياسية.

زرع روح المشاركة والشعور بأهمية دور الفرد في بناء الوطن، فالفرد الذي لا يتحقق لديه هذا الشعور لا يمكن الحديث عن إمكانية تنشئته تنشئة وطنية حقيقية وفاعلة.

القدرة على التأثير في ثقافة الأفراد وبطريقة أكثر سلاسة لكون هذه المنظمات تتعامل عادة مع فئات المجتمع جميعها، و كل حسب اختصاصه أو مجال العمل الذي يزاوله.

تعمل المنظمات المدنية على ثلاثة مستويات، الأول هو التثقيف والتوعية، والثاني التعبئة لأعضائها المنتمين إليها أو إلى القطاع الذي تمثله، والثالث الدور الرقابي على السلطة، وفي هذه المستويات معا نلاحظ القدرة على إنجاز عملية التنشئة الوطنية بشكل مثالي، ومرورها بأدوار تنمّيها وتصل بها إلى الأهداف المطلوبة.

إن السمة الأساسية في عمل منظمات المجتمع المدني هو الاستقلالية و الجهد التطوعي، وهذا الأمر بخلق مناخا يرغّب الأفراد ويحفزهم و يجعلهم أكثر اقتناعا

بالمبادئ التي تستند إليها التنشئة الوطنية، فيتعاملون بطريقة تنطوي على الإخلاص والحماسة والرغبة المؤكدة. القيام بالأنشطة المختلفة التي تعزز الوطنية في نفوس الناس، والتحرك على مواقع التأثير الأخرى كمؤسسات الدولة المعنية بالتعليم والوسائل الإعلامية وغيرها عبر الضغط عليها أو التنسيق معها أو اقتراح البرامج والسياسات التي تخدم التنشئة الوطنية وتحقق أهدافها.

دور المؤسسات الحكومية

لا يمكن إنكار أهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه المؤسسات العائدة للدولة، ولا سيما في قطاع التربية والتعليم، برغم حساسية هذا الدور وإمكانية اختلاط الغايات السياسية في حال كانت السلطة ميالة للترويج للأشخاص والأحزاب الحاكمة، بيد أن هذه المخاوف إنما تكون في ظل ظروف تأسيس الديمقراطية وعدم الاستقرار السياسي، وهو ما يفترض أن يكون أمرا مرحليا طارئا وغير مستمر. والحقيقة أن العراق يعيش هذه المرحلة وعليه فهو بحاجة إلى أشخاص مخلصين ووطنيين في سدة القرار ومسؤولين على مستوى عالٍ من الانتماء لوطنهم والإخلاص له والابتعاد عن التحزب والفتوية، ويمكن تلمس دور المؤسسات الحكومية في التنشئة الوطنية من خلال الآتي:

وضع المناهج التعليمية التي تعزز من الثقافة الوطنية وحب الوطن، وأن يجري ذلك وفقا لرؤى علمية مدروسة عبر خبراء مختصين في المجالات النفسية والاجتماعية، وعدم الاكتفاء بلجان التأليف التقليدية التي يتم اختيارها تبعا للتخصص فقط، فوجود المختص النفسي والاجتماعي أمر ضروري لمعرفة كيف يمكن مخاطبة وعي الطالب وما هي الطرق العلمية الحديثة في العرض والإقناع والتأثير.

إن المدرسة مؤسسة بالغة الأهمية في تشكيل شخصية الطفل والمراهق والشباب، وهناك تفاصيل وجزئيات في التعليم والتربية يمكنها أن تؤثر في التنشئة

الاجتماعية والوطنية، فعلى سبيل المثال كلما كانت البيئة المدرسية مناسبة و ذات مرافق جيدة و توفر الأساتذة الذين يتعاملون مع الطالب تعاملًا أبويًا كلما كان الطالب مستعدًا لتلقي المعارف والأفكار التي تصب في قضية حب الوطن و الولاء له والاعتزاز به.

قيام المؤسسات الحكومية بمختلف وزاراتها وهيئاتها ودوائرها بالأنشطة والفعاليات المجدية التي تعزز من انتماء المواطن لبلده، وشرط ذلك أن لا تكون فعاليات اعتباطية قليلة الجدوى و تقليدية الطابع، و لا تسهم بفاعلية تذكر في تحقيق الأهداف المتوخى تحقيقها فلا تثمر سوى عن هدر الوقت والجهد والأموال.

ربما يسعدنا القول إن أهم مرتكز لتعزيز الروح الوطنية بالنسبة لمؤسسات الحكومة هو تفاني المسؤولين فيها لأجل القيام بواجباتهم على الوجه الأكمل، فتوفير الخدمات ومتطلبات الحياة والعيش الكريم أحد أهم الأمور التي يجب توفرها لخلق مناخ يمكن من خلاله العمل على إحداث تنمية وطنية شاملة وتنشئة جيل يحمل العراق في قلبه وعقله ولا تعكر عليه التحديات المعيشية وصعوباتها. لمؤسسات الدولة أن تسن بعض القوانين والتشريعات التي من شأنها الإسهام في تعزيز الانتماء الوطني، ورصد ميزانية حكومية لإنجاح برامج التنشئة الوطنية، شرط أن يكون ذلك وفقا لخطة واضحة و منهجية علمية سليمة وذات شفافية عالية.

دور النخب المثقفة

للنخب المثقفة دورها أيضا في التنشئة الوطنية، فلا يخفى أن المثقف شخصية ذات حضور وتأثير، و يمكنها أن تلعب دورها المميز في بث الروح الوطنية وترسيخ قيمها و مبادئها في نفوس وعقول سائر المواطنين. بمثل ما أنها قد تكون قادرة على لعب دور سلبي في هذا الجانب، ويمكن التأشير هنا إلى بضعة نقاط ذات أهمية وهي:

بشكل عام فإن السمة العامة للطبقة المثقفة في مجتمعنا هي ميلها للقيم الديمقراطية ونبذ التسلط والدفاع عن حقوق الإنسان، وأن خطابها دوما يأتي في هذا السياق، وبالتالي فهي ذات أثر ملموس في توفير المناخ المناسب لترويج المفاهيم الوطنية والانتماء للبلد.

إن المثقف يجب أن يكون إنسانا حرا غير خاضع لميول وأهواء الأجنداث السياسية، ولا يعني ذلك التخلي عن القيم والمبادئ التي يؤمن بها، بل المقصود هو عدم تحوله إلى أداة بيد السلطة أو الجهات ذات الأغراض السياسية التي تتقاطع مع الوطن ومصالحه، وإلا تحول المثقف إلى بوق من الأبواق النشاز و لن يكون عاملا إيجابيا في بناء وتنمية وطنه.

يمكن للمثقفين القيام بأنشطة ذات فاعلية حقيقية ومؤثرة في الأوساط الجماهيرية، ولعل من أسباب هذا التأثير هو الفرصة المتاحة أمامهم للحضور والتواصل مع وسائل الإعلام المختلفة.

إن التنشئة الوطنية في جوهرها عملية تثقيفية وتوعوية كما أشرنا إلى ذلك سابقا، وبالتالي فإن للمثقف أن يلعب دورا هاما فيها، فهو الإنسان المبدع والمنتج للأفكار والقادر على معرفة وتشخيص القضايا وتحليلها وإيجاد السبل والطرائق اللازمة للإقناع والشرح والعرض.

إن من الأدواء التي يكثر الحديث عنها حول المثقفين هو النرجسية والتعالي على الطبقات الأخرى في المجتمع، وهذه السلبية لابد من العمل على التخلص منها لأجل امتلاك ناصية التأثير الفاعل ولعب الدور الوطني الحقيقي.

أهداف التنشئة الوطنية

وأخيرا يمكن لنا تحديد الأهداف التي تسعى التنشئة الوطنية إلى تحقيقها، ومن ذلك:

تهدف عملية التنشئة الوطنية إلى بناء شخصية الفرد الإيجابي الذي يعمل على ما فيه الخير والصالح للبلد والمجتمع.

غرس القيم والمبادئ الوطنية والأخلاقية وحب الخير ووعي الذات التي تسهم في تحقيق التوازن المطلوب في حياة الإنسان والمجتمع، وتكاتف الجميع في النهوض بالبلاد على مختلف الأصعدة والمجالات كافة. تحديد خيارات السلطة ومنعها من تجاوز الحدود والخروج على الصلاحيات المرسومة لها.

إنضاج الوعي العام الذي يسهم في ترسيخ الديمقراطية وآلياتها، وإنتاج طبقة سياسية تعبر عن إرادة الجماهير من خلال حسن اختيار ممثلي الشعب. حين تكون هناك روح وطنية عالية ومسؤولية فإن بالوسع الخلاص من العلل والأدواء التي ترافق ظاهرة التعددية السياسية والصراعات بين القوى السياسية، وخاصة في مجتمع متعدد القوميات والأديان والطوائف. تعرّف المواطن على حقوقه وواجباته وعلاقته مع الدولة ومؤسساتها، لكي يتسنى له المطالبة بها وتحديدها بشكل واضح، ومعرفة ما إذا كانت السلطة تعتمد سياسات تضر أو تنال من هذه الحقوق أم لا. وكل ذلك ينتظم في إطار التنشئة والثقافة السياسية والقانونية التي هي جزء لا يتجزأ من التنشئة الوطنية.

الخطاب السياسي وعلاقته بالتنشئة الوطنية

في أجواء الديمقراطية والتعددية السياسية تتعدد الخطابات السياسية بتعدد هذه القوى، فلكل طرف خطابه الخاص، ولا شك أن لهذا الخطاب تأثيره المباشر في الشارع و يتلقاه النشء وينفعل به سلبا أو إيجابا، ومن هنا نجد الضرورة الملحة لترشيد وطني لهذا الخطاب وتنقيته من أوشاب المصالح الضيقة والأناحية، وأن يكون خطابا مبنيا على ثلاث ركائز أساسية، هي

المصلحة العليا للعراق وشعبه بمختلف انتماءاتهم وتوجهاتهم.

الابتعاد عن إثارة النعرات العنصرية والدينية والطائفية.

ترسيخ مبادئ التسامح والتعايش و الاشتراك في المصير الواحد.

وبما أن الخطاب السياسي أيا كان شكله لابد وأن ينطلق من المبادئ التي تؤمن

بها هذه الجهة أو تلك التي يصدر منها، فيتوجب والحال هذه أن تستند القوى السياسية إلى المبادئ الوطنية، فضلا عن أن الخطاب بحد ذاته لا يمكن أن يعطي ثماره المرجوة ما لم تعززها المواقف الوطنية الواضحة التي تؤكد صدقيته لدى الجماهير.

إن السلوك السياسي للقوى الفاعلة له الأثر الكبير في عموم الشعب وفئاته، سواء الموالية لتلك القوى من قواعدها الشعبية أو خارجها، عبر منطوق الفعل ورد الفعل، وبالتالي يتعين على القوى السياسية تحمل مسؤولياتها لاسيما في هذا الوضع الحرج، فالتنشئة الوطنية هي نوع من التنمية للإنسان العراقي وهذه تعتبر عملية معقدة واسعة و تشترك فيها العديد من الجهات والفعاليات، و تبرز أهمية دور القوى السياسية في توفير مناخ مقبول و أجواء ملطفة بعيدة عن الأزمات و التنافر السياسي الذي من شأنه إذكاء الحساسيات وتوهين العاطفة الوطنية و الانشداد إلى الوطن والانتماء إليه.

حيث إن ظاهرة التنافر السياسي لها سلبياتها الواضحة على الجيل الجديد و على الفئات الشابة بل وغيرها من الفئات، لأنها تضعف من الروح الوطنية و يتراجع حضور الوطن وقضاياها لحساب قضايا حزبية وفئوية و غيرها، وهو بلاء مستطير لا يمكن أن تتحقق معه أية تنشئة وطنية سليمة.

نعم لابد أيضا من التسليم بأن الاختلاف السياسي أمر طبيعي للغاية، و لكن من المهم تأطير هذا الخلاف ضمن الإطار القانوني والدستوري، بحيث نضمن عدم تحوله إلى صراع وتناحر ينعكس على تكوين ثقافة المجتمع، يوضح سماحة السيد الحكيم العلاقة القائمة بين التنافر السياسي والثقافة المجتمعية بالقول: (إن الاختلاف في وجهات النظر ظاهرة إنسانية إيجابية، وفكرة الانتخاب تنبع من حقيقة التعدد في الرأي والاختلاف في الرؤى، ولذلك علينا أن لا ننظر بحساسية إلى الاختلاف في وجهات النظر، لكننا نؤكد على أن هذا الاختلاف يجب أن يكون في إطار القانون، وفي إطار احترام الدستور. والعمل السياسي هو من أكثر الأنشطة الإنسانية التي تبرز هذا الاختلاف، لأنه يرتبط بمصالح المجموع ومصالح الأمة، وهو ليس مجرد اختلاف بين شخصين، ولذلك علينا أن نكون على مستوى

عال من المسؤولية تجاه هذا الاختلاف، وعلى الجميع تقف مسؤولية توجيه هذا الاختلاف نحو بناء ثقافة مجتمعية سليمة، وأن لا يؤدي إلى الانقسام والتناحر).¹ و السبيل إلى تحمل هذه المسؤولية في الابتعاد عن الانقسام والتناحر هو الاتفاق بين القوى السياسية على مصالح العراق العليا، يؤكد ذلك سماحة السيد الحكيم قائلاً: (إن اجتماعنا واتفاقنا على مصلحة العراق العليا هي عصمة لنا من التفرق والتناحر مهما تباينت الآراء، فقدرنا واحد ومصيرنا واحد ودمائنا امتزجت على مذبج الحرية، فإذا كانت قسوة الدكتاتورية وظلمها قد فشلت في تفريقنا فهل سنفترق اليوم من أجل مطلب هنا أو مشكلة هناك).²

تيار شهيد المحراب و التنشئة الوطنية

لا يغرب عن بال كل مراقب ومنصف أن مواقف تيار شهيد المحراب وعبر جميع المراحل السابقة وما تزال جاءت منسجمة تمام الانسجام مع المصلحة الوطنية ومصالح الجماهير العراقية في كل محافظات و ربوع الوطن. و هي مواقف تأسست على مبادئ واضحة في العمل السياسي، قائمة على أساس مراعاة أربع قضايا جوهرية هي: وحدة العراق ورفض كل مشاريع التقسيم والتفرقة. المصالح الوطنية، التي تسمو على كل المصالح الضيقة الأخرى. ترسيخ الهوية العراقية الجامعة مع الاعتراف بحق التعبير عن الخصوصيات التي لا تتقاطع معها. بذر قيم التسامح والعيش المشترك بين الجميع بمختلف أطيافهم وانتماءاتهم. فضلا عن ذلك نلمس في خطاب وأحاديث قيادة تيار شهيد المحراب المتمثلة بسماحة السيد الحكيم تركيزا واهتماما كبيرين بجملة من القضايا ذات الصلة بتعزيز الروح الوطنية وتأكيد انتماء أبناء الشعب العراقي إلى وطنهم، وبما يعد نقاطا هامة في سياق التنشئة الوطنية وقد اشرنا إلى بعضها آنفا، ومن ذلك نشير

1 - كلمة سماحته في المؤتمر الوطني الثاني لقيادة وناشطي المجتمع المدني - بتاريخ 2013\11\2

2 - الاحتفال الجماهيري لانتلاف المواطن - بتاريخ 2014\4\26

إلى ما يلي في كلمات سماحة السيد الحكيم:

تحقيق العدالة الاجتماعية: فهي تقع في جوهر تأكيد مبدأ المواطنة، ويبرز دور تحقيق العدالة من خلال ما يوضحه سماحة السيد بقوله: (.. علينا أن نعزز الحس الوطني وحب الوطن والولاء لهذا الوطن، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا شعر المواطن بالعدالة وبأن الوطن يتعامل معه بالعدل والإنصاف، فالمواطن الذي يشعر بأن الوطن ليس عادلا معه لا يمكن أن نتوقع منه الانشداد والاندفاع والانتماء لهذا الوطن بشكل كبير)³.

الأنشطة المدرسية: لقد سبق توضيح دور المدرسة في التنشئة الوطنية، وتم التأكيد على القول إن المدرسة مؤسسة بالغة الأهمية في تشكيل شخصية الطفل والمراهق والشاب، وهناك تفاصيل وجزئيات في التعليم والتربية يمكنها أن تؤثر في التنشئة الاجتماعية والوطنية، ولا شك أن من هذه الجزئيات الأنشطة المدرسية ذات الصلة بتنمية الحس الوطني واستحضار الروح الوطنية، وهذا ما يبسط القول فيه سماحة السيد الحكيم قائلا: (إن مسؤوليتنا كبيرة في أن نغرس الحس الوطني وحب الوطن في نفوس أبنائنا وبناتنا، رفع العلم مثلا ليس قضية عابرة ولا قضية شكلية وإنما فيها أبعاد ومداليل كبيرة، فحينما نقف ونصطف ننظر إلى العلم فإنه يرمز لوطننا وإلى انتمائنا، ومثل هذه المؤشرات يجب أن تتعزز وتتنظم وتستمر)⁴. كذلك يؤكد سماحة السيد الحكيم في معرض حديثه عن أهمية المنحة المالية المخصصة لطلبة الكليات، ودورها في تنمية الحس الوطني، يقول سماحته: (.. إنها خطوة تشعر هؤلاء الطلبة بحب الوطن وبرعاية الوطن، وأن هذا الوطن يحميهم ويوفر لهم الحد الأدنى من الإمكانيات المطلوبة، ويوفر لهم التعليم المجاني والأجواء المناسبة لدراستهم مما يجعلهم يتمسكون بهذا الوطن، وبما يعزز لديهم الحس الوطني، وهي قضية أساسية نحتاجها في هذه المرحلة)⁵.

مسؤولية المواطن: وللمواطن مسؤوليته أيضا في خلق المناخ والظروف التي

3 - الملتقى الثقافي - بتاريخ 2012\10\3

4 - زيارة مدارس الإمام علي (ع) النموذجية - بتاريخ 27/9/2012

5 - الملتقى الثقافي - بتاريخ 2013\9\25

تجعله وغيره قادرا على تلمس طريق الشعور بوطنيته والانتماء إلى بلده، ومن ذلك حسن اختيار من يمثله في السلطة، يؤكد سماحة السيد الحكيم على ذلك بالتوضيح التالي: (إن الواعز الأخلاقي والحس الوطني أمر مهم في الحفاظ على مصالح البلاد والعباد، فحينما يكون هناك حس وطني يقدم الإنسان مصالح الناس والوطن على مصالحه الشخصية، ولكن حينما يكون الحس الوطني ضعيفا يقوم الشخص بالتحجج بذريعة عدم تقديم الوطن لمطالب الناس، وهذا غير صحيح لأن الوطن عزيز إن أعطانا قبلنا منه وإن لم يعطنا عرفنا أنه بسوء اختيارنا منحنا الثقة لأناس لم يستطيعوا أن يوزعوا ثروات الشعب بشكل عادل على أبناء الشعب، ولم يستطيعوا أن يخدموا الناس، وهذا ليس ذنب الوطن وإنما هو ذنبنا أننا لم نحسن الاختيار)^٦.

دعوة المنتظمين في تيار شهيد المحراب إلى التحلي بأجلى قيم الوطنية: إن إلقاء نظرة سريعة على تنظيمات تيار شهيد المحراب و المناهج المتبعة لدى المنتظمين والتوصيات التي توجه إليهم وطبيعة العملية التثقيفية والتوعوية التي تستهدفهم كلها تثبت بشكل واضح أن مفردة الوطنية هي من أهم المفردات، و أكثرها ترديدا ويجري التأكيد عليها كواحدة من الثوابت الأساسية في ثقافة تيار شهيد المحراب، ولا يقتصر الأمر على مجرد كلمات وادعاءات تزين الخطاب العام لتيار شهيد المحراب بل تتعدى ذلك إلى الفعل باعتباره العنصر الأهم المعبر عن حقيقة القناعة بالوطن و التعبير عن حس الانتماء إليه والشعور العالي به، ولهذا نرى سماحة السيد عمار الحكيم يؤكد قائلا مخاطبا أبناءه وإخوته في تنظيمات تيار شهيد المحراب: (أنتم وطيون حقا في مشروعكم ولكن علينا أن نكون وطنيين في سلوكنا أيضا، فلا نفرق بين عراقي وآخر، ننفتح ونمد اليد، نفتح الصدور لكل العراقيين الشرفاء، وهذه ليست مجاملة وليست شعارات، بل هو شعور يجب أن نستشعره في وجودنا وأن نرى أنفسنا مسؤولين عن كل أبناء الوطن وليس بعضهم، وهذا الحس الوطني والانتصار للعراق والعراقيين جميعا هو ما أتمناه لكم جميعا أيها الأحبة)^٧.

6 - الملتقى الثقافي - بتاريخ 2013\9\11

7 - المؤتمر الأول لخريجي تيار شهيد المحراب - بتاريخ 2013\10\1

المحافظات العراقية

تعريف بجغرافيتها

وطبيعتها الاجتماعية

وثروتها الاقتصادية وبرز

شخصياتها

تمهيد

يتكون العراق من (١٨) محافظة تعود أغلب مدنها إلى تاريخ موغل في القدم، وهذه المحافظات تقسم جغرافياً كما هو شائع إلى: المحافظات الجنوبية وهي: البصرة، ذي قار، ميسان. محافظات الفرات الأوسط: المثنى، الديوانية، واسط، النجف، كربلاء، بابل. المحافظات الوسطى: العاصمة بغداد، ديالى، الأنبار. صلاح الدين، كركوك، ونيوى.

المحافظات الشمالية: أربيل، السليمانية، دهوك. وبحسب التقسيم الإداري المتبع في العراق فإن كل محافظة تقسم إلى أقضية، ثم النواحي، ويوجد في العراق اليوم (١٢١) قضاءً، وأضعاف ذلك من النواحي. وسنحاول في هذا الفصل التعرف على محافظتنا العزيزة، من ناحية تاريخها وتركيبتها الاجتماعية وأدوارها في المراحل التاريخية المختلفة، و المرور بجوانب من عاداتها وتقاليدها، و أبرز رجالها المؤثرين وغير ذلك، منطلقين من حقيقة ثابتة تؤكد أن بلورة الوعي الوطني وترسيخ قيم الوطنية الحقبة يستلزم المعرفة والإحاطة بتاريخ الوطن، و إدراك مدى الحاجة إلى اطلاع الشباب العراقي على تاريخ محافظاتهم و الوقوف على محطات مضيئة من مسيرة البلاد بكل أجزائها المترابطة ترابطاً متيناً، وأن نعي من خلال ذلك ذاتنا العراقية و غناها و عمقها التاريخي والحضاري وميزاتها الاجتماعية والاقتصادية و الثقافية. وسنتناول هذه المحافظات بحسب الترتيب من الجنوب صعوداً إلى محافظتنا الحبيبة في الشمال.

قبل أن نعرض إلى التعريف بمحافظاتنا العراقية الكريمة لا بد من الحديث عن بضعة قضايا تتصل برؤيتنا في تيار شهيد المحراب، وهي:

التكامل بين المحافظات: يؤمن تيار شهيد المحراب بضرورة أن تكون كل أجزاء البلاد أجزاء متكاملة مع بعضها البعض، ذلك أن قوة الكل في قوة ترابط أجزائه، وبالتالي نؤمن بأهمية التكامل بين المحافظات العراقية ضمن إطار وطني واحد على شتى الأصعدة والمجالات السياسية والاقتصادية والأمنية وغيرها. وأن إيماننا بالإصلاحات الإدارية القائمة على أساس توسيع صلاحيات مجالس المحافظات و حكوماتها المحلية عموماً لا يتعارض مع هذه الرؤية التكاملية، إن الجامع المهم والحيوي هو تلك الهوية الوطنية التي تأتلف فيها أجزاء البلاد ومكوناتها السياسية والاجتماعية والإدارية أيضاً. وكذلك المصلحة العامة المشتركة لجميع العراقيين، ومن الأمثلة التي يمكن الاستشهاد بها على أهمية تكامل الأدوار بين المحافظات تبرز القضايا الأمنية كنموذج واضح، فكلما ازداد التعاون والتنسيق و تبادل المعلومات وتوحيد الجهود بين المسؤولين في المحافظات كلما ارتقى الواقع الأمني، وهكذا على الصعيد الاقتصادي أيضاً. وتعتبر هذه الرؤية جزءاً من نظرة شمولية عامة لبناء الدولة العصرية العادلة كمشروع لتيار شهيد المحراب.

نبذ المناطقية: إن المناطقية داء قاتل يماثل تماماً الأدواء الأخرى كالعنصرية والطائفية، إذ من شأنها الفتّ في النسيج الاجتماعي العراقي، وزرع النعرات والكراهية وخلق صعوبات جمّة بوجه التعايش والانسجام المجتمعي. والمناطقية هي نزعة غير ظهرت في وقت متأخر وكانت تبدو إفراساً للتمدن والتطور العمراني والاقتصادي و ظهور الطبقة، وهي سلوك غير سويّ يرى الفرد أو الجماعة من خلاله خصوصية مميزة لمنطقة بعينها على سائر المناطق الأخرى سواء كانت المنطقة إقليمياً ذا هوية ثقافية محددة أو مدينة ذات عادات وتقاليد أو موروث اجتماعي معين، أو كانت نزعة مدنيّة مقابل أهالي القرى والأرياف وهكذا. فكل هذه التجليات والسلوكيات المناطقية تشكل خطراً على لحمة النسيج الوطني، و تهدد ركائز الانسجام والتناغم بين أبناء البلد الواحد. وتعتبر ضرباً من التمييز العنصري.

التشجيع على خصوصيات: من الطبيعي أن تختلف كل منطقة عن غيرها في سمة أو خصائص معينة، وهذا ما يبدو عليه الأمر في المحافظات العراقية شأنها شأن أية مناطق أخرى في العالم، حيث توجد الخصوصيات الثقافية والاجتماعية من تقاليد وعادات ولغة أو لهجة وما شابه ذلك، وهكذا الخصوصيات الدينية أيضا، ولا شك أن من حق أبناء كل محافظة الاعتزاز بهذه الخصوصيات، والمحافظة عليها، فعلى سبيل المثال تمتلك محافظة كربلاء والنجف خصوصية مقدسة باعتبارهما مركزين دينيين هامين يضمنان مراقدة آل البيت عليهم السلام، كما تمتلك بغداد أيضا هوية كونها عاصمة البلاد والأكثر عراقية على هذا المستوى، بمثل ما تتمتع محافظة البصرة بخصوصية تختلف عن بقية المحافظات وهكذا في سائر مدننا من الجنوب إلى الشمال، يؤكد سماحة السيد عمار الحكيم على تبيان هذه الحقيقة بالقول: (لا ضير في أن ندافع عن عراقيتنا ونتمسك بخصوصياتنا المنطقية، الدينية، المذهبية، القومية، العشائرية والسياسية، ولا بد من احترام وصيانة كل هذه الخصوصيات، ويجب أن يرفع كل عراقي رأسه ويحترمه الآخرون ويقدرهم خصوصيته، مع الاحتفاظ بعراقيتنا الجامعة التي تمثل الخيمة التي نستظل بها)¹. والواقع أن هذه الخصوصيات هي جزء ثابت من حقوق المواطنين، يقو سماحة السيد الحكيم: (نحن بحاجة إلى تعزيز الشراكة الوطنية وإشعار الجميع بالفرص المتكافئة وبحاجة إلى تكريس المواطنة لجميع العراقيين، فكل عراقي يحمل الجنسية له حقوق كاملة شأنه شأن المواطن الآخر أيا كان انتماءه الديني والقومي. فهذه التفاصيل المنطقية والدينية والسياسية هي حق من حقوقه في الانتماء وفي العقيدة والتوجه السياسي والانتماء لمنطقة جغرافية معينة، ولكن حقه على العراق أن يتعامل الوطن مع كل أبنائه على حد سواء، وهذا يحتاج إلى عمل كبير وغرس هذه الثقافة الجديدة ثقافة التواصل والمحبة)².

تحديد الإشكاليات والأولويات: وبالمثل تختلف المحافظات العراقية على جانب التحديات والإشكاليات التي تواجهها، فمع أن جميع المحافظات تشترك

1 - الأمسية الرمضانية - بتاريخ 6/8/2011

2 - لقاء شيوخ ووجهاء عشائر البصرة - بتاريخ 25/3/2011

في قسم كبير من المشاكل التي يعاني منها البلد بصورة عامة إلا أن ثمة تفاوتاً يختلف من محافظة إلى أخرى بسبب خصوصية وطبيعة المشاكل والصعوبات التي تتعرض إليها، فما يواجه أربيل ليس تماماً ما يواجه البصرة، وما تشكو منه الأنبار لا ينطبق حرفياً على ما تعانيه ذي قار وهكذا في بقية المحافظات، وهو ما يملئ علينا التسليم بوجود إشكاليات و تحديات مختلفة بين المحافظات تقتضي وضع التصورات والحلول المناسبة لكل منها، فهناك محافظات تعاني الحرمان، وأخرى مرت و تمر بحرمان مضاعف، وغيرها تفتقر إلى الموارد اللازمة بينما تقابلها محافظات تتوفر على موارد جمة ولكن لا يجد أبنائها أثراً حقيقياً لها، يؤكد سماحة السيد الحكيم في معرض بيان مسؤوليات المرشحين وممثلي المحافظات على ضرورة: (تشخيص الإشكاليات والتحديات المناطقية المحلية، فلا بد من خطاب وطني عام يتضمن نقاطاً واضحة وفي المقابل خطاب محلي، فعلى سبيل المثال لمرشح في مكان معين أن يهتم بهموم تلك المنطقة كحاجتها لبناء مدرسة أو تعبيد شارع والتعهد بأننا سنعمل من خلال مواقعنا لإقناع المسؤولين بإدراج هذه الأعمال)³.

محافظة البصرة

البصرة ثغر الوطن الحبيب، مدينة التاريخ والجمال والطبيعة الخلابة، من المدن ذات التاريخ والأصالة الضاربة، واسم البصرة كما تشير الدراسات إلى أنه اسم آرامي قديم، حيث كانت تسمى (بصريا)، ويعني منطقة الأكواخ، تلك الأكواخ المبنية من القصب والتي تسمى في جنوبنا الحبيب بالصرايف. وقد أطلقت على البصرة أسماء عدة منها أم العراق، خزانة العرب، عين الدنيا، ذات الوشامين، البصرة العظمى، البصرة الزاهرة، الفيحاء، قبة العلم وعاصمة الخير، كما كانت تسمى مع الكوفة بالعراقيين.

تم تمصير البصرة- أي تحويلها إلى مدينة تدب فيها الحياة- بعد الفتح

3 - المؤتمر الفصلي لكوادر تيار شهيد المحراب- بتاريخ 7/1/2010



الإسلامي على يد عتبة بن غزوان، في عام ٦٣٥م، وهي بهذا تعتبر أول مدينة يتم تأسيسها في الإسلام خارج الجزيرة العربية، ثم تطورت وتوسعت و قصدها الكثير من الناس، ولم تلبث حتى تحولت إلى واحدة من أهم الحواضر العلمية والتي تعج بالمدارس الدينية والفلسفية وتفردت بنبوغ طلابها وعلمائها، و أصبحت لها مدرسة نحوية خاصة فلا يخلو اليوم كتاب في النحو العربي من رأي منسوب إلى المدرسة البصرية. كما أنها كانت ميناء تجاريا معروفا لدى شعوب المنطقة والجزيرة العربية، بل كانت بمثابة نقطة التواصل المهمة مع بلاد الهند حيث يستورد العرب بضائع مختلفة من هناك.

الموقع الجغرافي

تقع البصرة في منطقة مهمة استراتيجيا، حيث تحدها من الجنوب الكويت والمملكة العربية السعودية، ومن الشرق الجمهورية الإسلامية الإيرانية، و هي تمثل المدينة الوحيدة التي تطل على الخليج العربي، أي أنها المنفذ البحري الوحيد للعراق. تبلغ مساحة البصرة ١٩٠٧٠ كيلو متر مربع، و عدد سكانها بحسب إحصاءات تقديرية نشرتها بعثة الأمم المتحدة في العراق عام ٢٠١٣ قد بلغ مليونين و ستمائة ألف نسمة، في حين تشير تقديرات أكثر من جهة وطنية



مسؤولة أن عدد سكان البصرة ارتفع إلى أكثر من ثلاثة ملايين نسمة.

تمتاز البصرة بمناخها الحار الرطب صيفا والمعتدل شتاء، و تغلب الملوحة على العديد من أنهارها ومياهها الجوفية. ومع ذلك تمتاز بجمال طبيعتها و كثرة نخيلها وبساتينها وأنهارها. تضم البصرة عدة أفضية هي:

قضاء البصرة: يقع قضاء البصرة متوسطا أفضية المحافظة الأخرى، حيث يحيطها الزبير غربا و أبو الخصيب جنوبا والقرنة وشط العرب شرقا، وهي لا تمثل

مدينة البصرة القديمة التي كان موقعها في قضاء الزبير الحالي. و قضاء البصرة هو الأعلى من حيث نسبة السكان حيث يقدر عددهم بأكثر من مليون وربع نسمة. الزبير: يقع هذا القضاء في الجزء الجنوبي الغربي من المحافظة، مطلا على الصحراء، ولهذا كان طوال تاريخه محطة استراحة للقوافل التجارية وللبدو الرحل، و تأتي التسمية لوجود قبر الزبير بن العوام المدفون فيه منذ عام ٣٨هـ، ولكن تأسيس المدينة يعود إلى عهد السلطان العثماني سليم الثاني الذي أمر ببناء جامع عام ١٥٧١م. يبلغ عدد سكان الزبير زهاء ثلاثمائة ألف نسمة.

المدينة: وتقع شمال المحافظة، وهي مدينة عريقة كانت موجودة عام ١٥٧٤ م، قامت على ركام آثار سومرية قديمة، واسم المدينة (بفتح الدال وتسكين الياء) تبدو مصغر مدينة كما يوحي به اللسان المحلي. و يطفو قضاء المدينة على بحر من النفط الخام.

أبو الخصيب: يقع في الجزء الجنوبي من المحافظة ويبعد عن مركز البصرة بعشرين كيلومترا، وتعود تسمية أبو الخصيب إلى خصوبة أرضه ونمائه، وقيل إنه مأخوذ من اسم النهر الذي حفره المنصور العباسي وأطلق عليه اسم أحد مواليه

وهو أبو الخصيب ابن مرزوق، يبلغ عدد سكان القضاء ٥٠ ألف نسمة. ويشتهر بكثرة بساتينه وكان يحتل المركز الأول لإنتاج التمور على مستوى البلاد. الفاو: القضاء ذو الموقع الإستراتيجي بالغ الأهمية، يقع في الجنوب الشرقي للمحافظة، وكان حتى الستينيات ناحية تابعة لقضاء أبي الخصيب، للقضاء أهميته الاقتصادية كونه يضم ميناء تصدير النفط، ويشتهر بإنتاج الحناء والملح، فضلا عن اصطياد السمك بأنواعه، وأصل كلمة الفاو هي الأرض المكشوفة الواسعة، يبلغ عدد سكان القضاء ٥٢ ألف نسمة.

شط العرب: يقع على الضفة الشرقية لنهر شط العرب، وهو يحاذي الحدود الإيرانية، و يضم منفذ الشلامجة، ومن أبرز نواحيه الترومة والفيحاء، و يعتبر القضاء منطقة سياحية جميلة ذات إمكانيات مهمة يجب استغلالها على الجانب السياحي لما يتوفر لها من طبيعة ومناظر رائعة على ضفاف شط العرب.

القرنة: تقع شرق المحافظة وتبعد عن الحدود العراقية الإيرانية ٤٠ كم، تعتبر أغنى مناطق العراق بالنفط الخام، وسميت بالقرنة لاقتران نهري دجلة والفرات عندها، تحيط القضاء أهوار الحويزة والحمار، وتتوفر على مواقع يمكن أن تكون منتجعات سياحية جاذبة للزوار، لوجود الماء والبساتين والمناظر الرائعة للأهوار.

التركيبة السكانية و الطابع الاجتماعي

تعتبر البصرة مدينة عامرة بالتنوع وتضم في أقصيتها ونواحيها مذاهب وطوائف وأصول عرقية مختلفة، و قد كانت كما لا تزال مثالا للانسجام والتلاحم حيث يمتاز أهلها بالطيبة وحسن المعاشرة والأخلاق الجنوبية الأصيلة، ففيها تعايش السنة مع إخوتهم الشيعة منذ تاريخ مديد، ويتوزع السنة في كثير من الأضية إلا أن تواجدهم يتركز في قضاء الزبير وأم قصر وأبو الخصيب. وهم يتواصلون مع بقية مكونات النسيج البصري و ينطوون على مشاعر الاعتزاز والوطنية الكبيرة و تتلاشى حدود الانتماء بينهم وبين إخوتهم البصريين الآخرين، فنرى عمق الروابط بين الجميع وتنوع العشيرة الواحدة التي تحتضن أبناءها من الطائفتين، ويمارس

السنة والشيعية وكذا المسيحيون والصابئة طقوسهم وشعائرهم بمنتهى الحرية و لكل منهم مساجده و كنائسه وأماكن عبادته، ولم تفلح المحاولات الإرهابية الجبنة في النيل من هذه الوحدة البصرية الجميلة والرائعة، وذهبت كل تلك المحاولات أدراج الرياح، فبقي البصريون هم البصريون، أولئك المنتمون إلى وطن واحد ومدينة واحدة وتاريخ واحد وثقافة واحدة.

أما أحبتنا المسيحيون فقد كانت أعدادهم أكبر بكثير مما عليه الآن، بيد أن أغلبهم اضطر إلى الهجرة في التسعينات تحت وطأة الظروف الاقتصادية الصعبة، ثم ما أعقب سقوط النظام من انفلات أمني طالت تبعاته جميع العراقيين دون استثناء. أما اليوم فيقدر وجود نحو ٣٠٠ عائلة بصرية مسيحية، وهم من طوائف الأرمن والكلدان والسريان والكاثوليك. ولكل طائفة من هذه الطوائف مقبرة خاصة وكنيسة تقيم فيها طقوسها التعبدية، و يوجد للأقلية المسيحية الكريمة ممثلون في مجلس المحافظة، كما كانت هناك لجنة خاصة لرعاية شؤونهم. لقد كان للمسيحيين حضورهم اللافت والكبير في البصرة منذ حقبة عدة، ولعل أبرز ما تميزوا به هو دورهم في التجارة حيث برزت منهم عوائل لرجال الأعمال كعائلة حنا الشيخ وعائلة جويده وعائلة أصفر ومارين وغيرهم. كما لمع منهم أطباء على غاية من الكفاءة والمهارة، ومنهم توما هندو وداود سكر وجوزيف مارو وعشرات آخرين.

أما الأحبة من طائفة الصابئة المندائيين فهم كذلك احتفظوا بتواجدهم في البصرة أسوة بما عليه تواجدهم في العمارة والناصرية وقلعة سكر وبغداد، ويشكلون جزءاً من النسيج الاجتماعي والثقافي البصري. ويؤدون طقوسهم في الكنيسة المندائية في منطقة الطويسة، ويبلغ عدد الصابئة في العراق بضعة آلاف حيث أن مجموع عددهم حالياً في العالم لا يتعدى ٧٠ ألف نسمة، وفي البصرة يبلغ عددهم حالياً زهاء ٦٠٠ أسرة، تتوزع في أحياء وسط المدينة، كالحكيمية والعباسية والبريهة والبراضعية، وكذلك في الطويسة.

و الصابئة مكون عريق في بلاد الرافدين، وظلت علاقتهم علاقة ملؤها المودة والاحترام المتبادل مع بقية المكونات، وقد اشتهروا بحرفة صياغة الذهب، وكانت

محلات الصياغة قريبة من أحيائهم. وقد مارس الصابئة في التاريخ الإسلامي دورا مهما في تنشيط حركة الترجمة في المجالات الفلسفية والعلمية وبرز منهم الأطباء والمنجمون والفلاسفة والشعراء.

و في واحدة من أبهى الدلالات وأشدها تعبيرا عن وطنيتهم الصادقة هي هبة شبابهم وتوافدهم على مراكز التدريب في البصرة ضمن الحشد الشعبي لمواجهة الإرهاب التكفيرى الداعشى بعد فتوى المرجعية الدينية المباركة.

وعلى أية حال فإن البصرة مدينة متنوعة غنية بالمووروث الثقافى والاجتماعى نتيجة لتلك التعددية، والمجتمع البصرى مجتمع محافظ على الأعراف والتقاليد والهوية الإسلامية، ولكنه لا يبلغ في ذلك مبلغ التشدد و التزمّت، حيث يقابل تمسكه بركائز وملامح هويته انفتاحه و وسطيته واعتداله. يقول سماحة السيد الحكيم إن البصرة تمثل رسالة التعايش الحقيقى بين المواطنين العراقيين من مختلف انتماءاتهم. حيث إن قدر العراق هو في تعدد قومياته ومذاهبه وتوجهاته السياسية والعشائرية المتنوعة، وهذا مدعاة للشعور بالاعتزاز بالانتماء إلى الإسلام والوطن.

الثروات الاقتصادية

تتوفر لمدينة البصرة ثروات طبيعية هائلة وبشكل خاص الثروة النفطية، ومع هذا تبدو المفارقة مؤلمة ومثيرة للحرز بين واقع وجود الثروة و واقع الوضع العام خديما واقتصاديا ومعيشيا وبنى تحتية وغيرها. لقد مرت البصرة بمراحل قاسية ودفعت أثمانا باهظة لاسيما بسبب ممارسات وسياسات النظام البائد، فقد دفعت هذه المدينة الضريبة الأكبر من بين المدن العراقية خلال الحرب مع الجارة إيران، و كذلك تكرر الشيء ذاته بعد احتلال الكويت من قبل ذلك النظام. أما بعد التغيير السياسى وتأسيس العراق الجديد فإن معاناة البصريين استمرت على ذات المنوال، وسط غياب الخطط الإستراتيجية و الاهتمام المناسب من قبل الحكومات المركزية، زيادة على ذلك لا توجد رؤية واضحة للدولة إزاء كيفية إدارة

الموارد الطبيعية وتحقيق العدالة في عملية استثمار و توزيع عائداتها، فالبصرة ترفد الخزينة بحوالي ٧٠٪ من الموازنة الاتحادية بينما لا تحصل على ما يكفي للنهوض بواقعها الخدمي والمعيشي لمواطنيها. حبا لله البصرة بموارد ضخمة تكفي لبناء اقتصاديات دول لا دولة أو مدينة، ومن بين هذه الثروات:

الثروة النفطية: يتوفر النفط والغاز في محافظة البصرة حيث يوجد حوالي (١٥) حقلا نفطيا، تبلغ مجموع احتياطاتها خمسا وستين مليار برميل، أي ما نسبته ٦٠٪ من احتياطات النفط العراقي، كما أن أهمية البصرة تتعدى وجود هذه الثروة إلى كونها المنفذ البحري الوحيد المطل على الخليج العربي، لأغراض التصدير والاستيراد،

الثروة الغازية: يتوفر الغاز كثرة طبيعية مصاحبة لعمليات استخراج النفط، حيث تصل الاحتياطيات العراقية إلى حوالي (١١٢) تريليون متر مكعب من الغاز والنسبة الأكبر منه في محافظة البصرة، بيد أن عمليات هدر ضخمة تجري لهذه الثروة بسبب غياب إستراتيجية وتخطيط مناسب لاستغلالها وهو ما يجري حاليا تلافيه ومنع هدر هذه الكمية التي تصل إلى (١٢) مليار متر مكعب، أي ما يعادل (١٠) مليون دولار يوميا.

الثروة الزراعية: تمتاز البصرة بوجود المناطق الخصبة بل بعضها شديد الخصوبة و أشهر ما عرف عن البصرة كثرة نخيلها، وهو أمر ميزها منذ القدم فوصفها الرحالة العرب بكثرة النخيل والأنهار، و لكن تراجع عدد النخيل من (١٢) مليون نخلة عام ١٩٨٠ إلى حوالي مليون نخلة في ٢٠٠٦، وذلك بسبب الحروب وشحة المياه وكثرة الملوحة وغياب العناية الحكومية..

الثروة الحيوانية: بسبب كونها مدينة نطل على الخليج كانت الثروة السمكية أبرز الثروات الحيوانية في البصرة، كما أن وجود أنهار ومسطحات وجداول وبحيرات أسهم في وفرة الأسماك بأنواعها المختلفة، كما للبصرة حصة جيدة في تربية الجاموس إذ يبلغ عددها في المحافظة (٥٧) ألف رأس.

الثروة المعدنية: وأهم هذه المعادن الحصى والرمال التي تصل طبقتها إلى

٧٠ سم، كذلك توجد الأملاح الذائبة في مياه الخليج التي يمكن استثمارها في مسائل صناعية مختلفة.

الثروة السياحية: تزخر البصرة بمعالم ومواقع سياحية مهمة وذات طبيعة خلابة، فضلا عن الآثار التاريخية التراثية كمقام الإمام الرضا (ع) وخطوة الإمام علي (ع)، و شط العرب والآثار التي تعود إلى حقبة تاريخية مختلفة.

المعالم التاريخية والتراثية

تزخر مدينة البصرة بالمعالم التراثية و المراقد الدينية التي تعود لسلالة الأئمة الأطهار و لصحابة النبي والأئمة عليهم السلام، و قد تعرضت هذه الأماكن لإهمال متعمد من قبل النظام البعثي الجائر، بل حاول هدم وطمس بعض تلك المراقد وإزالتها من الوجود.

ولا شك أن هذه المراقد والمقامات والمزارات بقدر ما تمثله من قيمة معنوية و دينية وكونها جزءا من هوية المدينة العريقة، فهي بالقدر نفسه تمثل رافدا مهما لتنشيط الحركة الاقتصادية والسياحية. ومن أبرز هذه المراقد الموزعة بين أحياء و أقضية المدينة ما يلي:

مسجد خطوة الإمام علي "ع" في قضاء الزبير.

مقام الإمام علي بن موسى الرضا "ع" في العشار.

شجرة آدم في القرنة.

مرقد علي بن يقطين وهو من صحابة الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام.

مرقد السيد صالح بن علي رضي الله عنه.

مرقد السيد احمد بن علي رضي الله عنه في ناحية الإمام الصادق ضمن قضاء

المدينة.

مرقد الصحابي الشهيد زيد بن صوحان العبدي، وهو من صحابة أمير المؤمنين

«ع» وقد استشهد في معركة الجمل، و يوجد مرقده على طريق قضاء أبي

الخصيب.



مرقد السيد صالح بن علي رضي الله عنه في
منطقة الشافي شمال البصرة.

مرقد السيد ثروان بن الحسن رضي الله عنه.
مرقد ظاهر بن علي، وهو يعود إلى السيد
حسن الجبيلي الذي يمتد نسبه إلى الإمام
الكاظم «ع» ويقع في منطقة الجبيلة وسط
البصرة.

مرقد الصحابي أنس بن مالك، خادم النبي
الأكرم صلى الله عليه وآله. ويقع في منطقة
الشعبية في الجهة الشمالية الغربية من
البصرة القديمة.

مرقد الزبير بن العوام الذي يتوسط مركز الزبير.

مقبرة الحسن البصري التي واحدة من أقدم المقابر الإسلامية، حيث أقيمت قبل
١٤ قرناً، وهي في قضاء الزبير.

أما المعالم التراثية فأهم ما اشتهرت به البصرة هي الشناشيل، وهي طراز فني
ومعماري فريد تميزت به بعض المنازل البصرية في الثلاثينات والأربعينات من
القرن الماضي، ومن المعالم الأخرى مسجد البصرة القديم الذي يعتبر أول مسجد
بني في الإسلام خارج مكة والمدينة المنورة.

أعلام وشخصيات

تحتفظ الذاكرة البصرية بشخصيات كبيرة في مختلف نواحي الحياة السياسية
والفكرية والأدبية وغيرها، فقد أنجبت هذه المدينة العظيمة الكثير من الأعلام
المبرزين في شتى الحقول والمجالات، كيف لا وهي إحدى أهم الحواضر العربية
والإسلامية منذ القرن الأول الهجري؟ وطوال هذا التاريخ زخرت المدينة بشخصيات

وأسماء تركت بصمتها ولم ينقطع ترديدها طوال قرون، فمن سيبويه والأخفش إلى الفراهيدي مرورا بالفرزدق وجريير اللذين أقاما فيها وأنشدا أعذب أشعارهما في مربدها، وفيها ولد أيضا أبو نؤاس وبشار بن برد، وهكذا في مجال علم الكلام والفلسفة كواصل بن عطاء شيخ المعتزلة، وكالحسن البصري ومالك بن دينار وغيرهم..

وفي العصر الحديث يتواصل عطاء البصرة في إنجاب خيرة المبدعين وأصحاب الشأن الذين فرضوا أسماءهم على الساحة وسنأخذ هنا مثلا واحدا يتجلى في شاعرها الكبير بدر شاکر السياب.

ولد بدر شاعر السياب عام ١٩٢٤ في قرية جيکور التابعة لقضاء أبي الخصيب، توفيت والدته وهو في عامه السادس فتك ذلك الحدث أثرا بالغا في نفسه، درس السياب في البصرة حتى حصل على الشهادة الإعدادية فانتقل إلى العاصمة بغداد ملتحقا بدار المعلمين العالية، ليتخرج عام ١٩٤٨ متخصصا في الأدب الانكليزي، عمل في الوظيفة الحكومية معلما ولكنه فصل بسبب ميوله السياسية، وفي عام ١٩٥٤ عاد إلى بغداد وراول العمل الصحفي بيد أنه لم يأنس كثيرا بوجوده في العاصمة، وظل فيما بعد يتنقل بين عمل هنا وآخر هناك حتى أدخل المستشفى عام ١٩٦٢ و ظل يكابد آلامه إلى أن وافته المنية في عام ١٩٦٤ م. يعتبر السياب من أعلام التجديد والحدثة الشعرية في العراق والوطن العربي، متأثرا بما قرأه من الشعر الانكليزي، فأدخل تغييرات مهمة على شكل وبنية القصيدة العربية ليولد الشعر الحر أو قصيدة التفعيلة، وقد كان السياب أحد رواد هذا الشكل الجديد مع البياتي ونازك الملائكة.

أصدر هذا الشاعر الكبير عدة دواوين أهمها أزهار ذابلة وأساطير و المومس العمياء والأسلحة والأطفال و حفار القبور ومنزل الأقان وشناشيل بنت الجلي. وقد تغنى السياب بحبه لبلده العراق و من أجمل قصائده وأعذبها في حب الوطن والحنين إليه قصيدته (غريب على الخليج) والتي اخترنا منها هذا الجزء:

صوت تفجّر في قرارة نفسي الثكلى: عراق
كالمدّ يصعد، كالسحابة، كالدموع إلى العيون

الريح تصرخ بي عراق
و الموج يعول بي عراق، عراق، ليس سوى عراق
البحر أوسع ما يكون و أنت أبعد ما يكون
و البحر دونك يا عراق
بالأمس حين مررت بالمقهى، سمعتك يا عراق
و كنت دورة أسطوانة
هي دورة الأفلاك في عمري، تكوّر لي زمانه
في لحظتين من الأمان، و إن تكن فقدت مكانه
هي وجه أمي في الظلام
وصوتها، يتزلقان مع الرؤى حتى أنام
و هي النخيل أخاف منه إذا ادلهمّ مع الغروب
فاكتظّ بالأشباح تخطف كلّ طفل لا يؤوب

**

أحببت فيك عراق روعي أو حبيتك أنت فيه
يا أنتما - مصباح روعي أنتما - و أتى المساء
و الليل أطبق ، فلتشعًا في دجاه فلا أتيه
لو جئت في البلد الغريب إليّ ما كمل اللقاء
الملتقى بك و العراق على يديّ هو اللقاء
شوق يخضّ دمي إليه كأن كل دمي اشتها
جوع إليه.. كجوع كلّ دم الغريق إلى الهواء
شوق الجنين إذا اشربّ من الظلام إلى الولادة
إنني لأعجب كيف يمكن أن يخون الخائنون!
أيخون إنسان بلاده؟
إن خان معنى أن يكون، فكيف يمكن أن يكون؟
الشمس أجمل في بلادي من سواها، و الظلام
حتى الظلام - هناك أجمل ، فهو يحتضن العراق.

مشروع تيار شهيد المحراب لمحافظة البصرة

دأبت قيادة المجلس الأعلى وتيار شهيد المحراب على طرح الحلول والمعالجات لما يرصده من مشاكل ومعوقات لتنمية المحافظات واستغلال أمثل لثرواتها المتنوعة، ومراعاة ثقلها ومعاناتها، ولم تكن تلك المبادرات ذات أهداف سياسية أو دعائية، بل هدفها النهوض بواقع الخدمات العامة والتنمية الاقتصادية الشاملة، يؤكد السيد عمار الحكيم موضحة الدوافع والأسباب لطرح المجلس الأعلى لمبادراته ومشاريعه ومنها ما يختص بالبصرة الفيحاء، قائلًا سماحته:

(إن المبادرة التي أطلقناها في اعتبار البصرة عاصمة للخير عاصمة اقتصادية للعراق لم تأتِ على خلفية سياسية وأجندة معينة، وإنما جاءت إيمانًا منا من أن الواقع الاقتصادي في البلاد لا بد أن ينطلق وينهض، وبداية الانطلاقة إنما هي من محافظة البصرة، وقد أكدت العديد من التجارب العالمية في أن الدول التي شهدت طفرات نوعية في بعدها التنموي إنما بدأت من مدينة ذات عمق استراتيجي، بدأت بتلك المدينة وانطلقت منها لتشمل كل تلك البلدان، ولا أريد أن أطيل في استعراض العديد من بلدان العالم في هذا الشأن، والبصرة هي المحافظة ذات العمق الاستراتيجي الاقتصادي والتنموي للعراق، فإذا أردنا اقتصادًا متطورًا في العراق فلا بد أن نشهد هذا الاقتصاد المتطور في البصرة، وإذا أردنا تنمية حقيقية في العراق فلا بد أن نبدأ بها من البصرة، على هذه الخلفية أطلقنا هذه المبادرة، إن البصرة من العراق كالقلب من الجسد والقلب يضح الدم في الشرايين ويمنح القوة والطاقة للإنسان).

وتنص المبادرة على اعتبار البصرة عاصمة يجري التعامل معها كما يتم التعامل مع العاصمة بغداد، فإذا كانت البصرة تمثل هذا السهم الكبير من إيرادات العراق ومن زخمه ومن قدرته على المواصلة فلا بد أن تحظى بعناية خاصة، وأن تكون محورًا اقتصاديًا أساسيًا للبلد.

كذلك إنشاء مدينة حكومية تتمثل فيها الرئاسة والوزارات والمؤسسات، وهو أمر متبع وليس طارئًا في العديد من الدول في العالم، حيث توجد عاصمة سياسية

وعاصمة اقتصادية، والبصرة مؤهلة لكي تكون عاصمة الخير العراقي.
إن اعتبارها عاصمة اقتصادية يقتضي أن تحظى بما تحظى به العواصم، من جميع الامتيازات، وهذا حق البصرة لما تحمله من عمق استراتيجي و تاريخي وحضاري.

وقد تم تقديم المشروع لمجلس النواب العراقي وتمت قراءته القراءة الأولى بتاريخ ٢٨/تموز/٢٠١٢ و القراءة الثانية بتاريخ ٢/تشرين الأول/٢٠١٣، وما تزال كتلة المواطن النيابية تبذل الجهود الحثيثة برغم الأوضاع المرتبكة وبعض العراقيل لأجل التصديق على هذا المشروع واعتباره قانونا نافذا يلزم بالاهتمام بالبصرة كعاصمة اقتصادية للعراق و بالتالي يترتب على ذلك الحصول على حقوقها وامتيازاتها التي تستحقها.

محافظة ذي قار

ذي قار التاريخ والمعرفة والحضارة، إحدى محافظات جنوبنا الحبيب، تميز أهلوها بحبهم لوطنهم واعتزازهم بتاريخهم الحضاري السومري الأصيل، حيث مولد الحرف الأول الذي علّم الدنيا كيف تكتب تاريخها، أي أن التاريخ ولد وبدأ من ذي قار، ذي قار التي تحفل بوفرة مبدعيها من شعراء وكتاب وروائيين وفنانين، في ذي قار تجتمع العراقة التاريخية و الثراء الفكري و المحافظة على التقاليد والأعراف مع الوسطية والاعتدال و رهافة الحسّ و الإبداع الفطري.

يعود اسم ذي قار إلى منبع للمياه العذبة يقع في هذه المنطقة، و في هذا المكان حدثت واقعة حربية مشهورة بين بني شيبان وجيش كسرى، فانتصر فيها العرب وهُزم الجيش الكسروي، وقد نسبت كتب التاريخ العربي حديثاً إلى النبي صلى الله عليه وآله بعد سماعه بانتصار العرب قائلًا: (هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم، وبي نصرُوا)٤. ويذكر المجلسي في بحاره: (...قال يوماً لأصحابه: اليوم تنصر العرب على العجم، فجاء الخبر بوقعة ذي قار بنصر العرب على

4 الكامل في التاريخ ج1-ص166.



إلى سومر من الصحراء الغربية، ثم تجمعوا وهاجروا باتجاه الحجاز.

الموقع الجغرافي

تقع محافظة ذي قار على امتداد هضبة عالية تحدها من الجنوب بادية السماوة ومن الجنوب الشرقي محافظة البصرة، ومن الشرق محافظة ميسان، فيما تحاذيها من الغرب محافظة المثنى، ومن الشمال تتصل بالحدود الإدارية لمحافظة واسط والديوانية. وتبلغ مساحتها ١٢,٩٠٠ كيلومتر مربع.

وإدارياً تقسم محافظة ذي قار إلى خمسة أفضية، هي:

قضاء الناصرية: وهو مركز محافظة ذي قار، يقطنه حوالي ٤٠٠ ألف نسمة، وقد بنيت المدينة في منتصف القرن التاسع عشر، وتحديدًا في عام ١٨٦٩م، وقد وضع تصاميم المدينة المهندس البلجيكي جولس تلي، و استمدت اسمها من الشيخ ناصر باشا السعدون أحد شيوخ قبائل المنتفج آنذاك. تتبع القضاء نواحي الإصلاح والبطحاء.

قضاء الشطرة: يقع إلى الشمال الغربي من الناصرية على بعد ٤٠ كم، ويعود اسمها إلى انشطار نهر الفرات قبل وصوله إليها، حيث يتفرع إلى نهر البدعة ونهر الغراف وهذا الأخير يشطرها ثانية بعد مروره في وسطها، يبلغ عدد نفوس

5 - بحار الأنوار ج18 - ص131



القضاء أكثر من ٥٠٠ ألف نسمة. ومن نواحيه الغراف والدواية.

قضاء الرفاعي: تقع على بعد ٨٠ كم من شمال الناصرية، تحولت إلى قضاء عام ١٩٢٨م، وتتبعها نواحي القلعة والنصر والفجر، وتعود تسميتها إلى السيد أحمد الرفاعي. ويبلغ عدد السكان حالياً زهاء ٤٠٠ ألف نسمة.

قضاء سوق الشيوخ: سمي بهذا الاسم نسبة إلى مشيخة عبد الله محمد المانع، يبعد جنوب غرب مركز الناصرية بحوالي ثلاثين كيلومتراً، وتتبعه

نواحي العكيكة والفضلية وكرمة بني سعيد والطار. كانت سوق الشيوخ مركز إمارة المنتفج قبل تأسيس الناصرية. يقدر عدد سكانه بموجب تقديرات ٢٠١٠ بحوالي ٢٧٠ ألف نسمة.

قضاء الجبايش: يقع شرق محافظة الناصرية على مشارف هور الحمار، وأصل تسميتها يعود إلى الكلمة السومرية (جبيشة) التي تعني جزيرة اصطناعية وسط الماء وجمعها جبايش، وهي ذات بيئة لها خصوصياتها المعروفة، حيث بيوت القصب والبردي، وحيث المضاييف العامرة، وحيث الأصالة والتقاليد العريقة لأبناء الجنوب. ومن نواحيها المنار (ناحية الحمّار سابقاً) وناحية الفهود. ويبلغ عدد سكان القضاء مع نواحيه قريباً من مائة ألف نسمة.

تتمتع الناصرية بكثافة سكانية عالية، فهي تأتي في المرتبة الرابعة من حيث كثافة سكانها، بعد كل من بغداد والبصرة والموصل. إذ يصل عدد سكانها إلى قرابة المليون نسمة.

يعتبر مناخ المحافظة شديد الحرارة في فصل الصيف ومعتدلاً في أغلب أجزائها في موسم الشتاء، ويعود هذا الارتفاع إلى توسطها هضبة عالية ومفتوحة على مساحة صحراوية واسعة، الأمر الذي يؤدي إلى كثرة الغبار والزواجع الترابية.

التركيبة السكانية و الطابع الاجتماعي

تحفل المحافظة كغيرها من محافظات العراق العزيز بتعددية تطبع نسيجها الاجتماعي، حيث يوجد الشيعة والسنة و الصابئة إخوة متحابين متوادين منذ قرون. وبرغم أن الغالبية هم من أتباع أهل البيت عليهم السلام إلا أن وجود الأحبة السنة يعد جزءاً من نسيج ذي قار. و في حقب ماضية كان يقطنها بعض الأسر من الإخوة المسيحيين قدرت بثمانين أسرة، ولكنها هاجرت في حقبة الثمانيات والتسعينات إلى أوروبا بفعل الظروف الاقتصادية. وحاليا تتواجد عائلة واحدة هي عائلة طوبيا، و تحتفل كل عام بمولد السيد المسيح عليه السلام مع الجيران والأصدقاء وسط الناصرية.

كما أن المحافظة تتميز بحضور التقاليد العشائرية و يحتل شيوخ العشائر مكانة اجتماعية مميزة، كما هو حال أغلب المحافظات العراقية، إذ تمثل العشيرة وحدة اجتماعية فاعلة ولها دورها الكبير في تنظيم شؤون الحياة والعلاقات الاجتماعية. ومن أهم عشائر المحافظة عشيرة آل بو صالح، عشائر آل رفيع، عشائر البعيج، عشيرة الجوارنيه، عشائر الأجود، عشائر بني سعيد، عشائر السادة الغوالب، عشائر خفاجة، عشيرة آل حسن، عشيرة آل حفاظ، عشيرة أزيج، عشيرة السادة آل ياسر، عشيرة العوابد، و غيرها من العشائر العربية الأصيلة.

الثروات الاقتصادية

تزرع محافظة ذي قار كغيرها من المحافظات بالثروات الطبيعية المتنوعة والإمكانيات الاقتصادية الكبيرة، و في ذي قار ثمة تنوع في هذه الثروات بين نقطية و زراعية وحيوانية و سياحية، و كما يلي:

الثروة النفطية: تتوفر في محافظة ذي قار أربعة حقول نفطية، وهي حقل الغراف و حقل الناصرية و حقل الرافدين و حقل صبة، و تحتوي هذه الحقول الأربعة على احتياطات نفطية كبيرة تصل إلى أكثر من خمسة مليارات برميل. وهذا بحسب تقديرات أولية، في حين تشير بعض البحوث والدراسات إلى توقعات

خبراء بأن الاحتياطي النفطي يتجاوز ذلك بكثير، ومنها توقعات خبراء نفطيين عام ٢٠١٥ بأن ذي قار تتوفر على احتياطي نفطي للمحافظة يبلغ ١٧ مليار برميل وهو رقم قابل للزيادة.

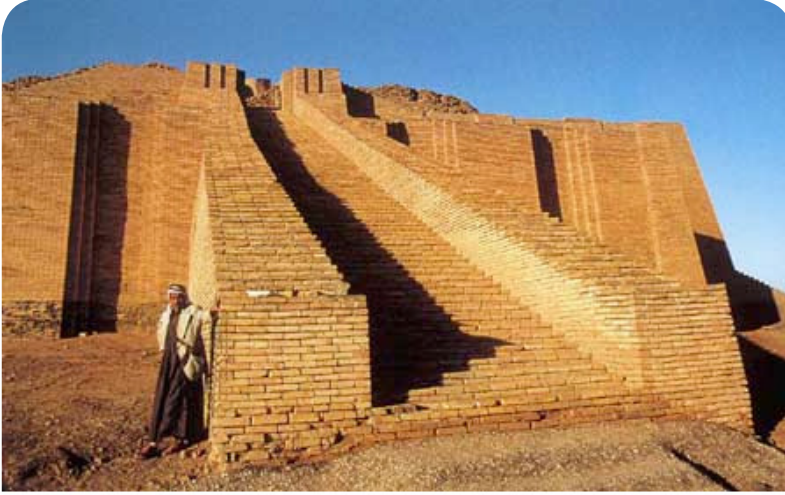
الثروة الزراعية والحيوانية: في محافظة ذي قار مساحات واسعة من الأراضي الخصبة تبلغ حوالي مليون وثمانمائة ألف دونم صالحة للزراعة، وتنوع النباتات والمحاصيل الزراعية التي تشتهر بها المحافظة من النخيل والحبوب والخضر والفاكهة، كما تنشر تربية الجاموس والأغنام وتوفر الأسماك، غير أن الواقع الزراعي تراجع خلال السنوات الأخيرة وهو بحاجة كما القطاع الحيواني إلى العناية ووضع الخطط الإستراتيجية الكفيلة بتطويرهما.

الثروة السياحية: إن من أهم ثورات محافظة ذي قار هي ثروة السياحة، بمعنى توفرها على المئات المواقع الأثرية التي تعود إلى عهود تاريخية مختلفة، ففي ذي قار يوجد أكثر من ألف ومائتي موقع أثري، ومن هذه المواقع مدينة أور مسقط النبي إبراهيم (ع)، ومدينة لكش، و مدينة أريدو، وتل العويلي، وكرسو، وغيرها العديد من المواقع، ولكنه للأسف لم تستغل حتى الآن ذلك الاستغلال الأمثل الذي من شأنه أن يوفر موارد مالية ضخمة وينشط الواقع الاقتصادي للمحافظة. كما تمثل الأهوار معلما سياحيا بارزا في الجنوب ككل، و من شأن تنمية الأهوار والعناية بها و تحويلها إلى منتجعات سياحية أن تجعل منها مقصدا سياحيا مهما للسواح المحليين والأجانب.

كما أن من مواردها التي لا بد من الإشارة إليها هي اليد العاملة، حيث تتوفر الأيدي الحرفية الماهرة في شتى الحقول نتيجة للكثافة السكانية العالية و محدودية النشاط الاقتصادي قياسا إلى حجم القوى العاملة في المحافظة، ولهذا كان العديد من أبنائها يعملون في محافظات العراق الأخرى لتغطية النقص في اليد العاملة هناك.

المعالم التاريخية والتراثية

في محافظة ذي قار آثار و معالم أثرية حضارية عديدة، ومن أبرزها: زقورة أور: وهي أبرز معالم مدينة أور الأثرية، التي تعتبر من أقدم المدن السومرية، وتقع على مبعده ١٥ كم غرب الناصرية. والزقورة بناء حجري بشكل



زقورة أور الأثرية

متدرج كان السومريون قد خصصوه مكانا لتأدية طقوسهم الدينية، والطريف أن زقورة أور ما تزال أعلى مبنى من حيث الارتفاع في المحافظة رغم أنها تعود إلى ستة آلاف سنة خلت.

مقام النبي إبراهيم

الخليل: وهو الآخر جزء من مدينة أور الأثرية، و يعتبر من أكثر المعالم فرادة و أهمية، ومن شأن الاهتمام بهذا المكان أن يجعل مدينة أور ومحافظة ذي قار مقصدا سياحيا ودينيا لآلاف المسيحيين والمسلمين الأجانب. بيد أن ذلك يتطلب اهتماما كبيرا من قبل الجهات المعنية.

وهناك مدن ومواقع أثرية عدة تتوزع في شمال وغرب وشرق المحافظة، ومنها مدينة لكش، مدينة أريدو التي تعتبر أول مدينة حضارية في التاريخ البشري تعود إلى حوالي خمسة آلاف عام، وكذلك هناك تل العبيد وكرسو وغيرها من المواقع. أما المراقد والمزارات الدينية فتحتوي المحافظة على عدد كبير منها، ومن أهمها:

مرقد الشريف: وهو مرقد عمر الأشرف بن الإمام علي بن الحسين عليه السلام، ويقع مرقد على بعد ١٥ كم غرب الناصرية بالقرب من ضفاف نهر الفرات.
مرقد السيد العباس أبو كلة: وهو السيد العباس بن الإمام موسى الكاظم عليه



مرقد السيد يوشع- ناحية الإصلاح

السلام: ويقع في مدينة الشطرة، والسيد العباس رضي الله عنه كان قد هاجر إلى هذه المنطقة هرباً من سطوة السلطات العباسية آنذاك التي طردت العلويين. مقام منصور أبو الحسن: وهو مقام للإمام علي عليه السلام، كان قد حل به وهو في طريقه إلى البصرة قبيل حرب الجمل عام ٣٦هـ. ويقع في حي المنصورية غرب المحافظة.

مرقد سيد يوشع: وهو السيد يوشع بن السيد محمد الموسوي من أحفاد الإمام الكاظم عليه السلام، ويقع في ناحية الإصلاح شرق المحافظة. مرقد السيد خضير الصافي: ويعود نسبه إلى الإمام موسى الكاظم، ويقصده الكثير من الأهالي للتبرك، ويقع على الطريق المؤدي إلى محافظة البصرة. فضلاً عن عشرات أخرى من مراقد السادة والصالحين التي تتوزع في عموم أفضية ونواحي المحافظة، ويقصدها الآلاف من المواطنين في مختلف المناسبات الدينية، وكذلك لأغراض الترفيه والتنزه لاسيما أن الكثير منها يقع في مناطق مفتوحة تحيطها المياه والخضرة.

أعلام وشخصيات

تشتهر محافظة ذي قار بكثرة مبدعيها، وتميزها في نواحي الأدب والشعر والفن، فهي بحق مصنع للإبداع و رغم تاريخها القصير كمدينة كما سبقت الإشارة إلى تاريخ تأسيس مركزها الناصرية إلا أنها أنجبت العديد من الرجال المبدعين، وقد ساعدت أجواؤها الرائقة وأريافها الجميلة وصفاء العلاقات الاجتماعية وطيبة أهلها في تهنيز القرائح واستثارة المواهب، ولهذا برز منها الفنانون والشعراء والنحاتون والسياسيون وغيرهم، وهناك أسماء عديدة لا تغيب عن الذاكرة منها الشاعر مصطفى جمال الدين و التشكيلي المعروف حسن آل سعيد و صلاح زنيازي و زامل سعيد فتاح وعريان سيد خلف و حسين الهلالي و خالد عبد الله والشاعر عقيل علي والفنان طالب الفراتي وبهجت الجبوري والكاتب عزيز السيد جاسم و الشاعر شوقي عبد الأمير و أسماء عديدة لا حصر لها من أمثال هؤلاء الذين تركوا بصماتهم الإبداعية في الفكر والأدب والفن، وكذلك في السياسة أيضا حيث برز في العهد الملكي والجمهوري العديد من الشخصيات التي تنتمي إلى المحافظة من مثل ناجي طالب وعبد المجيد عباس الحيدري و صالح جبر ويوسف سلمان، كما وتنحدر عائلة الأستاذ عادل عبد المهدي من هذه المدينة، حيث كان والده نائبا في العهد الملكي ممثلا للمنتفج أي الناصرية.

ولكننا اخترها هنا شخصية من طراز له خصوصيته، شخصية لها حضورها عند الحديث عن الناصرية بل وعن العراق في تاريخه الحديث، ألا وهي الشخصية الوطنية المتمثلة بالشيخ بدر الرميض.

هو بدر بن عجيل بن سلمان وهو شيخ عشيرة آل بو صالح، وشيخ العموم لعشائر بني مالك، شخصية عرفت بمواقفها الوطنية اللافتة، حيث كان أحد قادة العشائر في الحركة الجهادية ضد الاحتلال الانكليزي، ووضع نفسه ورجاله تحت إشارة المرجعية الدينية وعلمائها المجاهدين، وقد أظهر الشيخ بدر شجاعة و قوة إقدام و وطنية قلما تتجلى في رجل واحد، و لم يتسبب انكسار المجاهدين في الشعبية بأن يهتز إيمانه بوطنه و عدالة قضيته، ففي وقت أفلحت الضغوط الانكليزية

على بعض زعماء العشائر في تخفيف مواقفهم و إظهار شيء من المرونة
 أبى الشيخ الرميض أن يتراجع عن قناعته وموقفه واستمر في مقاومة الاحتلال
 الانكليزي، كما كان رافضا للاحتلال العثماني، فمما يؤثر أن القادة الأتراك كانوا
 في أثناء المعركة مع القوات البريطانية يظهرون الاستهزاء والسخرية بالمجاهدين
 ويتوعدون بأنهم بعد هزيمة الانكليز سيعملون على هزيمة الخونة في الفرات
 الأوسط والنجف، فرد الشيخ على أحد الضباط الأتراك بالقول دون وجل: أنتم
 الخونة للإسلام لا نحن. كما كانت له نظرتة الثاقبة ورؤيته العميقة، فقد رفض
 باستياء خطة القائد التركي سليمان عسكري بك، والتي انتهت بالفشل وكانت
 سببا من أسباب الهزيمة أمام الجيش البريطاني في البصرة.

استمر الشيخ في موقفه إلى النهاية ولم يخضع للمغريات والوعود الباذخة التي
 قدمها الانكليز الذين كانوا يرون أن إخضاعه بوابة لإخضاع كل مناطق الجنوب،
 و قد حفلت كتب ومذكرات الساسة البريطانيين في العراق بالحديث عن الشيخ
 بدر الرميض، و رغم كونه العدو رقم واحد لهم إلا أنهم أبدوا إعجابهم بشجاعته
 وبسالته.

لم يكن هذا الجانب الوطني هو الجانب الوحيد في هذه الشخصية العراقية
 المشهود لها بمواقفها وتاريخها، بل كان الشيخ مضرب المثل في الكرم
 والضيافة، وهو علم مشهور في جوده الحاتمي، حتى إن مضيفه كان مقصد
 الكثيرين أيام المجاعات والأزمات الاقتصادية، فضلا عن ذلك فهو شاعر فطري
 وله العديد من الأبيات العامية التي لا يزال يتناقلها الشعراء وكبار السن.

ومما قاله الشيخ بدر الذي تعرض للتشريد ودمر المحتل الانكليزي أرضه
 وممتلكاته وشرد عائلته، قال في رسالة تحدّ عراقية واضحة:

هاي الدار داري ومنزل الخطار

وكل طالع شمس بيها نهبش اتغار

هل ترضى الرفاه تنزل الكفار؟

يزيود اطي الحد يو لاله؟

مبادرة ذي قار مهد الحضارات وبوابة الجنوب

إدراكاً من تيار شهيد المحراب للواقع الذي تعانيه محافظة ذي قار، و لكونها من المحافظات ذات التاريخ الحضاري والجهادي وتعرضها للمحرومية والظلم في عهد الدكتاتورية، و لأن النهوض بواقع التنمية لهذه المحافظة لم يسر بالخطوات المطلوبة قدمت قيادة التيار والمجلس الأعلى من خلال سماحة السيد عمار الحكيم مبادرة تحت أسم (ذي قار مهد الحضارات وبوابة الجنوب)، ومما قاله سماحة السيد الحكيم في بيان أهمية وموجبات هذه المبادرة التي طرحت بتاريخ ٢٠١٣/٤/٥: (إن محافظة ذي قار تمثل مفتاحاً من مفاتيح التاريخ البشري والحضاري، ومنها انطلقت الديانات، وتمثل البوابة الرئيسية لجنوبنا المحروم، وكذلك تمثل الجسر الرابط بين محافظات الجنوب ومحافظات الفرات الأوسط، إن ذي قار تمثل الرابط بين حاضرنا وتاريخنا وبين حضارتنا العربية والإسلامية وحضارات ما قبل الإسلام العظيم).

وقد تضمنت المبادرة النقاط التالية:

إنشاء صندوق مالي خاص للمشاريع التي توضع ضمن هذا المشروع ويموّل هذا الصندوق باستقطاع ١٥% من واردات النفط التي تنتجها المحافظة.

إنشاء هيئة المناطق الحرة في ذي قار، والتي تختص بفتح مناطق حرة تكون مرتبطة بمشروع البصرة العاصمة الاقتصادية.

إنشاء مدينة الجنوب الطبية، والتي تكون أكبر مدينة طبية في جنوب العراق وتشمل كافة التخصصات الطبية وأحدث المختبرات وجامعة طبية مختصة.

إنشاء مجمع متكامل للصناعات النفطية والبتروكيماوية يحتوي على مصفى للنفط بطاقة ٣٠٠ ألف برميل.

إعادة تأهيل أهوار المحافظة وإنتاج الثروة السمكية، وتنظيف أراضيها من الألغام وبالتعاون والتنسيق مع محافظة ميسان

إنشاء مجمع الحبوبي الثقافي والذي يحتوي على متحف خاص ومتكامل للحفاظ على آثار المدينة وتاريخها وعلى مختلف المراحل الزمنية والحضارية.

تكثيف الاختصاص في جامعات ذي قار لإنشاء المزيد من الكليات والمعاهد المتخصصة حيث تعتبر ذي قار أعظم خزين عالمي للآثار. ولاسيما مع الاندثار السريع والدمار الكبير الذي تشهده بعض الآثار التاريخية النوعية في المحافظة كالزقورة نتيجة الإهمال وعدم الترميم منذ مدة طويلة، وعدم الإصغاء لاستغااثات الدوائر المختصة في المحافظة .

تنظيم حركة السياحة وبناء الفنادق لاجتذاب السواح والسعي لدعوة البابا فرانسيس الأول لزيارة مدينة أور التاريخية وكذلك دعوة رؤساء الدول ومشاهير العالم لتسليط الأضواء على هذه المنطقة العريقة ولتشجيع مختلف الاستثمارات فيها

تنفيذ مشروع طريق بوابة الجنوب السريع والذي يربط محافظة ذي قار بطريق سريع وحديث بمحافظة ميسان من جهة ومحافظة واسط من جهة أخرى مما يحول المحافظة إلى نقطة التقاء محورية للطرق السريعة .

إنشاء مدينة بوابة الجنوب السكنية وبسعة ١٠٠ ألف وحدة سكنية والتي ستساهم في توفير السكن اللائق لأبناء المحافظة وخصوصاً أصحاب الدخل المحدود والمحرومين.

محافظة ميسان

عروس الجنوب وقلعة الجهاد والكفاح أيام القمع الدكتاتوري، ميسان الخضرة والمحبة والزهو، وهي من محافظات الجنوب التي تقع إلى الشرق مجاورةً لحدود جمهورية إيران الإسلامية. وقد اختلف حول أصل تسميتها، ومن بين الآراء الشائعة أنها كانت في الأصل مملكة قديمة أقيمت جنوب بابل في ما بين القرن الثالث والرابع قبل الميلاد. وتعني كلمة ميسان في الآرامية (أرض المستنقعات، مي أسن)، وقيل هي الأرض التي تكثر فيها الأحراش والحشائش، فيما رأى آخرون أنها مشتقة من الفعل العربي (ماس يميمس) أي تحرك وتمایل، وأطلق عليها



الإخوة الصابئة تسمية (ميس يانه) والتي تعني الماء الممزوج ببقايا ما تخلفه نباتات الأهوار.

وقد ورد اسم ميسان في الآثار السومرية، كما جاء في العبرية أيضا. أما مركزها العمارة فيشير بعض الدارسين إلى أنها شيدت في زمن النبي شيت بن آدم عليهما السلام، ويبدو لافتا هنا أن القرنة كانت تاريخيا تابعة لميسان وهي مكان سكن آدم، وهذا يوحي بالترابط بين الرأيين حول آدم وابنه شيت. وقد عرفها الجغرافيون العرب المسلمون بأنها مدينة واسعة تكثر فيها الخضرة والنخيل وأرضها خصبة، حيث ذكر ياقوت الحموي في تعريفها: ميسان اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة و واسط، قصبته ميسان، وفي هذه الكورة أيضا قرية فيها قبر عزيز النبي عليه السلام، مشهور معمور يقوم بخدمته اليهود ولهم عليه وقوف وتأتيه النذور^٦.

وتعد العمارة مركز محافظة ميسان، واختلف أيضا سبب تسميتها، فقليل هي مدينة سميت على اسم أحد الولاة العباسيين في عهد المنصور، وقيل إنما هي بالفتح (عمارة) وتعني تجمع العشائر في منطقة ذات عمران، وقد تم ذكرها في كتب الرحلات والمستكشفين الأجانب في القرن السابع عشر الميلادي. وعموما فمن استحدث بناءها هو الوالي العثماني محمد نامق باشا في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.

6 - معجم البلدان، ياقوت الحموي ج6- ص404



الموقع الجغرافي

تقع ميسان في الجزء الشرقي من القسم الجنوبي للعراق، وتحدها من الجنوب البصرة ومن الغرب محافظة ذي قار ومن الشمال محافظة واسط، أما من جهة الشرق فتحاذي الحدود الإيرانية عبر امتداد سلسلة جبال حميرين. تبلغ مساحة ميسان بحدود ١٦ ألف كيلو متر مربع، وعد سكانها يناهز المليون نسمة.

وتضم ميسان عددا من الأضية هي:

قضاء العمارة: وهو مركز المحافظة، وتضم عددا من المحلات كالقادرية وهي أول محلة بنيت في العمارة، ومحلة السرية، والسراي، و المحمودية والصابونجية، والشبانة، وغيرها. ومن ابرز نواحيها ناحية الكميت. ويزيد عدد سكانه عن ٢٠ ألف نسمة.

قضاء علي الغربي: والذي يقع إلى شمال المحافظة على الحدود مع محافظة واسط. تعود تسميته إلى وجود مرقد السيد علي بن محمد من أحفاد زيد الشهيد "رض". يبعد ٢٠ كم عن مركز المحافظة.

قضاء الميمونة: وتقطنه العشائر العربية الأصيلة بواقع ٦٠ ألف نسمة ضمن أكثر من خمسين قرية. تبعد الميمونة عن المركز ٢٥ كم، ومن نواحيها السلام وسيد أحمد الرفاعي وأبو سبع.

قضاء قلعة صالح: ويقع هذا القضاء على ضفتي نهر دجلة، وكانت في الأصل قلعة عسكرية أيام الاحتلال العثماني، بناها وأقام فيها الدلي باشا صالح النجدي مع جنوده فسميت باسمه، وهي ذات نسيج متنوع حيث كان الصابئة واليهود يشكلون ثلث سكانها، تبعد عن العمارة حوالي ٤٧ كم.

قضاء المجر الكبير: وهو من أكبر أضية محافظة ميسان، يقع في ضفاف نهر

المجر وعلى بعد ٣٣ كيلومتر من مركز العمارة. يقطنه أكثر من ١٠٠ ألف نسمة، وللمجر تاريخ طويل فقد ورد في كتب الرحالة الأجانب في القرن السابع عشر، تحول إلى قضاء عام ١٩٧٢م.

قضاء الكحلاء: تقع في الجنوب الشرقي للمحافظة، وقد تحولت إلى قضاء عام ١٩٧٦، وكانت تسمى حتى منتصف القرن الماضي بـ (مسيعيدة)، تقع على بعد ٢٠ كم من مركز العمارة. تتميز بخصوبة أرضها وإنتاجها لمحصول الشلب، حتى إنها كانت تعد واحدة من أهم مراكز زراعته وتسويقه في العراق. ومن نواحيها ناحية المشرح و الرافعي (بني هاشم).

التركيبة السكانية و الطابع الاجتماعي

يكاد يكون التنوع معيارا للأصالة ومقياسا إنسانيا للعمق الحضاري والدور والتاريخ والوعي العام، وهكذا لم تختلف محافظة ميسان عن غيرها من محافظاتنا البهية في هذا الطابع وتلك الميزة التي أثرت وعيها وثقافتها وغناها المعرفي والإنساني، ففي محافظة ميسان تلاقت الثقافات واستوت على عرش الإخوة والمواطنة الجميلة، مزدانة بالطيبة والنخوة والمروءة.

ففي هذه البقعة الزاهية تقطن القبائل العربية الأصيلة منذ قرون عديدة كقبيلة كنانة العدنانية وقبيلة بني كعب من هوازن وقبيلة خفاجة وبني لام وطبي، وتتفرع العديد من العشائر والأفخاذ عن هذه القبائل كآل بو محمد والسواعد والعزة و آل أزيج وغيرهم. ومقابل هذا التنوع العشائري الثرّ تنوعت ميسان أيضا من حيث الانتماءات الدينية والمذهبية، تنوعا لافتا سادته أوامر المحبة والتسامح والتعايش الصميم، وكانت هذه التعددية واضحة وطابعا مميّزا للمحافظة، ففي إحصاء عام ١٩٢٠ جاء فيه أن نسبة الشيعة ٩٤,٩٪ و نسبة السنة ٢,٣٪ ونسبة المسيحيين ٠,١٪ واليهود ٢,٣٪ و الديانات الأخرى ١,٧٪ ..

يسود المحافظة طابع اجتماعي ذو خصوصية مميزة، يتسم بأصالة القيم العريقة المستمدة من البيئة الاجتماعية العشائرية ممتزجا بالطابع المدني المنفتح، و

يتمتع أهل المحافظة بخصال النخوة والشجاعة و الكرم، و يغلب على المدينة اتصافها بهويتها وملامح بيئتها حيث الخضرة والمياه الجارية والطيور المهاجرة، وما يزرع به الهور من معالم مميزة وفريدة، وقد اتصف تاريخها السياسي بصفة المقاومة و النضال ضد القمع الدكتاتوري، فكانت ملاذا للمجاهدين والمقاومين الذين سكنوا أهوارها، و مارسوا نشاطهم ضد ألام النظام الصدامي ببسالة نادرة ومشهودة. كما أنها عانت ويلات الحروب العبثية التي شنها النظام الدكتاتوري لاسيما حربه مع الجارة إيران، حيث كانت أجزاء من المحافظة مسرحا للعمليات العسكرية و الذي أدى إلى إلحاق أضرار كبيرة ببيئتها، كما لا تزال المخلفات الحربية من ألغام وقذائف غير منفلقة تملأ بعض المناطق التي شهدت أشرس المعارك خلال تلك الحرب، ثم عادت كرة الخراب والدمار والأذى في أعقاب الانتفاضة الشعبانية، حيث استخدم النظام القمعي أكثر أسلحته فتكا وتدميرا لأحياء المدينة، واستعمل كذلك بعض الأسلحة الكيماوية المحرمة في مناطق الأهوار.

الثروات الاقتصادية

لميسان ثروات ومقدرات اقتصادية هائلة يمكن الإشارة إليها عبر التالي:
الثروة النفطية: فميسان تطفو على بحر من النفط وحاليا توجد فيها ثلاثة عشر حقلا نفطيا تضم احتياطات تقدر بثلاثين مليار برميل. وكما هو الحال مع محافظة البصرة وكذلك ذي قار لا يبدو ثمة آثار واضحة لهذه الثروة الغنية على مجمل مظاهر الحياة والمعيشة لأهالي ميسان، ويبقى المستوى العام خديما ومعيشيا دون المستوى المطلوب.

الثروة الغازية: وهذه الثروة توجد مقارنة لاستخراج النفط، حيث يخرج الغاز بكميات كبيرة أثناء عمليات الاستخراج والتحويل، وبسبب غياب الخطط والتقنيات اللازمة جرى هدر كميات كبيرة من هذه الثروة طوال الأعوام والحقب الماضية. والتي من شأنها بكل تأكيد توفير مبالغ طائلة تضاف إلى الميزانية العامة للدولة

و لحصة المحافظة أيضا.

الثروة الزراعية: تتوفر في المحافظة أراضي خصبة و هي تصلح لزراعة مختلف النباتات والمحاصيل الحقلية، بيد أن القطاع الزراعي في ميسان حاله حال بقية القطاعات عانى من الإهمال والتراجع وغياب التخطيط، ولهذا فليس مستغربا حاليا أن المساحة المستغلة في الزراعة من مجمل الأراضي الخصبة الصالحة لا تتجاوز نسبتها ١١٪ لا غير. ومع هذا اشتهرت ميسان بأنواع من النباتات والمحاصيل منها الحبوب كالقمح والشعير و كذلك تكثر زراعة النخيل، فضلا عن المحاصيل التي يمكن إدخالها في إنتاج المواد الغذائية مثل زهرة عباد الشمس و الذرة و قصب السكر .

الثروة الحيوانية: تتوفر في محافظة ميسان بيئة صالحة لتربية العديد من أنواع الحيوانات، ومنها الأغنام والأبقار والدواجن و كذلك الثروة السمكية في أنهارها وبحيراتها أهوارها، و في منطقة الأهوار أيضا تكثر عمليات تربية الجاموس، حيث يقدر عدد الجاموس في المحافظة بحوالي خمسين ألف رأس.

الثروة المعدنية: وتشمل هذه الثروة أنواعا من الأحجار وأصنافا من المعادن، كلرسوبيات الطينية التي تدخل في صناعة الطابوق والفخار، كما تتوفر نسبة كبيرة من حجر البازلت الذي له استخداماته المعروفة في الأعمال الإنشائية والطرق.

الثروة السياحية: لميسان كما أشرنا في تعريفها تاريخ ضارب في القدم، ولهذا كان لا بد أن تكثر فيها المواقع الأثرية في مناطق مختلفة منها، حتى إن المواقع التي تم إحصاؤها حتى الآن بلغت حوالي ٢٢٥ موقعا، فيما يرى البعض أنها تبلغ ٤٠٠ موقع، ومن هذه المواقع حوالي ٢٠ موقعا في منطقة الأهوار. ولا شك أن استغلال هذه المعالم الأثرية والحضارية استغلالا مناسباً سيوفر فرصا اقتصادية كبيرة لأهالي المحافظة.

المعالم الأثرية والمقامات الدينية

من أبرز المعالم الأثرية والتراثية في محافظة ميسان هي: التلال الأثرية: تلال تحوي على آثار حضارية قديمة، وهي عدد كبير يتوزع في مناطق مختلفة من المحافظة، ويطلق عليها (اليشن) ومفردتها إيشان، وهي كلمة سومرية تعني المرتفع أو التل، ومن تلك التلال تل الواجف والعزيزة وأم الديري وشلال، وإيشان أبو الذهب إيشان أم الهند، وتل العكر وتل أبو شذر وكنوز الحفيظ، وتل محمد السلطان والسلاي، وتل أبو شيجة في منطقة الطيب وتل الكبان في منطقة البتيرة. وتدور حول هذه المواقع أساطير وحكايات خرافية كان الأهالي يتناقلون الكثير منها، وهي ذات صلة بالكنوز الذهبية المفترضة في هذه التلال، وقد لعبت هذه الأساطير والحكايات دورا في الحد من النيش والعبث بها. كما تزخر المدينة بمعالم تراثية عديدة، ومنها سوق العمارة الكبير، والذي يعتبر واحدا من معالمها المميزة، وهو سوق يعود بناؤه إلى العهد العثماني سنة ١٨٢٠م، وسمي بعدة أسماء كسوق الباشا، والمسكوف.

وهناك أيضا المقبرة الانكليزية التي تضم رفات حوالي خمسة آلاف جندي انكليزي أثناء احتلال العراق في مطلع القرن الماضي، وقد أنشئت في عام ١٩٢٣م، وتعتبر هذه المقبرة شاهدا وطنيا على المقاومة والنضال بوجه المستعمر الأجنبي، بيد أنها تعاني من الإهمال وعدم التقدير لأهميتها التاريخية والتراثية، فعادة ما تهتم الدول بهذه المعالم كجزء مهم وقيّم من إرثها التاريخي و سجل مقاومتها ضد الاعتداءات الأجنبية. ومن شأن هذا المعلم التراثي أن يستقطب السائحين الأجانب كما يحدث في كثير من الدول حول العالم.

كنيسة أم الأحران: وهي أقدم كنيسة في الجنوب تقع في منطقة المحمودية وسط مدينة العمارة، تم إنشاؤها عام ١٨٨٠م، وقد كانت هذه الكنيسة تجمع في المناسبات الدينية المختلفة كلا من المسيحيين والمسلمين والصابئة أخوة متحابين في الله موحدين له. وقد عانت من الإهمال منذ حقب طويلة، وتم إعادة تأهيلها ومنعها من الانهيار بجهود ذاتية من المسيحيين في البصرة عام

١٩٩٥م.

أما المراقد الدينية والمقامات فهي كثيرة أيضا، ومن أهمها:

مرقد السيد علي الغربي: و الذي سمي باسمه قضاء علي الغربي. وهو أبو عبد الرحمن علي بن احمد بن محمد من أحفاد زيد الشهيد رضوان الله عليه، وقد كان قائدا لثورة الزنج في عهد المتوكل العباسي. ويبعد عن مركز العمارة حوالي ١٠٠ كم من جهة محافظة واسط.

مرقد الإمام عبد الله بن علي بن أبي طالب: والصواب كما في كتب التاريخ والأنساب أنه عبيد الله، ويقع المرقد في قضاء قلعة صالح، وقد ولد للإمام أمير المؤمنين عام ٣٧هـ من زوجته ليلى بنت مسعود في البصرة. وله أخ هو محمد الأصغر الذي استشهد في واقعة كربلاء مع الإمام الحسين عليه السلام.

مرقد النبي العزيز: من أنبياء بني إسرائيل، وهو عزرا عليه السلام ابن شرحيا من ذرية هارون بن عمران، أحيا الدين اليهودي وحافظ على التوراة. ويقع مرقده في ناحية العزيز التي تبعد ٧٠ كم عن مركز مدينة العمارة. وقد ورد عن الإمام الصادق «ع» أنه رجل صالح أماته الله مائة عام ثم أحياه وأعاده إلى أهله.

مرقد علي الشرقي: ويعود إلى السيد علي الشجري بن احمد بن محمد بن داوود الأمير بن موسى الثاني بن عبد الله الرضا بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليهم السلام أجمعين، ويقع في ناحية علي الشرقي التي تبعد ٦٠ كم شمال مدينة العمارة، وسمي باسم علي الشجري لكثرة ما يحيط مرقده من أشجار، والتسمية الغالبة هو علي الشرقي تمييزا له عن السيد علي الغربي.

مرقد السيد أحمد الرفاعي: ويقع في الناحية الذي سميت باسمه، وهو السيد احمد الرفاعي بن السيد سلطان بن السيد علي بن السيد يحيى بن السيد ثابت ويرتبط بالإمام موسى الكاظم عليه السلام.

مرقد الكميت: ويعود لشاعر أهل البيت «ع» الشهير الكميت بن زيد الأسدي، ويقع القبر في ناحية الكميت وعلى بعد عشرة كيلومتر من مركزها.

أعلام وشخصيات

تحفل محافظة ميسان بسجل زاخر لشخصيات وأسماء كبيرة طبعت بصمتها الإبداعية في كثير من المجالات والحقول العلمية والمعرفية والأدبية والفنية، حالها في ذلك حال بقية محافظاتنا الحبيبة، فمن بين أحضان الأهوار وحفيف القصب و على إيقاع نسماته العذاب تفتقت قرائح المبدعين شعراء وقصاصين وروائيين، فبرزت أسماء هامة تميزت بخصوصية عوالمها الإبداعية، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر الشاعرة لميعة عباس عمارة وخلود المطليبي وحسب الشيخ جعفر، و أنور خليل، وجودت التميمي والأديب قاسم موسى الفرطوسي والشاعر والمسرحي حمزة الحلفي و ناجية غافل، ومن الروائيين نذكر الروائي جمعة اللامي وحنون مجيد ونجم والي و سلام نوري.

و في المجال الفني برزت أسماء كثيرة أمثال الدكتور فاضل خليل ومطشر السوداني والمخرج صلاح كرم وحسن حسني وعبد الخالق كرم وغيرهم كثيرون. كما لا يمكن تجاوز قامات رائدة في نواحي الفكر والمعرفة أمثال الشيخ جعفر النقدي والأستاذ عبد المطلب الهاشمي، والشيخ حبيب المهاجر، كما لا يفوتنا من تألق في المجال العلمي وعلى رأسهم الفلكي العراقي المعروف عبد الجبار عبد الله، وهو واحد من أربعة طلاب في العالم كانوا قد تتلمذوا على يد عالم الفيزياء الشهير ألبرت أينشتاين.

واخترنا هنا الاطلاع والتعريف بواحدة من ألمع المبدعات الميسانيات، ألا وهي الشاعرة لميعة عباس عمارة. ولدت الشاعرة لميعة عباس عام ١٩٢٩، وكانت نشأتها في مدينة العمارة، حصلت على شهادة دار المعلمين العالية عام ١٩٥٠م، كتبت الشعر وهي في سن مبكرة و قد عرضت بعض قصائدها على الشاعر العربي المعروف إيليا أبو ماضي، فأبدى إعجابه الشديد بأشعارها، كتبت القصائد بالفصحى والعامية، وتمتاز لغتها بالسلاسة والعذوبة وحسن التصوير وبراعة المخيلة، ولهذا فقد تألقت وحصدت الجوائز العديدة وذاع صيتها كواحدة من شاعرات اللواتي مثلن محطة مهمة من محطات الإبداع العراقي الأصيل. كان

أول أعمالها المطبوعة ديوان الزاوية الخالية عام ١٩٦٠، ثم توالت بعده أعمالها الأخرى ومنها: ديوان عودة الربيع، وأغاني عشتار، و يسمونه الحب، ولو أنبأني العراف، والبعد الأخير وعراقية.

تغنّت في قصائدها بحب الإنسان والوطن، و عبرت عن هواجس الغربة ومحنة الابتعاد عن الأحبة والديار، و قد اخترنا هنا للقارئ الكريم قصيدة (أغني لبغداد)، حيث تحتفي الشاعرة بحبها لوطنها ولبغداد وسائر مدن العراق مفتخرة بانتمائها متباهية به، قائلة:

هلا وعيوني بلادي رضاها
وأزكى القرى للضيوف قراها
بلادي ويملؤني الزهو أني
لها انتمي و بها أتباهي
لأنّ العراقة معنى العراق
ويعني التبغدد عزّاً وجاها
أغني لبغداد تصغي القلوب
وألقي دموع الحنين صداها
وإن قلت بغداد أعني العراق
الحبيب، بلادي بأقصى قراها
من الموصل النرجسية أم الربيعين
والزاب يجلو حصاها
إلى بصرة الصامدين نخيلا
تشبث من أزل في ثراها
وأسكنت نفسي أقصى البعيد
وقلت غبار السنين علاها
فما نسيتني عيون النخيل
ولا القلب والله يوماً سلاها

مبادرة إعادة تأهيل ميسان

أطلق سماحة السيد عمار الحكيم مبادرة للنهوض بواقع محافظة ميسان حملت عنوان (مشروع تأهيل ميسان) بتاريخ ٢٠١٢/٨/٣١، و في معرض بيان أسباب تقديم هذه المبادرة أكد السيد الحكيم على أن من الحيف أن نتعامل مع محافظة مميزة ومضطهدة كمحافظة ميسان كما نتعامل مع سائر المحافظات العراقية الكريمة، ولا بد لنا أن ن فكر في صياغة مشروع ينهض بها ويعالج إشكالياتها وبفي جزء من حقوقها تجاه العراق وشعب العراق وإسهاماتها في الحضارة العراقية وفي مواجهة الطغيان والاستبداد و الظالمين على مر التاريخ.

وقد تمثلت مبادرة مشروع تأهيل محافظة ميسان في ثلاثة محاور أساسية هي:-
أن يتم استصلاح الأراضي التي جفت زمن النظام الديكتاتوري بعد أن تعاد الاهوار والمياه وتعويض الأهالي بما يتلاءم والضرر الذي لحق بأراضيهم ومواشيهم جراء التجفيف واستخدام تلك الأراضي ساحات حرب.

أن يتم إزالة الألغام من الأراضي الواسعة الميسانية والتي زرعت فيها الألغام إبان الحروب وضرورة تعويض الأهالي عن مخلفات الحروب التي لحقت بأراضيهم.

أن يستقطع نسبة ١٥ ٪ من إيرادات شركة نفط ميسان ويودع في صندوق خاص للمحافظة وتنفق هذه الأموال لإزالة الألغام أو تأهيل الاهوار واستصلاح الأراضي وذلك لفترة محدودة من أجل الإسراع في تقديم الخدمات لهذه المحافظة المحرومة.

محافظة المثنى

من المحافظات الجنوبية ذات العراقة والأصالة والتميز التاريخي، وتمتاز المثنى بباديتها الشاسعة و أرضها المفتوحة المنبسطة، ولكنها قليلة من حيث كثافتها السكانية بالقياس لبقية المحافظات، ويبلغ عدد سكانها ٩٠٠ ألف نسمة بحسب إحصائيات تقديرية عام ٢٠١٢.



وأصل التسمية يرجعه البعض إلى القائد الإسلامي المثنى بن حارثة الشيباني.. ولهذه المحافظة تاريخ موغل في القدم، حيث شهدت قيام أولى مظاهر الاستيطان والتمدن في العصر الحجري، وهو ما وجدت آثاره في منطقة وادي القصير القريب من قلعة القصير في بادية السماوة. وبالتالي فتاريخ هذه المحافظة يعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وفيها ظهرت أول مرة ملامح التحضر الإنساني بظهور مدينة الوركاء وبداية وضع أسس النظام الاجتماعي والسياسي، و تطور نظام الري والزراعة وتبعها ازدهار الفنون والآداب وبناء المعابد.

الموقع الجغرافي

تقع المثنى في منطقة مفتوحة على الصحراء تبلغ مساحتها ٥١ ألف كيلومتر مربع، وبالتالي فهي ثاني أكبر محافظة عراقية بعد محافظة الأنبار. من الشمال تحدها محافظتا النجف والديوانية، ومن الشرق محافظة ذي قار، بينما تحدها من جهة الجنوب المملكة العربية السعودية.

وتضم المحافظة أربعة أقضية هي:

قضاء السماوة: وهو مركز المحافظة، تقع على نهر



الفرات، واسم السماوة تم تداوله في كتب البلدان والرحلات، يذكر ياقوت الحموي أن السماوة إنما سميت السماوة لأنها أرض مستوية لا حجر بها^٧. وقد ذكرت في كتب التراث والتاريخ الإسلامي مقترنة بولادة النبي الكريم صلى الله عليه وآله، حيث إن من الأحداث التي رافقت ولادته هو فيضان وادي السماوة، وقيل بحيرة ساوة، يبلغ عدد سكانها ٢٥٠ ألف نسمة.

قضاء الرميثة: يقع شمال مركز المحافظة، وعلى أحد فروع نهر الفرات. ويسجل لها التاريخ نصاعة الموقف و عنفوان التحدي والكبرياء حيث اندلعت فيها الشرارة الأولى لثورة العشرين. يبلغ عدد سكان القضاء ٣٥٠ ألف نسمة، وهو نصف عدد سكان المحافظة.

قضاء الخضر: وتقع على بعد ٣٢ كيلومتر جنوب المحافظة، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى مقام الخضر عليه السلام. تتبعه ناحية الدراجي، ويبلغ مجموع سكان القضاء والمناطق التابعة له أكثر من ١٠٠ ألف نسمة.

قضاء السلطان: و يسمى قضاء نقرة السلطان الذي اشتهر بوجود سجن تم بناؤه في العهد الملكي وكان قد أسسه الانكليز عام ١٩٢٨، ويبعد هذا القضاء عن مركز المحافظة حوالي ١٥٠ كم باتجاه الحدود السعودية. ومن نواحيه ناحية بصية، ولا يزيد عدد سكان القضاء على ١٥ ألف نسمة.

التركيبة السكانية و الطابع الاجتماعي

تمتاز محافظة المثنى بانسجامها من الناحية السكانية، ومع هذا توجد أقلية بسيطة من أحبتنا السنة، ولديهم عدد من الجوامع من أبرزها جامع النور. وتربطهم بأخوتهم الآخرين مشاعر من المودة والتعايش والانسجام فيما بينهم.

كما تسكن المحافظة عشائر عربية كثيرة ذات الأصالة والعراقة والتقاليد العربية المعروفة، ومن بين تلك العشائر عشيرة بني حجيم، والتي تتفرع إلى عشائر عدة مثل آل بو جياش و الشنابرة وآل بو جراد وآل زويد. فضلا عن عشيرة آل زياد التي تسكن في شمال وغرب السماوة و تنضوي تحتها عدة بطون، كما تتواجد عشائر

7 - معجم البلدان، ج2- ص472



بحيرة ساوة محافظة المثنى

عربية أخرى مثل بني عارض والظوالم وأبي حسان و الخزاعلة ويغلب تواجد هؤلاء في قضاء الرميثة.

تمتاز المحافظة بطابعها الخاص، حيث إنها مدينة زراعية وذات بادية شاسعة يقيم فيها الرعاة والبدو، لكنها في المقابل امتازت بالحرف اليدوية ومنها البسط المصنوعة من الصوف. وكذلك عمل الأزر التي تجري حياكتها بمهارة، وكانت تمثل أفضل أنواع الأزر ويصدر قسم منها إلى خارج العراق.

وبشكل عام فإن الطابع الاجتماعي يمتاز بخصوصيته التي تجمع بين ملامح الحضر والبادية، فتنصهر وتتفاعل تقاليد المدينة مع تقاليد العشيرة، لتنتج مظهرا لافتا ملؤه أصالة التقاليد و سيادة روح التعاون والمحبة ونصرة المظلوم والانحياز إلى الحق، مع الكرم والسخاء العربي.

الثروات الاقتصادية

هناك تصور خاطئ حول الإمكانيات الاقتصادية لمحافظة المثنى، حيث يطيب للبعض وصفها بأنها من المحافظات الأكثر فقرا من ناحية الموارد المتوفرة لديها، والحقيقة أن محافظة المثنى واحدة من أغنى المحافظات العراقية، بيد



آثار مدينة الوركاء

أن أغلبية هذه الموارد لم يتم استغلالها بعد ولو بالحد الأدنى، و سنبين هنا جانباً مما يتوفر للمحافظة من ثروات ومقدرات كبيرة ومنها:
الثروة النفطية: لا تصنف محافظة المثنى من ضمن المحافظات المنتجة للنفط، ولا يعود ذلك لغياب وعدم وجود النفط في أراضيها الشاسعة، بل لعدم استغلاله، فالأمر الوحيد الذي قامت به السلطات قبل أربعة عقود هو استغلال حقل نفطي واحد، ويتمثل بحقل أبو خيمة، وبينما تؤكد الدراسات لباحثين ومختصين على أن المحافظة تحتوي على احتياطات كبيرة لم يجر التنقيب عنها واستغلالها حتى اللحظة.

الثروة الزراعية: إن سعة المساحة لمحافظة المثنى وقابلية استصلاح جزء كبير من هذه المساحة جعل منها مالكة لواحدة من أهم المقدرات، وهي الزراعة، التي تراجع واقعها في المحافظة بفعل غياب الخطط والدعم المقدم للفلاحين، ومن شأن استغلال هذه الأراضي واستصلاحها أن يقفز بمحافظة المثنى إلى صدارة قائمة المحافظات الزراعية التي يمكن أن توفر شتى أصناف المحاصيل والحبوب، ولاسيما إذا ما تم استغلال وتنمية بادية السماوة التي تعتبر أرضاً قابلة لزراعة مختلف النباتات الحقلية والفاكهة فضلاً عن المحاصيل الأخرى.

الثروة المعدنية: تعتبر المثنى أكبر مستودع في العراق لتوفير المواد المعدنية

التي يمكن أن تدخل في صناعة الأسمنت، و تحتوي على نوعية جيدة أفضل من غيرها في المحافظات الأخرى، فضلا عن وجود الملح بكميات كبيرة كما هو معروف عن المحافظة.

الثروة الحيوانية: إن وجود البادية وهطول الأمطار الموسمية وفر بيئة مناسبة صالحة للرعي، ولهذا امتازت محافظة المثنى بوجود أعداد كبيرة من الأغنام والجمال و الماعز تصل نسبتها إلى ربع ما هو موجود في جميع المحافظات العراقية،

الثروة السياحية: تعتبر المواقع الأثرية في المثنى معالم مميزة يمكن أن تجذب السائحين إليها، ومن بين أهم تلك المواقع مدينة الوركاء و وادي القصير، فيما هناك أكثر من مائتي موقع أثري بحاجة إلى العناية والاهتمام، فضلا عن وجود معالم سياحية طبيعية مثل بحيرة ساوه الشهيرة ذات الصفات الغريبة من حيث الملوحة وطريقة تغذيتها بالمياه، فهي تفوق ملوحة مياه الخليج العربي بمرة ونصف، كما أنه لا توجد هناك منافذ أو عيون ومجاري واضحة لتغذيتها، وقد وردت في الكتب التراثية والتاريخية الإسلامية، مرتبطة بمولد الرسول «ص» تارة وبكون جفافها من علامات قيام الساعة تارة أخرى.

المعالم الأثرية والمقامات الدينية

من أهم المعالم الأثرية في محافظة المثنى هي آثار الوركاء: و تسمى في السومرية أوروك، تقع آثار هذه المدينة على بعد ٣٠ كم شرق السماوة، وهي أقدم مدينة حضارية شيدها الإنسان وذلك قبل أربعة آلاف عام قبل الميلاد. وفيها اكتشف العراقيون الأقدمون الكتابة وخطوا أول حرف في التاريخ. وهي موطن كلكامش الذي تنسب إليه الملحمة التاريخية الأسطورية المعروفة. وكذلك هناك معلم أثري هام هو وادي القصير الذي يقع جنوب غرب قلعة القصير في بادية السماوة والتي تبعد حوالي ٤٠ كم عن شمال شرق ناحية بصية، وفيها اكتشفت أول ملامح لانتقال الإنسان من عصور البدائية ما قبل التاريخ إلى عصر التمدن.

كما تضم المحافظة عددا من المراقد والمقامات الدينية، ومنها: مرقد إبراهيم احمر العينين: وهو السيد إبراهيم بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «ع». استشهد في عهد المنصور عام ١٤٥ هـ ومزاره في منطقة بني عارض على بعد ١٠ كيلومترات من مدينة الرميثة.

مقام الخضر عليه السلام: وهو واحد من المقامات العديدة المنتشرة في العراق والدول الإسلامية التي تنسب إلى الخضر ذلك العبد الصالح الذي ورد ذكره في صورة الكهف مع النبي موسى عليه السلام، ويقع مقام الخضر في قضاء الخضر الذي سمي باسمه ويبعد عن مركز السماوة حوالي ٣٠ كيلومتر، ويقصد المقام الكثير من الأهالي والعوائل على مدار العام، من داخل المثنى وخارجها من المحافظات القريبة ولاسيما ذي قار.

مرقد السيد أحمد بن موسى الكاظم (ع): يعود المرقد إلى السيد أحمد بن موسى الكاظم عليه السلام، ويقع على مبعده عشرين كيلومتر عن مدينة السماوة، وتحديدا في قرية البيضة. ويسميه الأهالي هناك بـ أبو رواية، و يقصده عدد كبير من الزوار لقربه من مركز المدينة ولجلالة قدره وكراماته.

أعلام وشخصيات

أنجبت السماوة العديد من الشخصيات والرجالات المؤثرين في ميادين الثقافة والإبداع، وكما هو الحال مع المحافظات الأخرى لا يمكن لنا الإحاطة بأسماء عديد تلك الشخصيات المبرزة في مجالات إبداعها، وإنما نكتفي بذكر بعضها، فممن أنجبته محافظة المثنى الشاعر الشيخ عبد الحميد السماوي، والشاعر يحيى السماوي و الشاعر كاظم السماوي، والفنان والمخرج المعروف سامي عبد الحميد، والتشكيلي الرائد شاکر حسن آل سعيد، والمسرحي ناجي كاشي، والقاص يوسف أبو الفوز، ونجم عزوف وحيدر الياسري، والفنان الموسيقي جمال عزيز وغيرهم العديد من القامات الإبداعية التي رحل بعضها فيما يواصل البعض الآخر شوط

عطائه وتميزه.

ولا يمكن أن نمر بأعلام وشخصيات السماوة متجاهلين تلك الشخصية التي كان لها دورها البارز في إشعال ثورة العشرين، ألا وهي الشيخ شعلان أبو الجون، وبالمثل لا يمكن تجاوز ذكر صاحب ذلك الصوت الحسيني العذب، المتمثل بالشيخ ياسين الرميثي.

وأخيرا اخترنا أن نقف يسيرا عند سيرة لأحد الشخصيات الإبداعية التي تركت بصمتها في الأدب العراقي والعربي، وهو الشاعر الكبير يحيى السماوي، ولد شاعرنا السماوي عام ١٩٤٩ في مدينة السماوة، حصل على بكالوريوس الأدب العربي من الجامعة المستنصرية عام ١٩٧٤م، ثم اشتغل بالتدريس والصحافة، كتب الشعر في مقتبل شبابه، يمتاز بنفس طويل و رؤية شعرية واضحة، يتمتع بجمال المفردة وعذوبة الجرس الموسيقي، وقد حظيت تجربته الإبداعية باهتمام كبار النقاد والمهتمين أمثال الدكتور علي جواد الطاهر وعبد الملك المرتاض وعبد العزيز المقالح وغازي القصيبي، ونال العديد من الجوائز العربية والعراقية، أصدر السماوي عدة دواوين منها: عيناك دنيا، قصائد في زمن السبي والبكاء، قلبي على وطني، جرح باتساع الوطن، من أغاني المشرّد، وغيرها العديد من المجاميع الشعرية التي ناهزت ٢٢ مجموعة. ويتضح في شعره همه الوطني وحبه لبلاده وشعبه، ومن قصائده الجميلة في هذا الصدد قصيدة بحق غيارى الحشد الشعبي قال فيها:

أنعمُ بنصرك للحزاني عيدا
وبيوم زحفك مجدنا الموعودا
جهز لهم يا ابن العراق جهنما
أرضية ... وأقم لهم أخدودا
واجرف بمكنسة الرصاص قمامة
بشرية لا تستحق وجودا
إن لم تكن نارا يخاف لهيبها
فلنار موقدهم غدوت وقودا

ما دام أن الموت حتمٌ فاقتحم
ميدانه حتى تقوم شهيدا
فُرص الخلود كثيرةٌ وأعزّها
أن تلتقي وجه الكريم سعيدا

مبادرة تطوير رحاب المثنى

أطلق سماحة السيد عمار الحكيم بتاريخ ٢٠١٣/٤/٦ مبادرة (تطوير رحاب المثنى)، وكان من مبررات هذه المبادرة ما قاله سماحته من أن المثنى ليست فقيرة في مواردها وموقعها الاستراتيجي أو إمكانياتها وكفاءاتها، بل هي تعاني من ظلم وفقر في الأفكار وفي الرؤية والتخطيط والمطالبة بالحقوق وتثبيتها، إن المثنى تستحق الكثير ولا بد أن تنال حقها الذي تستحقه كاملا غير منقوص، فالمثنى رغم أنها أقل محافظة في عدد السكان وثاني أكبر محافظة في المساحة لكنها أكثر المحافظات تراجعا في الخدمات وأعلاهن في نسبة الفقر والبطالة.

وشملت مبادرة تطوير رحاب المثنى المحاور التالية:

إنشاء صندوق تمويلي للمشروع برأس مال قدره مليار دولار يهدف لزراعة مليون ونصف المليون دونم من أراضي بادية السماوة.

إنشاء مجمع صناعي في البادية يشتمل على مصفى للنفط ومعمل للأسمدة الزراعية ومعمل للملح ومخازن للحبوب.

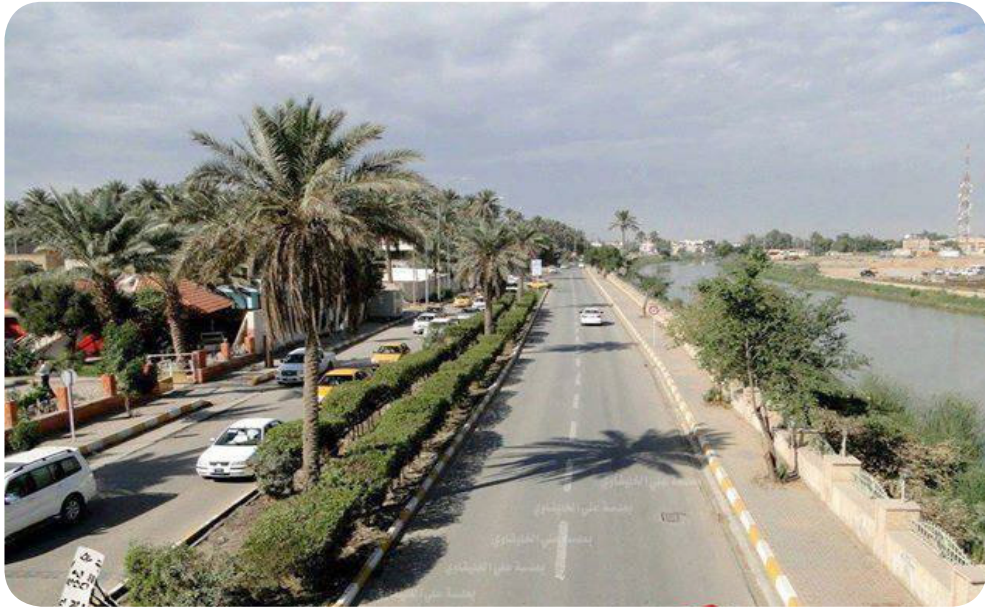
إنشاء منطقة حرة على الحدود العراقية السعودية ضمن حدود محافظة المثنى وفتح منفذ حدودي بين البلدين لتنشيط التجارة وحركة نقل البضائع والحجاج والمعتمرين بالإضافة إلى إعادة تأهيل وتوسعة طريق السماوة - سلمان - الحدود السعودية وربطه بالطريق السريع الدولي للعراق، وكذلك ربطه بمحافظة البصرة عاصمة العراق الاقتصادية.

إكمال المسح الجيولوجي للبادية كاملة وإكمال الاستكشافات النفطية في المحافظة وإنشاء مختبر متخصص في الأبحاث الزراعية الخاصة ببادية السماوة.

تأسس شركة حفر آبار خاصة لتطوير منطقة الرحاب وتطوير منطقة بحيرة ساوه السياحية من حيث استكشاف قدراتها واجتذاب السواح إليها ورعاية المناطق الأثرية العظيمة التي تحتويها محافظة المثنى وتطوير عملية الاستكشافات الأثرية والمتاحف التي تعيد التركيز على العمق الحضاري والتاريخي للمحافظة.

محافظة الديوانية

من محافظات الفرات الأوسط، ديوانية الخير والعطاء والتاريخ المجيد من التضحية والمقاومة والبطولة الفريدة، وقد سميت أيضا بمحافظة القادسية، لوجود قرية (قادس) التي جرت فيها موقعة كبيرة بين المسلمين وجيش كسرى. ولكن



يغلب استخدام اسم الديوانية لاسيما بعد ٢٠٠٣ لما فيه من دلالة وتعبير حميم عن الأصالة والضيافة والكرم. فضلا عن الارتباط السلبي لاسم القادسية بدعاية البعث ودكتاتوريته وحربه المدمرة مع الجارة إيران. ومعنى كلمة الديوانية لم يرد تبيان له في الكتب والمصادر المعنية ولاسيما كتب الرحلات للمكتشفين والرحالة الغربيين الذين ذكروها، والغالب أنها سميت بذلك بسبب كثرة مضايفها، و ما زال أهل الجنوب يطلقون على غرفة استقبال الضيوف تسمية «ديوانية». كما

قيل إن هناك حادثة تاريخية أدت إلى هذه التسمية غير بعيدة عما ذكرناه، وتتلخص بأن حمد آل حمود شيخ عشائر الخزاعل كان قد بنى قلعة محصنة في القرن السابع عشر وجعلها مأوى وملقى لعشائر الخزاعل وهي بمثابة دار للضيافة، والتي كما أشرنا تسمى بالديوانية. وعلى أية حال فقد كانت التسمية موجودة منذ العهد العثماني، وكانت منذ القرن الثامن عشر معروفة في السجلات العثمانية بهذا الاسم والذي كان يشير إليها كونها قضاء إداريا تابعا للواء الحلة. ثم أصبحت في نهاية القرن الثامن عشر لواء، وفي عام ١٩٦٩م اعتبرت محافظة. للديوانية تاريخ مجيد في المقاومة فهي لم تهدأ في أغلب فترات الاحتلال العثماني، أما دورها في ثورة العشرين فمعروف للقاصي والداني.

الموقع الجغرافي

تقع المحافظة في الفرات الأوسط على الضفة اليسرى من النهر، يحدها من الشمال محافظتا بابل، ومن الشرق محافظتا ذي قار وواسط، ومن الجنوب محافظة

المثنى، ومن الغرب محافظة النجف. ويضم سطحها تضاريس مختلفة، منها الأراضي الرسوبية المتكونة من ترسبات نهر الفرات وفروعه، و أخرى تضم الكثبان الرملية وبعض المساحات التي تقع في الجزء الجنوبي الغربي هي مساحات رملية وجرداء منفتحة على الصحراء الغربية. وتبلغ مساحة المحافظة أكثر من ثمانية آلاف كيلومتر مربع.

تتكون محافظة الديوانية من أربعة أقضية هي:

قضاء الديوانية: ويحتوي على مركز المدينة وناحية السنية والدغارة والشافعية.



ويبلغ عدد سكان القضاء حسب تقديرات ٢٠١٤ حوالي ٧٠٠ ألف نسمة. قضاء الشامية: ويضم مركز القضاء ناحية غماس وناحية المهناوية وناحية الصلاحية. يقع القضاء إلى الغرب من مدينة الديوانية، ويبلغ سكانه ٣٠٠ ألف نسمة. وقد تأسس هذا القضاء في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ويشتهر بزراعة الرز وكثرة بساتين النخيل.

قضاء عفاك: تقع إلى الشمال الشرقي من مركز المحافظة، وعلى بعد ٢٥ كم، و يعود اسم القضاء إلى أكثر من ثلاثمائة عام خلت حيث سكنها رجل يدعى محمد العفاك وهو أول من نزل فيها، من نواحي القضاء ناحية آل بدير وسومر. ويبلغ عدد سكانه ٥٦ ألف نسمة، وأبرز معالم هذا القضاء هي آثار نيبور. يشتهر بزراعة الخضر والحبوب.

قضاء الحمزة: يقع على بعد ٢٨ كم جنوب مركز المحافظة، يضم القضاء ناحية السدير و ناحية الشنافية. و اكتسب اسمه من وجود مرقد السيد أحمد البحراني المعروف بالإمام الحمزة. يبلغ عدد سكان القضاء ١٦٠ ألف نسمة.

التركيبة السكانية و الطابع الاجتماعي



قادة ثورة العشرين في الديوانية

كانت الديوانية في عصور ماضية محطة تجارية تكتظ بأصحاب الحرف والتجار وكانت تقع كحلقة تربط بين الجنوب ومناطق كربلاء والنجف كما أنها تربط بين الصحراء والمناطق الحضرية. يبلغ عدد سكانها حالياً وفق التقديرات الشائعة أكثر من مليون نسمة، وتمتاز المحافظة بأنها تحتوي على نسيج اجتماعي متجانس ومترابط، ولا توجد تنوعات كثيرة في هذا النسيج خلا أقلية محدودة من الإخوة السنة، ويوجد في وسط الديوانية جامع الديوانية الكبير الذي يدار من قبل الوقف السني. وفي القرن الماضي كانت توجد أقلية يهودية كذلك، اشتهروا بمزاولةهم للتجارة وبيع الحبوب، وكان هؤلاء يقطنون في منطقة حي الجديدة.

يغلب على هذه المحافظة العريضة طابعها الريفي، حيث توجد ٩٥٠ قرية يمتهن أهلها الزراعة، وتبدو الكثافة السكانية أعلى في هذه المناطق قياساً مع مركز المدينة.

يتمتع أهل الديوانية بحسن المعشر وكرم الضيافة والأخلاق العراقية الأصيلة، وتتواشج العلاقات الحميمة بين الأسر والعوائل التي تعود إلى قبائل وعشائر سكنت المنطقة منذ قرون.

وليس من تميّز في تاريخ المحافظة كتميزها في مقارعة المحتل العثماني، فقد كانت قبائل الديوانية قد دخلت مع العثمانيين وولاتهم في حرب ضروس، اضطرت السلطة إلى تسيير الجيوش الجرارة إليها دون جدوى، كما برز دور هذه العشائر الوطنية الكريمة في ثورة العشرين، حيث تبنى شيوخها خيار المقاومة والثورة التي انطلقت شرارتها من قضاء عفك، ولشدة إصرار واستبسال أبناء عشائر الديوانية لجأت السلطات المحتلة إلى ممارسة أقسى صنوف التنكيل والاضطهاد بحقهم. من دون أن تفلح تلك الإجراءات التعسفية في النيل من معنويات وإصرار أهل الديوانية على تحقيق طموحاتهم وإنجاح الثورة.

الثروات الاقتصادية

تتمتع المحافظة بالعديد من الثروات الطبيعية والاقتصادية، وعلى النحو التالي:

الثروة النفطية: يوجد في المحافظة بئران نفطيان الأول في ناحية الشنافية ويعاني من الإهمال، ولا يزال غير مستغل، أما الثاني فيقع في ناحية سومر شمال شرق مركز المحافظة وهو يعود إلى عهد الاحتلال الانكليزي بيد أنه طمر نتيجة إهماله. ولعدم شمول الديوانية بالخطط الاستكشافية عن النفط فإنها تعتبر محافظة بلا موارد نفطية، بيد أنه في نهاية ٢٠١٤ وضعت وزارة النفط بإيعاز من وزير النفط السيد عادل عبد المهدي محافظة الديوانية ضمن المناطق التي ستشمل بأقرب جولة تراخيص بحسب مسؤولين محليين في حكومة الديوانية لتجاوز مظلومية المحافظة في السنوات السابقة..

الثروة الزراعية: تعتبر رقعة كبيرة من أراضي المحافظة أرضا خصبة وصالحة لزراعة العديد من النباتات، وقد اشتهرت محافظة الديوانية بزراعة الرز ويصل إنتاجها منه إلى ١٥٠ ألف طن سنويا، كذلك تشتهر بزراعة بقية أنواع الحبوب من القمح و الشعير و كما تتميز ببساتينها الجميلة الخضراء والتي تحتوي على آلاف من أشجار النخيل، أما على مستوى المحاصيل الحقلية فهي تشتهر بالعديد من أصناف الخضر والفاكهة، و لو تم الاهتمام اللازم من قبل الجهات المعنية لكانت الديوانية مصدرا رئيسا لهذه المحاصيل و يمكنها تغطية احتياجات العديد من المحافظات المجاورة.

الموقع الإستراتيجي: إن للموقع الاستراتيجي ميزات كبيرة، و يعتبر عبر التاريخ واحدا من المقدرات الحيوية للمدن والبلدان، و تمتاز محافظة الديوانية بكونها تحتل مكانا استراتيجيا هاما يربط بين محافظات الجنوب والفرات الأوسط، بل ويربط محافظات الفرات الأوسط نفسها فيما بينها، إذ تجاورها خمس محافظات مهمة، ولأجل توظيف هذا المقدر الاقتصادي لا بد من الاهتمام بعمليات تطوير الطرق والمواصلات، وتنمية الجانب السياحي وتوفير الفنادق و محطات الاستراحة

وكل ما من شأنه خلق فرص اقتصادية مهمة لأبناء الديوانية. الثروة المعدنية: لا تخلو محافظة الديوانية من الثروة المعدنية، حيث تشير الدراسات المنجزة إلى أن العديد من مناطق المحافظة يحتوي على معادن مهمة تدخل في الصناعات المختلفة، ومن بين هذه المعادن الحصى والسببيس والجص والرمل، وخاصة في المناطق التابعة لناحية غماس. وتوجد في المحافظة مقالع للمواد التي تستخدم في صناعة الأسمنت. الثروة السياحية: تعتبر آثار نفر بالقرب من قضاء عفك من أهم المعالم الأثرية في المحافظة، وكذلك قبور ومراقد للأنبياء. بل تشير دراسات متخصصة إلى وجود ٨٠٠ موقع أثري لم يتم التنقيب سوى في عشرين منها فقط.

المعالم التاريخية والمقامات الدينية

تحفل محافظة الديوانية بآثار ومعالم مهمة وكذلك تضم عددا من المراقد والمقامات التي يقصدها آلاف الزوار على مدار السنة. ومن بين هذه المواقع والمعالم وأكثرها أهمية من الناحية التاريخية والقيمة



آثار مدينة نفر في محافظة الديوانية

المعنوية الحضارية هي آثار مدينة نفر أو نيبور، وتقع هذه الآثار على بعد ١٠ كم من قضاء عفك، وحوالي ٣٥ كم شمال شرق الديوانية، وتعد نفر (نيبور) مدينة دينية مقدسة في الحضارتين السومرية والبابلية، وقد بقيت محتفظة بمكانتها الروحية لدى الدول المتعاقبة في الحضارات العراقية القديمة، بل واستمرت

مدينة قائمة حتى في العصر العباسي حيث تنتسب إليها بعض الشخصيات

الإسلامية الذين يحملون لقب النفري. إن نفر يمكن أن تتحول إلى مدينة سياحية مهمة تجتذب السائحين من حول العالم، غير أنها حالياً تعاني من الإهمال و غياب الخطط الجدية التي يمكن أن تحولها إلى معلم سياحي عراقي مميز. كذلك تحفل محافظة الديوانية بعدد من المراقد والمقامات الدينية، ومنها: مرقد الحمزة الشرقي: يقع في قضاء الحمزة على بعد كيلو ونصف من مركز المحافظة وهو يعود إلى السيد الجليل أحمد ابن العلامة السيد هاشم بن السيد علوي بن السيد حسين الغريفي، المعروف بالعلامة الغريفي البحراني و ينتهي نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وسمي بالحمزة الشرقي تمييزاً له عن الحمزة الغربي الذي يقع في محافظة بابل. مرقد عبد الله المحض: ويعود إلى عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ويقع إلى الغرب من ناحية الشنافية على بعد تسعة كم.

مرقد النبي أيوب عليه السلام، ويقع في مركز المدينة.
مرقد النبي مدين عليه السلام: ويبعد أربعة كيلومتر عن مركز الديوانية.
مقام النبي يونس عليه السلام: ويقع في قضاء عفك.
مقام النبي شعيب عليه السلام: والذي يقع في ناحية الدغارة.
مرقد الإمام محمد بن موسى الكاظم عليهم السلام: والذي يقع في مركز مدينة الديوانية.

الشنافية. فضلاً عن مراقد مزارات عديدة يقصدها الكثير من الأهالي في محافظة الديوانية ونواحيها.

أعلام وشخصيات

تعج الذاكرة بأسماء عديدة لشخصيات وأعلام من محافظة الديوانية كان لهم أثرهم وتميزهم في شتى المجالات، ويتواصل عطاء هذه المحافظة عبر ولادة أسماء مبدعة أخذت على عاتقها مهمة إكمال شوط التميز و التألق الذي عرف عن



الديوانية وأقضيته.

أنجبت المحافظة العديد من رجالات المعرفة والفكر منذ القرن السابع عشر، ومنهم رجال دين كالعلامة الشيخ آية الله خضر بن شلال والشيخ محسن الخنفر والسيد شبر الموسوي، ومن الأسماء العالقة بذاكرة الديوانية السيد مجيد صالح صاحب أول جريدة في الديوانية صدرت عام ١٩٣٢م، ومن أسماء المبدعين برز نقاد وشعراء وقصاصون من أمثال الدكتور عناد غزوان، والباحث حسين علي الحاج حسن، ويوسف نمر، والدكتور حاكم الزبيدي والشاعر كزار حنتوش، والأديب ثامر الحاج أمين، و

الباحث عودة محمد العطية، والمؤرخ عبد الكاظم البديري، وفنان الكاريكاتير عبد الرحيم ياسر المصنف بالمرتبة العاشرة على مستوى العالم، ومن الأسماء المبدعة أيضا المسرحي رحيم ماجد، الشاعر سعد جاسم، القاص علي حسين، الناقد باسم الأعسم، الروائي سلام إبراهيم، التشكيلي بشير مهدي، والشاعر الشعبي صاحب الضويري.

وفي السياسة برزت في العهدين الملكي والجمهوري أسماء عدة من مثل عبد الكاظم عواد عضو مجلس الأعيان والشيخ رايح العطية، والشيخ هديب الحاج حمود وزير الزراعة في العهد الجمهوري الأول.

واختارنا هنا التعريف بشخصية لها دورها الوطني المشهود، وهو اسم من الأسماء التي يصعب أن يطويها النسيان لمواقفها الوطنية البارزة في ثورة العشرين، ألا وهو الشيخ مرزوق العواد، وهو الحاج مرزوق وكنيته «أبو جفات» شيخ عشيرة العوايد التي يمتد تواجدها في مناطق من الفرات الأوسط، ويتركز وجودها في قضاء الشامية، ويُعدّ الشيخ مرزوق من أشهر الشيوخ المجاهدين الذين كان لهم أثرهم الكبير في مقاومة الاحتلال الانكليزي و التصدي له في ثورة العشرين، ويرتبط ذكر هذه الشخصية المجاهدة بمعركة الرارنجية التي تعتبر واحدة من

أبرز المعارك وأشدها علوقا بالذاكرة الجهادية العراقية في تلك المرحلة، لما أثبتته من أن قوة الإيمان وصلابة العقيدة هي أقوى الأسلحة وأكثرها فتكا، إذ انتصر في معركة الرارنجية العراقيون المجاهدون بأسلحتهم البسيطة كالفالمة والمكوار على أعتى قوة مدججة بالسلاح والعتاد المتنوع. وبرز دور وحنكة الشيخ مرزوق حين قام بعملية التفاف ناجحة على العدو ليكبده خسائر فادحة، و قد أسر المجاهدون ١٦٠ جنديا وغنموا أحد المدافع التي استخدموها فيما بعد لإغراق الباخرة فاير فلاي قرب الكوفة.

ولما يتمتع به الشيخ مرزوق من فطنة وحنكة عسكرية في التخطيط والتنفيذ لم يكن بقية الشيوخ المجاهدين ليخطون خطوة من دون مشورته وأخذ رأيه، وقد كان الشيخ رحمه الله شاعرا مهولا لا يشق له غبار، وهو صاحب الهوسة العراقية الشهيرة (ودّوه يبلعنا وغصّ بينه). وبعد أن وافقت سلطة الاحتلال على المطلب الشعبي للثورة بضرورة تنصيب ملك عربي على العراق واختيار الملك فيصل كان الشيخ مرزوق ضمن الوفد الذي سافر إلى حلب لجلب الملك فيصل وتقليده العرش.

مشروع ديوانية الخيرات

أطلق سماحة السيد الحكيم مبادرة تعنى بإطلاق عملية تنموية واسعة ومستدامة في محافظة الديوانية، وذلك بتاريخ ٩/٤/٢٠١٣، تحت اسم (ديوانية الخيرات) من شأن تطبيقها من قبل الجهات الحكومية المعنية أن تسهم في انتشار هذه المحافظة الحبيبة من واقعها غير المقبول، حيث تشهد الديوانية مشاكل عديدة ولاسيما في القطاع الزراعي لكونه أهم القطاعات في هذه المحافظة، و قد اشتملت مبادرة ديوانية الخيرات على المحاور التالية:

إنشاء صندوق مالي خاص بمحافظة الديوانية بقيمة ٣٥٠ مليون دولار سنويا ولمدة ٧ سنين متتالية لدعم زراعة الشلب خصوصا والحبوب الإستراتيجية عموما والبنية التحتية المرادفة في محافظة الديوانية.

أنشاء شبكة حديثة من صوامع الحبوب الحديثة المجهزة بأجهزة قياس الأوزان ضمن المقاييس العالمية.

بناء سدود متنوعة تكفي حاجة المحافظة الزراعية.

زراعة مليون دونم من أراضي المحافظة الصالحة للزراعة أصلا.

زيادة الحصص المائية للمحافظة وتجهيز الفلاحين بأنظمة الإرواء الحديثة.

تأسيس المركز الوطني لتطوير زراعة الشلب.

تطوير كلية الزراعة والمعهد الزراعي وإعدادية الزراعة في المحافظة.

حفر الآبار في المناطق الصحراوية.

إعادة توسعة الأنهار وإنشاء شبكة مآزل موحدة.

إعادة تأهيل معمل إطارات الديوانية ومعمل نسيج الديوانية وتوسعة طاقتهما الإنتاجية مما يلبي حاجة العراق والدخول باستثمارات مشتركة مع شركات عالمية معروفة في هذا المجال.

التنقيب عن المواقع الأثرية في أنحاء الديوانية لتنشيط السياحة وتحريك العجلة الاقتصادية في المحافظة.

تشجيع الاستثمار في المجال التجاري والصناعي والسياحي في الديوانية لتحريك رأس المال وتشغيل اليد العاملة ومعالجة البطالة، فإن الموقع المتميز للمحافظة في قلب الفرات الأوسط يؤهلها لتكون منطقة تجارية مهمة.

محافظة واسط

إحدى محافظات وسطنا الحبيب ذات التاريخ الزاهي والناظرة إلى مستقبلها بثقة، وقد أخذت المحافظة تسميتها بواسط من كونها تتوسط بين الحاضرتين الكبيرتين البصرة والكوفة، فيما يرجع بعض الدارسين أصل التسمية إلى أن الموقع الذي اختاره الحجاج بن يوسف الثقفي الذي أسس فيه مدينة لعساكره وجنوده كان يطلق عليه اسم واسط القصب لكثرة وجود نبات القصب فيه، لاسيما وأن منطقة البطائح (الأهوار) كانت واسعة وممتدة حتى مدينة الكوت الحالية.



لواسط تاريخ مفعم بالأصالة ومقاومة الظلم و الكبرياء العراقية، وفي الوقت نفسه كانت واسط ومركزها مدينة الكوت من بين المدن التي تعرضت إلى أبشع صنوف القسوة بفعل المحتلين من الأتراك العثمانيين والانكليز، و أبرز ما قاسته هو الحصار الذي جرى في عام ١٩١٥ للعثمانيين ومحاصرة الجيش الانكليزي داخلها، فكان الأهالي يتعرضون إلى الاضطهاد والتنكيل من قبل المحتل في داخل المدينة، وللأذى والقتل مع المحتل العثماني في الخارج المحاصر لها والذي أمطرها لشهور عديدة بقنابل المدفعية.

يختصر لنا سماحة السيد الحكيم أصالة هذه المحافظة وتاريخها، و طابعها العام، و تميز رجالاتها عبر التاريخ، قائلا: (إن واسط مدينة تتوسط القلوب مثلما توسطت المدن وقد جمعت التميز من كل جوانبه، فهي مميزة بموقعها الاستراتيجي ومميزة بأرضها الشاسعة الخصبة وبأنهارها وجداولها ومميزة بالخيرات التي احتوتها أرضها وقمة تميزها بأهلها الذين جمعوا بين العشائرية والمدنية وتعايشوا بود عربا وكردا فيلية، إنها واسط، فهي وسطية بفكرها وروحها وقبولها للآخر، وهي أرض عشائر السادة و إمارة ربيعة و إمارة زبيد وعشائر شمر



وقريش وكعب والعشائر المنضوية معهم وأرض المتنبي وسعيد ابن جبير)^٨.

الموقع الجغرافي

تقع محافظة واسط في وسط العراق في منطقة سهلية، تغفو على أحضان دجلة، وتشكل حلقة رابطة بين العاصمة بغداد و المدن الجنوبية، حيث تحدها من الشمال

محافظة بغداد وديالى، ومن الشرق الحدود الإيرانية، ومن الجنوب الشرقي محافظة ميسان، ومن الجنوب محافظة ذي قار، ومن الغرب كلا من الديوانية وبابل. تبلغ مساحة المحافظة ١٧٠١٢ كيلومتر مربع، ويمتاز مناخها بارتفاع الحرارة وقلّة هطول الأمطار.

تتكون المحافظة من ستة أقضية وهي:

قضاء الكوت ويمثل مركز المحافظة، وكانت تسمى كوت العمارة، ومعنى الكوت هو ما يتم بناؤه على ضفاف النهر ليكون مسكناً أو محطة لتجهيز البضائع. وقيل إنه مأخوذ من كلمة لاتينية تعني الساحل. يبلغ عدد سكان القضاء قريباً من أربعمئة ألف نسمة.

قضاء بدرة: يقع إلى الشرق من مدينة الكوت بمسافة ٧٠ كم. وتتبعه كل من ناحية زرباطية وناحية جصان، ويبلغ عدد سكان القضاء ٣٥ ألف نسمة. قضاء الحيّ: ويقع إلى الجنوب الشرقي، وهو قضاء مشهور له تاريخه ورجالاته المعروفون في الأدب والفن والسياسة وغيرها. ويزيد سكانه على ٦٠ ألف، ومن معالمه المميزة قبر التابعي الجليل سعيد بن جبير «رض».

قضاء النعمانية: يقع على مسافة ٤٥ كم شمال غرب الكوت، ويشتهر بالزراعة و كثرة البساتين التي تبلغ زهاء مائة بستان. ويضم القضاء قبر الشاعر العربي الكبير

8 - الاحتفال الجماهيري في واسط_ بتاريخ 14/4/2013

أبو الطيب المتنبي. وكانت هذه المدينة حاضرة عامرة في العصر العباسي، و يرجح أن اسمها يعود إلى النعمان بن المنذر الثالث مؤسس المملكة العربية في الحيرة.

قضاء العزيزية: يقع إلى شمالي المحافظة على ضفاف نهر دجلة، و تعود تسميته إلى السلطان العثماني عبد العزيز في عهد الوالي مدحت باشا. يقدر عدد سكان القضاء بسبعين ألف نسمة.

قضاء الصويرة: يقع إلى شمال الكوت على مسافة ١٣٥ كم، ويشتهر بكثرة بساينه وإنتاجه لمحاصيل الخضر والفاكهة. يبلغ سكانها ١٦٠ ألف نسمة.

التركيبة السكانية و الطابع الاجتماعي

يتنوع النسيج الاجتماعي لمحافظة واسط وأقضيته، فهي تضم أطيافا مهمة من المجتمع العراقي، حيث عاش بتآخٍ و انسجام في ربوع هذه المحافظة كلا من الشيعة الذين يمثلون أغلبية السكان مع إخوتهم السنة والکرد الفيلية. وكانت تضم أيضا عددا من الأسر المسيحية واليهودية يشكلون وفق إحصائيات قديمة تعود إلى عام ١٩٢٠ ما يقدر نسبته بـ ٠,٥% من مجموع سكان المحافظة.

و تتوزع خيوط هذه الفسيفساء الجميلة ناسجة لوحة مطرزة بالمحبة والتسامح والهوية الوطنية الأصيلة، ففي وقت يقطن الشيعة أقضية ومناطق المحافظة من الجنوب والشرق كقضاء الكوت والحي والنعمانية، فإنهم يتقاسمون خبز الحياة وملوحة الأرض مع إخوتهم السنة في الصويرة و الموفقية و في مركز مدينة الكوت أيضا.

أما أحبتنا المسيحيون فلا يزال عدد منهم يسكن في وسط مدينة الكوت، و هم يتمتعون بعلاقة أخوية حميمة مع بقية الأهالي، لما يربطهم من تاريخ و مودة وتقاليد أملتتها البيئة الاجتماعية في المدينة، و من تجليات الروح الناصعة الوطنية و المفعمة بالمحبة والتعايش أنهم- أي المسيحيون- في الكوت قد ألغوا احتفالاتهم برأس السنة ومولد السيد المسيح عليه السلام نهاية عام ٢٠١٤ تضامنا

مع عوائل شهداء قواتنا المسلحة والحشد الشعبي الوطني. وبمثل ما يتنوع الطيف الديني في المحافظة فهناك تنوع قومي، حيث يوجد الأحبة من الكرد الفيليين، ويتركز وجودهم في قضاء بدرة وناحية زرباطية. ويقدر البعض عدد الكرد الفيلية في العراق بثلاثة ملايين ينتشرون في أماكن مختلفة وقد تعرضوا في زمن الدكتاتورية البغيضة إلى الاضطهاد والتهجير وأسقطت عنهم الجنسية العراقية بحجة واهية هي التبعية. ومن هنا فهم يشكلون بالفعل رمزا من رموز اللحمة الوطنية كما يصفهم سماحة السيد عمار الحكيم بالقول: (إن الكرد الفيليين يشكلون رمز اللحمة الوطنية ورمز العيش الواحد ورمز الانتماء الوطني، فباعتبار انتشارهم على مساحة الوطن في الشمال والوسط والعاصمة والجنوب، وهكذا فهم يشكلون ضمان اللحمة الوطنية وباعتبار تنوعهم المذهبي فهم يشكلون رمز للوحدة الإسلامية، وباعتبار مساهماتهم وانتشارهم القومي الكردي فهم يشكلون رمز التلاحم العربي الكردي في هذا الوطن، وبانتمائهم القومي والمذهبي فهم رمز لحلف المظلومين على يد الدكتاتورية المقبورة).⁹ أما عشائر المحافظة فتبرز منها خمسة قبائل عربية أصيلة، هي قبيلة بيعة وتعدّ الأكبر وبدورها تضم عشيرة المياح، كذلك قبيلة بني لام، ثم قبيلة زبيد و شمر والدليم.

الثروات الاقتصادية

لواسط ثرواتها وخياراتها الوفيرة، والتي بحاجة إلى استغلال أمثل وأكمل، كي تنهض بواقع أبنائها الخدمي والمعيشي، ومن الثروات المتوفرة للمحافظة: الثروة النفطية: تشير بعض التقديرات الأجنبية إلى وجود احتياطات ضخمة من النفط الخام في محافظة واسط، حيث يخمن احتياطي حقل بدرة بثلاثة مليارات برميل. و حاليا يوجد في واسط ثلاثة حقول منتجة للنفط هي: حقل الأحذب وحقل بدرة وحقل الظفرية.

الثروة الزراعية: تتوفر للمحافظة أراض خصبة واسعة مع وجود المياه عبر عدة

9 - من كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في مؤتمر الكرد الفيليين - بتاريخ 30/3/2013



أنهار، و تزرع واسط عدة محاصيل مهمة منها الذرة والقطن وعباد الشمس، فضلا عن المحاصيل الحقلية من الفاكهة والخضروات. ومع أن رقعة الأراضي المستغلة والمستصلحة لا تعد شيئا بالنسبة لما هو متوفر إلا أن واسط تحقق إنتاجية جيدة من المحاصيل الزراعية المتنوعة سنويا.

الثروة الحيوانية: اشتهرت واسط في فترات سابقة بتربية المواشي، نظرا لوجود مراعي طبيعية كثيرة، حتى أنها كانت تحتل المرتبة الأولى من بين المحافظات العراقية في تربية الأبقار والأغنام وغيرها، إلا أن الظروف الطبيعية والتصحر وقلة الاهتمام كلها عوامل أسهمت في تراجع الثروة الحيوانية وتربيتها في المحافظة. وهو أمر ممكن استعادته مع وضع الخطط والاهتمام بإرواء الأراضي المتصحرة ومعالجة مشكلتها فضلا عن دعم المربين وتوفير ما يلزم لهم.

الثروة السياحية: كغيرها من بلاد الرافدين ذات الحضارات المتعاقبة تتوفر في واسط العديد من المواقع والمعالم الأثرية، حيث تقدر بحوالي أربعمئة موقع أثري غير المواقع التي لم تكتشف بعد. وأهم هذه المواقع والمعالم مدينة واسط الأثرية، ومنازة المدرسة الشرايية التي ترتفع ١١ مترا، وتل البقرات ومقام التابعي سعيد بن جبير رحمه الله، وضريح الشاعر العربي الذائع الصيت المتنبي وهي معالم بارزة و تسترعي اهتمام السائحين.



المعالم التاريخية والمقامات الدينية

تزرخ محافظة واسط بالعديد من المعالم والمواقع الأثرية والتاريخية والمرقد الدينية، فعلى صعيد المواقع الأثرية التاريخية توجد:

مدينة واسط التاريخية: وتقع في ناحية واسط (الدجيلية) على مبعده ٥٨ كم جنوب شرق المحافظة وتسمى المنطقة بآثار واسط، أو المنارة كما يسميها الأهالي، وتعود إلى مدينة واسط التاريخية التي تضم بقايا المدرسة الشراعية وبوابة مدينة واسط التاريخية وقصر الحجاج.

تل البقرات: وهو موقع أثري يعود إلى الحضارة السومرية، ويحتوي على أربعة تلال، يقع في منطقة المزاك ٢٩ كيلومتر شمال غرب مدينة الكوت، وتتواصل عمليات التنقيب فيه منذ عام ٢٠١٣، وقد تم العثور على لقى وتحف أثرية وأختام و وحدات سكنية تعود إلى عصور مختلفة.

فضلا عن ذلك تضم المحافظة أكثر من ٤٢٠ موقعا في عموم مناطقها ولاسيما الشرقية والجنوبية، ومن ذلك مدينة جرجرايا التي تعتبر أول استيطان بشري في هذه المنطقة، ومنها أيضا مواقع تل النجمي و ايشان أبو الروس اللذان يعود تاريخهما إلى فترة العباسية.

أما المراقد الدينية والتراثية فمن أهمها ما يلي:

مرقد سعيد بن جبير: ويقع هذا المرقد الشريف في قضاء الحي ٤٠ كم جنوب الكوت، ويعود إلى التابعي المعروف أبو عبد الله سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، ولد في الكوفة عام ٤٠هـ، وهو من أفاضل التابعين عرف بالعلم والزهد والعبادة، وكان قارئاً مفسراً حتى لقب بجهنم العلماء، اتصل بالأمام زين العابدين عليه السلام، وقد اشترك في ثورة عبد الرحمن بن الأشعث ضد الدولة الأموية، ثم عاش متخفياً عن أعين السلطات متنقلاً بين الأمصار والبلدان، إلى أن استقر في مكة فألقى عليه أزالام الحجاج القبض واقتادوه إلى واسط ليستشهد فيها على يد الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي عام ٩٤هـ. و يعتبر مرقد مقصدا للزوار والمحبين، من داخل الكوت والمحافظات المجاورة لاسيما ذي قار.

مرقد السيد التاج: ويعود للحسن أبي الفضل تاج الدين محمد بن مجد الدين بن الحسين بن علي بن زيد الداعي، ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين عليه السلام، وقد قتل مع ولديه شمس الدين وشرف الدين سنة ٧١١هـ، ويقع في ناحية الحفرية وسط أشجار النخيل الباسقة. ويقصده الآلاف من الزوار على مدار العام.

مرقد العقار: وهو السيد محمد بن إبراهيم المجاب بن الإمام الكاظم عليه السلام، ويقع في ناحية البشائر التابعة لقضاء الحي،

مرقد محمد أبو الحسن: وهو الإمام أبو الحسن محمد التقي السابسي بن أبي محمد الحسن الفارس النقيب، من أحفاد زيد ابن الإمام السجاد عليه السلام، وكان نقيب نقباء بغداد وأمير الحج، ويقع المرقد في محلة الكرامة في الجهة الشرقية لمدينة الكوت.

مرقد أبي الطيب المتنبي: ويقع في قضاء النعمانية على بعد ٢ كم من مركز القضاء، ويضم قبر الشاعر العربي الشهير أبي الطيب المتنبي، وتقام عنده سنويا فعاليات أدبية ضمن مهرجان المتنبي.



أعلام وشخصيات

محافظة واسط زاخرة بالمبدعين والرجال المؤثرين في الدين والفكر والسياسة، فعلى صعيد رجالات الإسلام تبرز قائمة التابعي الجليل سعيد بن جبير «رض» الذي أعدمه الطاغية الحجاج وهو كهل ليعود ويتجسد من جديد عبر الشهيد السيد قاسم شبر الذي أعدمه النظام البائد وهو في عمر السبعين، ولم يكن ذنبهما سوى التمسك بعقيدتهما الإسلامية ومنهج أهل البيت عليهم السلام.

كما تحفل ذاكرة المحافظة بأسماء تنتمي إليها كانت لها أدوار سياسية مهمة في تاريخ

العراق الحديث بغض النظر عن ماهية الدور الذي لعبته سلبا أم إيجابا وفي حقبة ومراحل مختلفة، ومن أولئك عبد الكريم قاسم الذي ينحدر من قضاء الصويرة، والسياسي إسماعيل محمد طاهر عضو البرلمان في العهد الملكي، والسياسي الكردي جلال بابان الذي تولى وزارة الدفاع في ثلاثينيات القرن المنصرم، أما الأدباء والكتاب والفنانون فهم أكثر، وعلى سبيل المثال نذكر منهم الروائي الرائد هشام توفيق والروائي المعروف عبد الخالق الركابي و الروائية ناصرة السعدون، والناقد حميد حسن جعفر، والروائي صالح مطروح، والشاعر حسن الدباغ، والكاتب علي عبد الأمير صالح، وحميد الربيعي والروائي برهان الشاوي، والباحث جليل بن إبراهيم العطية، والشاعر حميد العقابي، والشاعر محمد جاسم البدري، والشاعر الشعبي ناظم الحاشي، والفنان الفطري عبد الكريم الغريبواوي، والباحث الاجتماعي سلام عبد علي مهوس، والشاعر الشعبي رياض النعماني، والفنان المسرحي قائد النعماني، والدكتور عقيل مهدي، والفنانة أمل طه وغيرهم الكثير.

ومن الكفاءات العلمية الدكتور خالد السلطاني، و البروفيسور علي عبد الزهرة

الذي تم تعيينه رئيساً لجماعة نيكاتا في اليابان حيث اختارته لهذا المنصب عام ٢٠١٤.

ولكن هل يمكننا أن نختار في محضر أبي الطيب المتنبي اسماً آخر للتعريف به؟! كلا، فحين تذكر واسط وتحديداً قضاء النعمانية فسيحضر المتنبي، ذلك العلم الإبداعي الكبير في تاريخ الشعرية العربية، ولد أبو الطيب واسمه أحمد بن الحسين عام ٣٠٣ هـ، في مدينة الكوفة. وينتسب إلى قبيلة كندة العربية، كانت شخصيته ذات شجاعة وطموح انعكس على شعره الذي مدح فيه سيف الدولة الحمداني، تنقل بين حلب ودمشق ومصر وبغداد وشيراز، تميزت قصائده بالجزالة والقوة و انتقاء المفردة الشعرية المناسبة، و ذات صيته واشتهر من بين الشعراء في كل الأمصار العربية آنذاك، حتى عدّ أشعرهم، و وصف بأنه مالى الدنيا وشاغل الناس، و قد عكس في شعره أحوال عصره و تحدث عن قضايا عديدة منها ما تعنيه وتتعلق بأماله وطموحاته ونظراته في الحياة، وامتاز بخيال خصب واسع و لغة ثرة مليئة بالمعاني الرقيقة العذبة، وتناول في أشعاره أغراضاً مختلفة كالوصف والغزل والمديح والهجاء، والمتنبي من بيئة شيعية تدين بالولاء لأهل البيت عليهم السلام، ويروى أنه حين عوتب ذات مرة على ترك مدحه للإمام علي عليه السلام ردّ ببيتين من الشعر قال فيهما:

وتركت مدحي للوصيِّ تعمّداً

إذ كان نوراً مستطيلاً شاملاً

وإذا استطال الشيء قام بنفسه

وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً

واسط محافظة المستقبل

"لقد فعت واسط ثمن وطنيتها، و ثمن عراقيتها، وقدمت الكثير، وقد آن الأوان لتنال ما تستحقه، وما تستحقه واسط هو أكثر بكثير مما يقدم لها"، هذا ما قاله سماحة السيد الحكيم وهو يطرح مبادرة تيار شهيد المحراب حول محافظة واسط

بتاريخ ٢٠١٣/٤/١١ والتي جاءت تحت عنوان (واسط محافظة المستقبل)، و ضمت المبادرة المحاور التالية:

يتم تخصيص ١٠ ٪ من موارد أنتاج النفط في المحافظة ولمدة ١٠ سنوات إلى ميزانية المحافظة.

تأسيس شركة نفط واسط، حيث إن الإنتاج يتصاعد وقريبا سيتجاوز إنتاج بعض الدول المسجلة في الأوبك، ولهذا فمن المنطقي أن تكون هناك شركة نفط خاصة بمحافظة واسط.

استثمار الحقول النفطية الأخرى في المحافظة وزيادة الطاقة الإنتاجية الكلية. إنشاء مصفى للنفط وبطاقة ١٥٠ ألف برميل في المحافظة. إنشاء المنطقة الحرة في بدرة على الحدود العراقية الإيرانية، وان تكون مصممة ضمن المواصفات الدولية، وان تكون منطقة حرة للتجارة الدولية.

إنشاء طريق سريع يمتد من الحدود الإيرانية وربطه مع الطريق السريع الدولي للعراق، كذلك إنشاء طريق سريع يربط بين محافظة واسط ومحافظة ميسان. تكليف مكاتب هندسية عالمية لإعداد التصميم الحضري والعمراني للمحافظة وأقضيته.

تطوير جامعة واسط من الناحية الفنية والأكاديمية، وتكثيف التخصصات الإدارية والنفطية والزراعية.

دعم برامج تطوير التربية والتعليم في المحافظة وزيادة عدد المدارس الحديثة. إنشاء مدينة سعيد السكنية وبسعة ١٠٠ ألف وحدة سكنية لمعالجة مشكلة السكن في المحافظة.

إطلاق مشروع (إرواء الجزيرة) حيث يتم زراعة مليون دونم من أراضي الجزيرة والإسراع بتنفيذ مشروع أواسط دجلة لاستصلاح الأراضي، ومنح فلاحي واسط القروض الميسرة والمنح لتطوير الواقع الزراعي، وتطوير القرى والبنية التحتية للريف، وإنشاء السدود ونواظم توزيع المياه واستخدام المكنة الزراعية الحديثة. إعادة تشغيل مصانع الإنتاج الغذائي في المحافظة، وإنشاء مراكز تخزين

للحبيب حديثة ومتطورة وذات سعة عالية وضمن المواصفات العالمية.
 إنشاء مركز المتنبى للأبحاث العلمية في المحافظة، وضمن المواصفات الدولية
 كي يرفد المحافظة بالأبحاث العلمية في مختلف التخصصات.
 إنشاء مدينة واسط الطبية وبسعة ١٠٠٠ سرير وأن تكون مجهزة بمختلف المختبرات
 الطبية الحديثة.

محافظة النجف الأشرف

الدرة التي تتلألأ على مر العصور، بأنوار عليّ «ع» التي انطلقت من كوفان منذ
 اختارها عليه السلام عاصمة للخلافة الإسلامية، وهي محافظة من محافظات
 الفرات الأوسط التي تمثل عمقا في التاريخ الفكري الإسلامي تكليلها هالة من



الهيبة العلوية و أجواء روحانية لها خصوصيتها وتفردها.. عاصمة العلم المقدسة
 وباب علوم مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومقصد عشاقهم وأتباعهم.
 والنجف استمدت اسمها من طبيعة أرضها، التي تمتاز بكونها مرتفعة لا
 تعلوها المياه والسيول، فالنجف هو المكان المنجوف الذي لا يعلوه الماء. وقيل
 إنه مركب من ني و جف، والأول هو اسم بحر عظيم فلما جفّ أغلبه قيل: ني

جف، ثم أدغمت الكلمتان وصارتا نجف، وهذا ما جاء في كتاب الشيخ الصدوق في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام¹.
و تعتبر النجف أرضاً مفتوحة ترتفع فيها الحرارة صيفا، وتمتاز بالبرودة شتاء، و لكنها مرت بتغيير مناخي عقب جفاف بحرهما نهائيا عام ١٨٧٦م، وقبل ذلك كان يمتاز هواؤها بالرقّة والعذوبة، حتى ضرب العرب بها الأمثال، فقد كان يقال عن الحيرة التي كانت قريبا من موقع النجف الحالي: يوم وليلة في الحيرة خير من دواء سنة. ولهذا قال فيها الشاعر:

وما رأى الناس في سهل ولا جبل ... أصفى هواء ولا أغدى من النجف
كأنّ تربته مسكٌ يفوح به ... أو عنبر دافه العطار في الصدف
حُفّت ببرّ وبحر من جوانبها ... فالبرّ في طرف والبحر في طرف
وسميت النجف بعدة أسماء وردت في كتب التراث والتاريخ ومنها بانقيا، الجودي، الربوة، ظهر الكوفة، الغربي، اللسان، الطور، الغري، المشهد. ولكل منها دلالة التاريخية والدينية.

ظهور النجف كمدينة يعود إلى وجود قبر الإمام عليه والذي كان مجهولا في بداية الأمر، ثم بني حول المرقد الشريف سور لحمايته، وكان ذلك في القرن الثالث الهجري، ثم بني سور آخر أوسع منه بعد بدء توافد الزوار و سكن البعض حول المرقد الطاهر، وفي العهد البويهّي توسعت النجف كثيرا وبني حولها سور قدر موضعه الدارسون بأنه يبتعد عن الصحن العلوي بحوالي مائتي متر.
للنجف تاريخها الوهاج المضيء، علما وفكرا وتراثا ووطنية، ولها خصوصياتها الثقافية والدينية المعروفة، ولا يمكن الحديث عن وقائع التاريخ العراقي لاسيما المعاصر إلا وكانت النجف حاضرة بالطبع لمركزيتها الدينية وتأثيرها العلمي و رمزيتها التي تحملها، حيث مرقد أمير المؤمنين وحيث الحوزة العلمية وحيث المرجعية الدينية وحيث سفر المقاومة والجهاد و بؤرة الوعي والإشعاع الثقافي والفكري.

10 - علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ص44



الموقع الجغرافي

تقع النجف الأشرف في الجزء الجنوبي الغربي من منطقة السهل الرسوبي، وتبلغ مساحتها ٢٨٨٢٤ كيلومتر مربع، تحدها من الشمال محافظتا كربلاء و بابل، ومن الشرق محافظة الديوانية والمثنى، و من الغرب محافظة الأنبار وتحاذي جنوبا الحدود مع العربية السعودية. تقسم محافظة النجف الأشرف إداريا إلى أربعة أفضية هي:

قضاء النجف: ويمثل مركز المحافظة، ويشكل الجزء الأكبر مساحة من المحافظة، وهو يضمّ النجف القديمة حيث الصحن العلوي الشريف. وتمتاز النجف بارتفاعها عن سطح البحر كما أشرنا إلى ذلك في حديثنا عن سبب تسميتها، فهي ترتفع حوالي ١٧٦ مترا عن سطح البحر، و حوالي أربعين مترا عن مستوى حوض نهر الفرات. ومما يجدر ذكره أن النجف وأقصيتها الحالية كانت تتبع محافظة كربلاء حتى عام ١٩٧٦م.

قضاء الكوفة: تبعد إلى شرق النجف مسافة عشرة كيلومتر، وقد اتخذها الإمام علي عليه السلام عاصمة لخلافته سنة ٣٦ هـ، يقطن القضاء أكثر من ثلاثمائة ألف نسمة.

قضاء المناذرة: ويضم ناحيتي الحيرة والقادسية، وكان يتبعه المشخاب قبل تحويله إلى قضاء. ويقطن المناذرة ٢٥٠ ألف نسمة. ويعود اسم القضاء إلى مملكة المناذرة التي كانت تحكم في الحيرة بعد نزوحها قبل ذلك بقرون من اليمن. قضاء المشخاب: تم استحداث هذا القضاء عام ٢٠١٤ بعد أن كان ناحية، ويشتهر المشخاب بزراعة الشلب ولاسيما تلك النوعية الجيدة المسماة بالعنبر. ويقع المشخاب جنوب النجف على بعد ٣٠ كم.

التركيبة السكانية و الطابع الاجتماعي

امتازت النجف الأشرف منذ نشأتها بكونها مدينة حافلة بالتعددية الاجتماعية، فكانت منذ القديم محط رحال القبائل العربية المهاجرة من الجزيرة العربية واليمن، وفيها أديرة للأخوة المسيحيين ما زالت شاخصة حتى اليوم وتمثل رمزا حضاريا وتاريخيا دالا على الوحدة والتعايش، كما شهدت موجات من الهجرات إليها من داخل وخارج العراق، وبقدر ما مثلت النجف منذ قرون طويلة حاضرة علمية ومركزا للإشعاع الفكري الإسلامي فهي كذلك كانت تشهد حركة تجارية، فقد كانت النجف منذ القرن الثاني الهجري محطة على طريق الحج والتجارة بين آسيا و الجزيرة العربية. وبعد أن شيّد مرقد الإمام علي عليه السلام الذي يشهد توافد ألوف الزائرين إليه وطلبة العلم منذ وقت طويل وتحديدا منذ العصر العباسي الأول، فقد زادت الحركة التجارية المرافقة لتوافد الزائرين. ولهذا اكتسبت النجف طابعا خاصا بها، يمكن وصفه بكونه تمثل بحركة اقتصادية ودينية تؤطرها هالة من الروحانية التي تسود أجواءها.

يبلغ عدد سكان النجف الأشرف وفق تقديرات ٢٠١٣ حوالي مليون وثلاثمائة ألف نسمة. ويتركز السكان في القسم الشمالي من المحافظة، ولاسيما مركز المدينة. وتسكن النجف عشائر عربية أصيلة مختلفة، ومنها على سبيل المثال عشائر بني أسد و عشيرة السادة آل شرع، و عشيرة آل بو عامر، وعشيرة السادة آل ياسر، وعشيرة السهلان والمواجدة والجشعم وبني تميم والجوابر، وكذلك عشائر المحانية والزرزي والغزالي التي تقطن في قضاء المشخاب.

الثروات الاقتصادية

لمحافظة النجف الأشرف مقدرات وثروات طبيعية كبيرة، ومن ذلك: الثروة النفطية: حيث يوجد في المحافظة ستة حقول ولكنها للأسف غير مستغلة حتى الآن، كما تشير المسوح التي أعلنت بداية عام ٢٠١٥ حيث جرت في الرقعة الاستكشافية ١٢ والتي تشمل المنطقة الممتدة بين النجف والمثنى إلى

وجود كميات من النفط والمكامن الغازية.

الثروة المعدنية: توجد في أرض النجف الكثير من المعادن التي يمكن أن تدخل في صناعات مختلفة، ومنها الكبريت الذي يوجد في المنطقة الجنوبية الغربية من المحافظة، وتقدر احتياطاته بحوالي (٣٢٥) طن، كما تتوفر أملاح ومركبات تستخدم في صناعة الأصباغ، فضلا عن أحجار الكوارتز والتي هي من الأحجار الكريمة، بل تتوفر في تربة النجف كميات من معدن اليورانيوم وتحديدا في منطقة أبو صخير، وهو من النماذج النادرة حول العالم، وقد جرى ردم وطمير المنجم الوحيد من قبل لجان التفتيش الدولية في العهد البائد.

الثروة الزراعية: توجد في محافظة النجف مساحات واسعة صالحة للزراعة، لاسيما إن تم استصلاح بادية النجف وبحرها، وعلى العموم تشتهر المحافظة بزراعة الرز ولاسيما العنبر وفي المشخاب بصورة خاصة، وهناك مائتا ألف دونم تصلح لزراعة الحبوب، كما تتوفر في النجف بساتين النخيل و بعض الحقول للمحاصيل الزراعية المختلفة.

الثروة السياحية: النجف عاصمة العراق الروحية والعلمية، وهي أحد المدن المقدسة التي يقصدها ملايين الزائرين لمرقد الإمام علي و مسجد الكوفة، وغيرهما من المواقع الدينية فضلا عن مقبرتها الشهيرة بوادي السلام، ولهذا يعتمد العديد من أهالي النجف الأشرف على هذه الحركة للسياحة الدينية، كما تعتبر قبلة لطلاب العلم من داخل وخارج العراق من بقية البلدان الإسلامية.

المعالم التاريخية والمزارات الدينية

للنجف معالمها وتاريخها ذو الخصوصية والتفرد، ولا حديث حول هذا الجانب لينطلق إلا من حيث مرقد الإباء وقبة الرز هو و صحن العدالة وباب العلم، من معلمها الشامخ الأبرز وهو مرقد الإمام أمير المؤمنين ويعسوب الدين وباب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويحار المرء كيف يبدأ بالحديث عن هذا المعلم! فهل يتحدث عنه أم عن صاحبه!! وهو الذي منح النجف قداستها وخلع



عليها هيبتها وأعطاهها كل هذا الحضور الوارف ماضيا وحاضرا ومستقبلا، وكما يقول سماحة السيد عمار الحكيم إن النجف بعناوينها الكبيرة أكبر من البدايات، وأوسع مدى من كل النهايات. فلا يستطيع المرء الحديث عنها كما يتحدث عن غيرها..

لكننا سنكتفي هنا بذكر خلاصة تاريخية للمرقد العلوي، ففي ليلة الحادي والعشرين من رمضان عام ٤٠هـ استشهد الإمام علي بن أبي طالب «ع» بعد طعنه أثناء الصلاة على يد أشقى الخلق عبد الرحمن بن ملجم، وقد دفن الإمام عليه السلام سرا في ظهر الكوفة حيث مرقده الآن، والذي ظل مجهولا إلى أن أفصح عنه الإمام جعفر الصادق «ع» في عهد العباسيين.

أما بناء المرقد فيعود في البداية إلى أن هارون الرشيد أمر بإقامة بناء على قبر الإمام عليه السلام، وكان ذلك البناء مختلفا ومتقدما على المألوف من بناء المراقد والجوامع آنذاك، حيث تميز بوجود قبة من الطين الأحمر. ثم توالى عمليات التجديد والبناء فتم تجديده في العهد البويهري ثم في العهد المغولي، ثم في العهد الصفوي والعثماني، وآخر عملية تجديد للمرقد والتي أوجدت شكله الحالي كانت في عهد الشاه صفي بن الشاه عباس الأول. كما تم تحديث وإعمار المرقد وقبته عدة مرات، وتم إكسائها بالذهب مع المئذنتين من قبل نادر شاه،

وذلك عام ١١٥٥ هـ.

و في النجف ثمة معالم ومراقد كثيرة أخرى تحيط بالإمام عليه السلام، ومن بين هذه المراقد نذكر ما يلي:

مقام الإمام زين العابدين(ع): يقح المقام في محلة العمارة غربي الروضة، يقال إن الإمام السجاد كان قد أدى فيه الصلاة عند زيارته لجده الإمام علي(ع).
مقام الإمام المهدي(ع): يقح في وادي السلام وينسب إلى الإمام محمد بن الحسن المهدي «عج».

مرقد هود وصالح عليهما السلام: يقح في الجهة الشمالية من مدينة النجف داخل وادي السلام ويقال إن فيه مدفن النبي هود والنبي صالح(ع).
صافي صفا: يقح هذا المقام في الجهة الشمالية لمرقد الإمام علي عليه السلام، بجوار مقام زين العابدين. و تروى أن في هذا المقام رفات رجل صالح من اليمن أوصى بدفنه في النجف للتشفع بقربه من أمير المؤمنين «ع».

مرقد كميل بن زياد النخعي: وهو صحابي شهير للإمام علي عليه السلام، يقح في منطقة كانت تعرف في كتب التاريخ بالثوية والتي تضم حالياً منطقة الحنانة. وينسب إليه الدعاء المعروف الذي لقنه إياه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان كميل من عمال الإمام «ع» قتله الحجاج بن يوسف وهو رجل كهل، ودفن في النجف عام ٨٢ هـ.

أعلام وشخصيات

تعص هذه المدينة بالعلماء والمفكرين والمبدعين في شتى صنوف العلم والمعرفة والأدب، فما الذي يمكن لنا أن نذكره و النجف الأشرف عاصمة العلم وقبلة العلماء والمتعلمين، وقد أنجبت المئات بل الآلاف من المبدعين في ميادين العلم والأدب والفن و في كل الحقول والأجناس.

ولهذا فلن نكون منصفين حين نذكر بعض الأسماء لأن البعض الآخر لا يقل أهمية عبر تاريخ هذه المدينة، أما ذكرها جميعاً فهو يحتاج إلى مجلدات ضخمة

كي تستوعب تلك الأسماء اللامعة التي برزت وتميزت في حقولها المعرفية والعلمية والأدبية، ولكننا اخترنا ذكر أبرز مراجعها في القرن العشرين، مع سرد أسماء المميزين من أدبائها وشعرائها، ثم اخترنا التعريف بواحدة من الشخصيات التي لن يغيب ذكرها عن تاريخ العراق الحديث على الإطلاق.

فقد احتضنت النجف الحوزة العلمية منذ انتقالها من بغداد والحلة، ومنذ ذلك الوقت كان مراجع التقليد الذين تعود إليهم الناس في معرفة الأحكام الشرعية هم من علماء هذه المدينة المقدسة، وفي القرن العشرين تقلد علماء أفذاذ وأئمة ثقال الوزن وحيدو الطابع في الفقه والأصول والحديث شؤون المرجعية فاستحقوا تلك المنزلة الخالدة والموقع المميز في القلوب والعقول، وهم:

المرجع	سنة الوفاة
آية الله الملا محمد كاظم الخراساني	1911م
آية الله السيد محمد كاظم اليزدي	1919م
آية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي	1920م
آية الله شيخ الشريعة الأصفهاني	1921م
آية الله محمد حسين النائيني	1937م
آية الله أبو الحسن الموسوي الأصفهاني	1946م
آية الله الإمام محسن الحكيم	1970م
آية الله السيد الخوئي	1992م
آية الله السيد عبد الأعلى السبزواري	1994م
آية الله السيد علي الحسيني السيستاني	أدام الله عمره الشريف

ولأن الأدب صنو العلم، وقلما كان هناك عالم وفقه ذو منزلة عالية لم يكن أديبا في النجف الأشرف، لهذا فقد أنجبت المدينة أسماء عالقة في الذاكرة العراقية من شعراء فحول لا يشق لهم غبار، والحقيقة أنه لم يقدر لمحافظة أخرى أن أنجبت شعراء بعدد وأهمية شعراء النجف على الإطلاق، ومن تلك الأسماء المهمة نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: السيد رضا الهندي، عباس شبر، عبد الحسين صادق، محمد جمال الهاشمي، محمد جواد الغبان، محمد جواد الجزائري، محمد



سعيد الحبوبي، محمد صالح
بحر العلوم، محمد علي قسام،
محمد رضا، علي الشرقي، محمد
علي اليعقوبي، محمد مهدي
الجواهري، هادي آل كاشف
الغطاء، محمد رضا الشبيبي،
عبد المنعم الفرطوسي، صالح
الجعفري، الشيخ عبد المهدي
مطر، أحمد الدجيلي... الخ.

وإذا ما أردنا أن نجمع الحديث
عن الأدب والعلم والسياسة
والجهاد فلن نجد أكثر مناسبة

من الحديث عن السيد المجاهد العظيم والشاعر الكبير محمد سعيد الحبوبي.

ولد الحبوبي في مدينة النجف الأشرف عام ١٨٤٩م/ ١٢٦٦هـ، وقد تربى على يد
خيرة العلماء في عصره، ودرس علوم الأخلاق والرياضيات على يد الميرزا حسين
قلي، كتب الشعر وهو صغير، ثم نبغ كواحد من أشعر الشعراء العراقيين في
القرن التاسع عشر قاطبة، ولكنه هجر الشعر في أواخر حياته وانصرف لدراساته
الفقهية، وحين تواردت الأخبار إلى النجف عام ١٩١٤ عن احتلال البصرة من قبل
القوات الانكليزية قاد السيد على كبر سنه الحركة الجهادية وعبأ الصفوف وأنشد
الأشعار الحماسية وخطب الخطب الوطنية لاستنهاض الهمم، وأنفق من أمواله
الخاصة على المجاهدين لشراء ما يلزمهم، ثم سار بهم إلى الشعيبية، وهناك
أظهر رباطة جأش وقوة عزيمة في جهاد العدو، ولكن قدر الله أن ينكسر الجيش
التركي والمجاهدون في آخر لحظة، ليعود السيد الحبوبي مثقلا بآلامه وأحزانه
ويلفظ أنفاسه الأخيرة بعد أيام في مدينة الناصرية، عن سبعة وستين عاما وذلك
بتاريخ ١٦ حزيران ١٩١٥. وقد أقيم له مجسم في وسط مدينة الناصرية وما يزال
واحدا من الملامح المميزة لها ويطلق اسمه على أبرز شوارعها وهو شارع الحبوبي.

ومما نظمته الحبوبى هذه القصيدة التي تتغنى بالعراق وأهله في معرض
مديحه وتهنئته لبعض أصحابه:

يا ربيع لذاتيّ ومربع جيرتي
روى معاهدك الغمام وجادا
لا ابتغي للوصل فيك نهاية
أبدأ، ولا للعيش فيك نفادا
لا والذي سمك السماوات العلى
وأقامهن وما أقام عمادا
لا ارتضي غير الأكارم معشرا
يوما، ولا غير العراق بلادا
عرب معاطف غيدهم ورماحهم
سيان كل ينثني ميادا
من معشر ضربوا رواق بيوتهم
فوق السماء وغادروه مهادا
وإذا الفخار غدا هناك حلبة
ركبوا مساعيهم فكن جيادا
ومن العزائم ينتضون صوارما
ومن الحفائظ يشرعون سعادا
مادت لبشرهم البسيطة بهجة
فرست حلومهم بها أطوادا
أخويّ إن ضاقت بوصف علاكا
سعة القريض وما بلغت مرادا
فلي القوافي الشاردات كأنها
سمط الجمال يقلد الأجيادا
من كل معربة المتون تناسقت
مثنى فرائد درّها وفرادى

لو لا كما ما كنت انظم عقدها

يوما، ولا أعطيتها الإنشادا

مشروع النجف عاصمة العراق العلمية

إدراكا من تيار شهيد المحراب لمكانة النجف وأهميتها، وعظمة تاريخها وفعاليتها حضورها، أطلق وعلى لسان سماحة السيد الحكيم بتاريخ ٩/٤/٢٠١٣ مشروع النجف عاصمة العراق العلمية، وشمل المشروع النقاط الآتية:

تخصيص ميزانية سنوية للنجف باعتبارها «عاصمة علمية للعراق» بحدود ٥٠٠ مليون دولار سنويا إضافة إلى ميزانيتها المرصودة ..

إنشاء «مجلس أعلى» يُمثل فيه مجلس المحافظة والحكومة المحلية والشخصيات الدينية والعلمية والثقافية والأكاديمية والاجتماعية لإدارة مشروع النجف عاصمة العراق العلمية.

تكليف مكاتب استشارات هندسية عالمية بتحديث التخطيط المدني والحضري والعمراني للمدينة بما ينسجم مع هذا العنوان.

إنشاء «مدينة الإمام علي» العلمية والتي تحتوي على مراكز الأبحاث المتخصصة في كافة المجالات العلمية والأكاديمية.

إنشاء مدينة النجف الطبية وبسعة (١٠٠٠ سرير) وتحتوي على جامعة طبية وكلية تمريض ومراكز متخصصة لمعالجة كافة الأمراض المزمنة وبأحدث التقنيات العالمية وبالتعاون والشراكة مع المراكز الطبية العالمية المتخصصة بهذا المجال. تطوير جامعة الكوفة وبكافة النواحي الفنية والأكاديمية وتحسين مستواها العلمي عالميا كي تمثل النجف واسم الكوفة عالميا خير تمثيل.

إنشاء «مدينة الطالب الجامعية» والتي تحتوي على منشآت تكفي لإقامة ١٠ آلاف طالب جامعي من الذين يدرسون في جامعة الكوفة وجامعات محافظة النجف الأخرى والقادمين من المحافظات الأخرى أو من خارج العراق.

إنشاء «مدينة الزاهد لطلبة العلوم الدينية» والتي تتسع لسكن ٢٠ ألف طالب مع عوائلهم من طلبة الحوزات العلمية في النجف الأشرف.

إنشاء «مركز الجواهري للدراسات والأبحاث والترجمة والنشر»، كي يكون مركزاً عالمياً لترجمة ونشر الكتب التي تنتجها جامعات النجف وحوزاتها الدينية وبكافة اللغات الحية.

إنشاء «المركز العالمي للحوار بين الأديان والمذاهب» .. لتكون النجف عماد الوحدة الوطنية والحوار الإنساني.

تطوير بلدية مدينة النجف وبما يتناسب مع كونها عاصمة العراق العلمية وإنشاء حي للملحقيات الثقافية لبلدان العالم التي لها تمثيل في العراق.

إنشاء «مكتبة النجف الدولية» وبمقاييس المكتبات العالمية المرموقة في التنظيم والتبويب وان تحتوي على مكتبة إلكترونية أيضاً.

إنشاء «متحف النجف الأشرف» كي يروي تاريخ المدينة منذ لحظة إنشائها وسيرة علمائها ورجالها وعوائلها وعشائرها.

إعادة تأهيل المواقع التاريخية و البيوت والبنائات الأثرية القديمة وتقديم القروض والمنح لأصحابها لتبقى معلماً لتاريخ المحافظة.

إطلاق مشروع «رحاب النجف الزراعي» كي يكون مكملاً لمشروع «رحاب المثنى الزراعي» حيث المحافظتين ترتبطان بحدود وبادية مشتركة، ويتضمن المشروع زراعة مليون دونم من بادية النجف، وتقديم قروض خاصة ومنح لفلاحي المحافظة وتجهيزهم بالمكائن الزراعية الحديثة مما يساهم بتطوير الريف وبناء التحتية والخدمات و بتطوير الإنتاج الزراعي وتحسين ظروف الفلاحين المعيشية. إنشاء «مدينة الرحاب للمساكن واطئة الكلفة» وبسعة ١٠٠ ألف وحدة سكنية، مما يساهم بتوفير السكن لأبناء المحافظة وفك الاختناقات والعشوائيات السكنية الحالية.

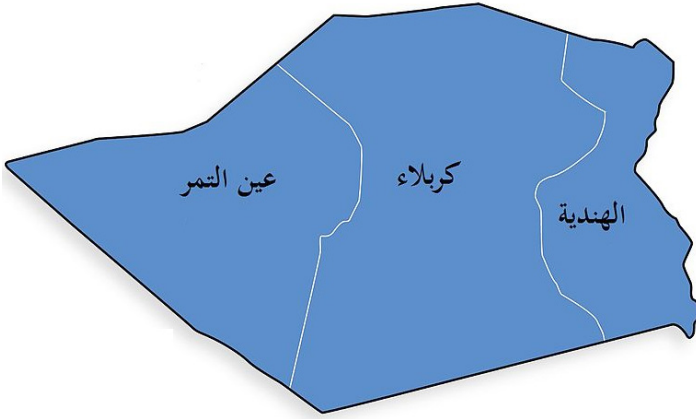
توسيع مطار النجف الدولي ليكون لائقاً بهذه المدينة المقدسة العريقة، وإنشاء خط سكة حديد سريع بين النجف و كربلاء وربطه بشبكة سكك الحديد الوطنية.

تقديم المساعدات والمنح للقطاع السياحي والفندقي لتطوير أعمالهم وتقديم التسهيلات الضرورية للاستثمار في هذا المجال.



محافظة كربلاء المقدسة

تحتفظ كربلاء بمحورية في التاريخ كما في الحاضر، وبرمزية لا تضاهي في الوجدان العراقي والإسلامي بشكل عام، إنها كربلاء الحسين، كربلاء الإباء والتحدي ومقارعة الظلم والطغيان، محافظة تنبض في قلب كل عراقي من محافظات فراتنا الأوسط وقد اختلف الباحثون حول أصل تسميتها، فمنهم من ربطها بطبيعة أرضها الرخوة وهي في اللغة العربية الأرض المكربلة فيحتمل أن كربلاء مشتقة منها، وهناك من ذهب إلى أنها كلمة آرامية قديمة تعني معبد الإله، لأن كلمة (كرب) تعني المعبد أو المصلّى، و «لاء» محرفة من إيلا أي الإله. باحثون آخرون قالوا إنها بمعنى قربان الله استناداً لدلالاتها في اللغات الأكدية والعبرية والآرامية، أما القول إنها مأخوذة من كلمتي كرب وبلاء فهو من قبيل التفسير الرمزي لها بسبب ما حدث لآل البيت عليهم السلام في فاجعة الطف الأليمة، التي وقعت عام ٦٠ للهجرة النبوية، حيث أمر فيها يزيد بن معاوية لعنه الله بقتل الإمام الحسين بن علي عليهما السلام مع إخوته وعمومته وأصحابه، ولم يستثن القتلة في تلك المجزرة المروعة النساء والأطفال، وقد مثلت تلك الواقعة



ذروة الطغيان السلطوي و الخروج
عن تعاليم الإسلام وما أوصى به
النبي الأكرم من وجوب مودة
عترته الطاهرة، كما روى ذلك
جميع المحدثين والرواة من كل
المذاهب الإسلامية، كما كانت
تلك الحادثة البشعة انتهاكا
صارخا للقيم والتقاليد العربية،
ومورست فيها أبشع وسائل العنف والهمجية.

إلا أن مقتل الحسين «ع» لم يكن قد مثل النهاية كما تخيلت السلطة المارقة، بل تحول إلى بداية كتبت التاريخ وأعدت ترميم الإسلام لما لحقه من محاولات حرفة عن مساره القويم، وتخلد الحسين الشهيد في الذاكرة الإسلامية والعراقية بشكل خاص، وصار رمزا خالدا للمقاومة و الثبات على الحق ورفض بيعة الظالمين والقبول بسلطتهم الغاشمة.

وهكذا تحولت كربلاء إلى قبلة عالمية و مهوى لأفئدة عشاق الحسين «ع»، و تشمخ وسطها قبتان له ولأخيه أبي الفضل العباس عليه السلام، يقصد المدينة ملايين الزوار على مدار العام، و لم يفلح النظام الدكتاتوري في النيل من كربلاء وطمس هويتها، و وقفت بوجهه مستلهممة قوتها وصبرها من إمامها وشهيدها الخالد، حتى إنها تعرضت أثناء الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ إلى دمار واسع بيد أنها حافظت على عنفوانها و كرامتها، و هي الآن تزدهو بحريتها و تحتفل سنويا بواقعة الشهادة و انبلاج نور الثورة الإلهية الخالدة التي ستبقى تنير طريق أصحاب الحق في كل زمان ومكان.

لكربلاء أسماء عديدة قديما وحديثا، أشهرها الطف نسبة إلى موضع المعركة بين الإمام والجيش الأموي، كما تسمى بالغازيرية والنواويس و شط الفرات و الحائر.

الموقع الجغرافي

تقع محافظة كربلاء في الجزء الغربي من الفرات الأوسط على حافة الصحراء، تحدها من الشمال والغرب محافظة الأنبار ومن الشرق محافظة بابل، أما من الجنوب فهي تتاخم حدود النجف الأشرف. وهي من حيث المساحة تبدو أصغر من المحافظات الأخرى الجنوبية والوسطى، حيث يبلغ مجموع مساحتها خمسة آلاف كيلو متر مربع.

وتنقسم كربلاء إدارياً إلى ثلاثة أقضية هي:

قضاء كربلاء: وهو يضم مركز المدينة، وناحية الحسينية وناحية الحرّ، ويقع ضمنه المرقدان الشريفان للإمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام، و يتركز الثقل السكاني للمحافظة في هذا القضاء، حيث يقطنه تقريبا نصف سكان المحافظة. ويتركز وجودهم في أحياء

قضاء عين التمر: يقع مركز القضاء على بعد حوالي سبعين كيلومتر غرب مركز المحافظة، وعين التمر بلدة عرفت منذ القديم باسم (شثاثة) وهي تسمية آرامية قديمة ذكرها ياقوت الحموي في معجمه عن البلدان، و تشتهر بكثرة عيون المياه العذبة والنخيل والرمان. يبلغ عدد سكان القضاء ٣٠ ألف نسمة بحسب تقديرات ٢٠٠٣. وتوجد في عين التمر آثار تاريخية مهمة سنشير إليها قريبا.

قضاء الهندية: وتعرف محليا باسم طويريج، وهو اسم قديم وليس مستحدثا، تبعد الهندية مسافة ٢٥ عن مركز كربلاء، ونشأت الهندية بعد شق نهر الهندية في القرن الثامن عشر. ويحدد الدارسون سنة ١٨٧٠ م كبداية لظهورها مدينةً كبيرة بعد أن كانت قرية صغيرة.

التركيبة السكانية و الطابع الاجتماعي

تتمتع كربلاء بأجوائها الخاصة كونها مدينة ذات قدسية ومنزلة روحية رفيعة في قلوب المسلمين وأتباع أهل البيت خصوصا، ويتميز مجتمعها برقيه وتمدنه وعاداته وتقاليده العراقية الأصيلة، وقد كتب عنها الرحالة في القرن التاسع عشر

فوصفوها بالمدينة المزدهرة تتميز بشوارع واسعة وأرصفة أنيقة، وأن عدد نفوسها آنذاك كان يتجاوز ٦٠ ألفاً، وهو رقم كبير قياساً ببقية المدن في الفترة نفسها، وأما حالياً فيبلغ سكان المحافظة قرابة المليون ومائة ألف نسمة، وتتركز الكثافة السكانية في قضاء كربلاء وخاصة أحياء مركز المدينة.

وقد تميز طابعها الاجتماعي بقوة الأواصر وسمو الأخلاق الفاضلة من كرم و احتفاء بالضيف و مروءة، و نتيجة لهجرة العديد من الأسر من محافظات مختلفة في الوسط والجنوب إليها امتزجت وتفاعلت القيم والعادات لتنتج سمات خاصة بالكربلايين، تبدو مائلة نحو أجواء الحضارة و المدينة لكنها منضبطة بالعرف والتقاليد العشائرية. كما أنها وبفعل كونها قبلة للزوار وموالي أهل البيت «ع» ومحبيهم رسخت في مجتمعها قيم التعاون والعمل الطوعي بفعل احتضانها لملايين الزائرين من شتى البقاع.

كما أن هذه الخصوصية الدينية أوجدت لها تراثاً وفلكلوراً وعادات خاصة بأهلها، ونتيجة لغناها وعراقتها في هذا الجانب أنشئت فيها مراكز للعناية بالفلكلور الكربلائي و تصدر عن مركز تراث كربلاء مجلة علمية محكمة تعنى بالتراث في محافظة كربلاء.

تقطن المحافظة عدة عشائر عراقية عربية أصيلة، و تتوزع في أقضية المحافظة الثلاثة. ومن بين أبرز تلك العشائر التي توزعت في قضاء كربلاء هي عشيرة بنو أسد، والتي تعتبر من أوائل القاطنين في كربلاء، وكان لأفرادها وقفة مشرفة مع الإمام الحسين عليه السلام، ومنهم الصحابي الجليل حبيب بن مظاهر، وكذلك عشيرة آل أسد خان وعشيرة الحائري والأصفر والبهادلة والبيات والبغدادى وغيرها من العشائر الكريمة.

وفي قضاء عين التمر الذي يتميز بأنه مقسم إلى أحياء تسكن كل حي عشيرة معينة، وتسمى كل منطقة سكنية بالقصر، ومن ذلك قصر المالح الذي تسكنه عشيرة بنو أسد، وآل بو زين الذي تقطنه عشيرة المشاهدة، فضلاً عن مناطق أخرى لعشائر الحساويين الذين يعودون إلى منطقة الإحساء في الحجاز، و عشيرة آل مطير وعشيرة شمّر.

وأما في الهندية فكانت عشائر بنو حسن وآل فتلة و ريط من أوائل ساكني هذه المدينة.

الثروات الاقتصادية

تزرع كربلاء بمقدراتها وثرواتها الكبيرة، شأنها شأن بقية المحافظات.. ومن هذه الثروات تتمتع كربلاء بـ:

الثروة النفطية: وذلك عبر حقلين نفطيين هما مرجان والكفل الذي تشترك في جزئه الغربي مع محافظة النجف، واللذين يضمن احتياطيًا نفطيا يقدر بأكثر من ثلاثمائة مليون برميل، كما أن هناك حقلا نفطيا مشتركا بينها ومحافظة النجف، وتطالب المحافظة بضرورة وسرعة استثمار هذه الحقول لرفع المستوى الاقتصادي لأبنائها.

الثروة الزراعية: تمتاز كربلاء بأراضٍ زراعية خصبة، تشكل تقريبا خمس مساحتها، ولوجود المياه والظروف المناخية المناسبة كان لكربلاء أن تزرع العديد من المحاصيل الزراعية، والتي تنوعت بين التمر والفواكه والحبوب كالذرة الصفراء. الثروة السياحية: انتعشت السياحة الدينية في كربلاء المقدسة بعد سقوط النظام البائد، وتعد السياحة الدينية من أهم المقدرات الاقتصادية المتاحة لهذه المحافظة المقدسة، حيث يتوافد عليها الملايين من المسلمين من شتى أنحاء العالم للتشرف بزيارة مرقد الإمام الحسين والعباس عليهما السلام، بيد أن السياحة الدينية ليست هي المظهر الوحيد المتاح لكربلاء في قطاع السياحة، إذ أنها تحفل أيضا بمعالم سياحية وأثرية وتراثية عدة.

المعالم التاريخية والمزارات الدينية

تزرع كربلاء أيضا بالمعالم الدينية والمرقد والمقامات المنتشرة في أنحاءها، ولا شك لا يتقدم الحديث عن معلم على الحديث عن قبتيّ الإباء والتضحية، عن معلمي الشهادة والخلود.

مرقد الإمام الحسين عليه السلام: يقع المرقد الطاهر في مركز كربلاء، وتشير

الوقائع والروايات التاريخية إلى أن قبيلة بني أسد كانت أول من اهتم بقبر الإمام «ع»، ووضعت علامة دالة على مكانه، وفي عام ٦٥ هـ قام المختار بن أبي عبيدة الثقفي ببناء مرقد ومسجد عند القبر الشريف. ثم توالى بعد ذلك عمليات بناء وتجديد المرقد، ومنها ما كان في عهد المأمون وعضد الدولة البويهى، ويطلق على مرقد الإمام أسماء عديدة، منها المشهد الحسيني والروضة الحسينية، والعتبة الحسينية، والحائر الحسيني وغيرها. لكن دلالات هذه التسميات متفاوتة وكل منها يد على جزء لا كل، ويتكون المرقد الحسيني من صحن واسع يتوسطه حرم الإمام الذي يصل إلى ٣٨٠٠ متر مربع ويقع في داخله الضريح الذي يضم جسد أبي عبد الله عليه السلام، وتحيط به أروقة بمساحة ٦٠٠ متر. ويزدان الحرم الحسيني بقبة مغطاة بأكملها بالذهب مع مئذنتين، ويعود أول تذهيب للقبة الحسينية إلى زمن شاه إسماعيل، ثم أعاد تذهيبها السلطان فتح علي شاه القاجاري.

مرقد أبي الفضل العباس «ع»: ويقع بالقرب من مرقد الحسين «ع» على مسافة مائتي متر ما بين الضريحين، و كان تاريخ بنائه مرافقا لتاريخ بناء وإعمار المرقد الحسيني، وعلى غرار العتبة الحسينية تتكون العتبة العباسية من صحن واسع يتوسطه ضريح أبي الفضل عليه السلام، وأروقة و تبلغ المساحة الكاملة للعتبة العباسية ١١ كم مربع.

تمثل العتبتان المقدستان أبرز معالم كربلاء، ويؤمها ملايين الزائرين الذين يتم توفير مستلزمات إقامتهم في كل مناسبة على مدار العام، حيث الأماكن المخصصة لبعضهم فضلا عن الجوامع والحسينيات والمنازل المخصصة لاستضافة الزوار، بالإضافة إلى الفنادق، ومع هذا تحتاج كربلاء لمزيد من الاهتمام لتطوير بنيتها التحتية واستيعاب الأعداد المتزايدة من الوافدين إليها في المناسبات الدينية.

كما تضم كربلاء المقدسة آثارا تاريخية، ومن أبرزها ما يلي:
توجد في قضاء الهندية مواقع أثرية منها التلال التي تعود لعصور سحيقة، ومنها تل أم طوب و بندر كنوش وتل العمير الشرقي وتل العمير الغربي وإيشان أبو شجر و تل أبو هاشم وغيرها.



ضريح الإمام الحسين عليه السلام

أما في قضاء عين التمر فتوجد ثمة معالم مهمة وطبيعة المنطقة التي تبدو واحة خضراء وسط الصحراء يمكن أن تشكل مدينة سياحية مميزة. حيث يضم القضاء عشرات الآثار التاريخية منها كهوف الطار وقصر الأخيضر وكنيسة برذويل وهي واحدة من أقدم الكنائس في العراق يعود تاريخها إلى آلاف السنين. وغير بعيد عن عين التمر يوجد معلم سياحي يتمثل بحيرة الرزازة التي تقع منقسمة بين محافظتي كربلاء والأنبار، ومن شأن الاهتمام بها وإعادة تأهيلها أن تكون منتجعا سياحيا بارزا يدرّ عوائد اقتصادية على أبناء المحافظة.

أما المراقد والمقامات عدا ما تضمه العتبة الحسينية والعباسية فكثيرة و متعددة، منتشرة في أفضية المدينة، ومنها:

ضريح الإمام عون: وهو مرقد السيد عون بن عبد الله بن جعفر بن مرعي بن علي بن الحسن البنفسج، وهو ليس لعون بن عبد الله بن جعفر الطيار عليه السلام الذي استشهد ودفن مع خاله الحسين «ع»، يقع هذا المرقد في منطقة عون على مبعده أحد عشر كيلومتر شرق كربلاء، على الطريق باتجاه العاصمة بغداد. ويقصده آلاف الزوار.

ضريح الحرّ الرياحي: يقع في منطقة الحر على بعد ٩ كم من كربلاء، وقصة هذا الصحابي الجليل معروفة، حيث كان في بداية الأمر في معسكر يزيد، إلا أنه انتقل إلى جانب الحسين بعد أن اتضح له الحق وقاتل إلى جانبه حتى استشهد رضوان الله عليه.

ضريح ابن الحمزة (ع): وهو لأبي محمد بن حمزة الشيبه بن الحسين بن عبد الله بن عباس بن علي أن أبي طالب، يقع المرقد على الطريق الفرعي الذي يؤدي إلى قضاء الهندية.

المخيم: ويقصد به مخيم الحسين، وهو عبارة عن مكان واسع داخل مدينة كربلاء يقع قريبا من الروضة الحسينية، حيث أقام فيه الحسين وأهل بيته وأصحابه عليه السلام مخيمه عندما قدموا إلى كربلاء.

هناك أيضا عدة مقامات منها مقام الإمام المهدي الذي يقع في بداية شارع السدرة، ويقع خلفه مقام الإمام جعفر الصادق، ومن المقامات المعروفة أيضا مقام علي الأكبر ومقام علي الأصغر، ومقام النبي نوح، ومقام.

أما في قضاء عين التمر فيوجد مقام الإمام الحسن (ع) ومقام يُعرف بدوسة الإمام علي عليه السلام، وحوض الإمام علي (ع) الذي يروى أن الإمام اغتسل فيه، كما أن هناك مقاما للإمام زين العابدين، ومقام مرور السبايا و مرقد السيد احمد بن هاشم، وهو حفيد إبراهيم المجاب بن موسى الكاظم عليهم السلام، كذلك ثمة موضع يعرف بقطارة الإمام علي (ع) : وهي على مسافة ٢ كم من الطريق العام بين كربلاء وعين التمر.

أعلام وشخصيات

تقترب أجواء ومناخات كربلاء المقدسة من مدينة النجف الأشرف، وتغذي تربة الإبداع فيهما ذات العوامل المشتركة، الأمر الذي جعلها لا تختلف عن قرينتها في جانب ولادة المبدعين والشخصيات العلمية والفكرية والأدبية، فكربلاء أيضا شهدت في مرحلة ما وجود حوزة علمية درس وتخرج منها العديد من الفقهاء

المعروفين، بدءاً من القرن السابع الهجري حيث كان من رموزها آنذاك السيد فخر الموسوي الحائري، والسيد ابن قمرويه والسيد عماد الدين أبي الفوارس وغيرهم، وتعززت هذه المكانة العلمية للمدينة في منتصف القرن السابع الهجري بعد انتقال الفقيه الديني الكبير ابن فهد الحلي إليها، وحينها تطلأت أسماء مهمة من خيرة العلماء الأعلام أمثال الشيخ إبراهيم الكفعمي والسيد حسين آل عيسى، وتوالت الأسماء العلمية الكبيرة من أمثال السيد نصر الله الحائري والشيخ مهدي العاملي، ويوسف البحراني، وباقر البهبهاني وهاشم القزويني وآية الله محمد تقي الشيرازي وغيرهم ممن أقام وترعرع ونبع عطاؤه في كربلاء المقدسة.

أما من الأدباء والشعراء فقد أنجبت المحافظة عددا كبيرا لا يستهان به، ومن أمثالهم الشاعر كاظم الهر الذي يعد من أشعر شعراء العراق في وقته والشاعر محمد القزويني ورضا صادق النقيب ومظهر اطميش ومهدي بن جاسم الشماسي والشاعر زكي عبد الحسين الصراف والشاعر هادي الربيعي والشاعر محمد مهدي الخفاجي الذي يعد من القلائل الذين كتبوا المسرحية الشعرية. والشاعر رضا الخفاجي، والمفكر الإسلامي والشاعر صادق محمد رضا آل طعممة، كما تزخر كربلاء بكتاب وأدباء اهتموا بكتابة تاريخ المحافظة و العراق عموما ومنهم المؤرخ المعروف سلمان هادي الطعممة و المؤرخ حسين فهمي الخزرجي والمؤرخ عبد الأمير آل عوج، والباحث المسرحي عبد الرزاق عبد الكريم، فضلا عن القصاصين والروائيين ومنهم القاص علي حسين عبيد وعلاء مشذوب وعلي سعيد لفته المولود في الناصرية، وطالب عباس الظاهر، ومن الفنانين المعروفين محليا وعربيا الفنان التشكيلي عبد الأمير علوان. ولا يمكن أن ينسى المرء وهو يتحدث عن شخصيات كربلاء الإشارة إلى المقرئ الحسيني عبد الزهرة الكعبي رحمه الله الذي ارتبط اسمه بمقتل الحسين عليه السلام، وقد تميز الكعبي بأسلوبه وطريقته الفريدة في قراءة المقتل.

وقد اخترنا من هذه الشخصيات الشاعر والأديب الشهيد السيد صادق آل طعممة، الذي ولد في كربلاء عام ١٩٢٨م، درس علوم العربية والفقه في مدرسة الشيخ محمد، وتعلم على يد العلامة عبد الحسين الدارمي و الخطيب الشهير السيد

محمد القزويني، نظم الشعر مبكرا وكانت قصائده مليئة بالشعور الوطني و مقارعة الظلم الدكتاتوري، كما تميز بكونه خطاطا موهوبا، بل من رواد الخطاطين الذين أنجبتهم مدينة كربلاء، وهو صاحب الخط للآيات القرآنية الموجودة في طارمة ضريح الإمام الحسين عليه السلام والمطعمة بالذهب الخالص، كما خط آيات قرآنية في الحضرة الزينية في دمشق.

كان السيد صادق آل طعمة على علاقة مميزة مع المراجع الدينية، ولاسيما المرجع الإمام محسن الحكيم رضوان الله عليه، ومن بعده السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره الشريف، ولهذا فقد اعتقل رحمه الله عام ١٩٧٨م، وبعد إطلاق سراحه لم تهن عزيمته فواصل حراكه الإسلامي وترأس وفدا من كربلاء ذهب إلى مبايعة الشهيد الصدر وألقى في حضرته قصيدة سياسية طافحة بالتحدي ومقاومة الظلم، وفي يوم ٧/ نيسان/ ١٩٨٠ تم اعتقال السيد صادق و صدر بحقه حكم الإعدام من محكمة الثورة سيئة الصيت.

ومن قصائده التي كتبها ضد الحكم البعثي هذه القصيدة التي ألقاها أمام السيد الشهيد الصدر «قدس»:

سر حيث خط لك الطريق الأوضحا
قلم الوجود لكي تعيش وتفلحا
سر فالطريق المستقيم هو الهدى
واحذر عدوك إنه لن ينصحا
سر في ثبات من عقيدتك التي
هي قطبك السامي وأنت لها رحي
كن مستقيماً في الحياة وصامدا
تسلم وفي الأخطار فاغز مطوحا
الحق يعصم من به متمسك
أبدأ ويصلى الملحد المتبجحا
الحق أن لا تنثني عزماً وإن
ذهبت بك الأهواء لا لن تصلحاً

ما قيمة الإنسان إن كان التلَوُّنُ
 ديدناً فيه وداً مقيحاً
 فليأخذ الحزبيُّ دوماً عبرةً
 كي يستقيم على الطريق وينجحاً
 ما الحزبُ أيّاً كان إلاّ ظلماً
 ويكاد ليل (البعث) أن لا يصبها
 أفرادُه حلفاءً بغيّ طالما
 سفكوا الدماء توحشاً وتبجحا
 وتجارب الماضي المفيدة أثبتت
 بأدلةٍ تزهو كأنوار الضحى
 إذ علمتنا الاستقامة في الحياة
 وللضلالة قطّ أن لا تجنحاً
 هذي النصيحة للشباب أسوقها
 ربح الحصيف بها وفاز إذا صحا

مشروع كربلاء فخر العراق

لما تحتله كربلاء من مكانة مميزة وما تسمو به من معاني الإباء والثورة و
 مقارعة الظلم، ولأنها مدينة يستحق قاطنوها أن يتنعموا بظلالها وثرواتها وعلى
 المستويين الروحي والمادي، طرح تيار شهيد المحراب بتاريخ ٢٠١٣/٤/٧ مبادرته
 المتمثلة بمشروع (كربلاء فخر العراق)، وقد تضمن المشروع المحاور التالية:
 تخصيص ١% من ميزانية العراق كميزانية لمحافظة كربلاء، ولمدة خمس سنوات.
 إنشاء مجلس أعلى للإعمار خاص بمحافظة كربلاء، كي يساعد دوائر المحافظة
 في إكمال مشاريع التخطيط والاعمار فيها.
 تقديم تسهيلات استثنائية للقطاع الخاص لتشجيع رأس المال المحلي والأجنبي
 للاستثمار في كافة القطاعات الخدمية والأساسية في المدينة.

إنشاء شبكة طرق سريعة حديثة تربط كربلاء بالمحافظات العراقية المجاورة.
 إنشاء خط سكة حديد بين النجف وكربلاء وربطه بشبكة سكك الحديد الوطنية
 لتخفيف الرزخم الحاصل في النقل أثناء الزيارات المليونية.
 المباشرة السريعة بتنفيذ مطار الفرات الأوسط.
 إنشاء المجسرات وجسور المشاة والإنفاق والتي تتلاءم وطبيعة الزيارات في
 المدينة، والتي تقلل من الازدحامات والاختناقات.
 إنشاء مدينة (أبي الفضل) السكنية والتي تحتوي على مائة ألف وحدة سكنية،
 لحل مشكلة السكن لابناء محافظة كربلاء.
 دعم جامعة كربلاء وتطويرها وتكثيف الاختصاصات ذات الصلة بالسياحة
 الدينية ومتطلباتها الواسعة.
 إنشاء مدينة الحسين الطبية وبمقاييس عالمية.
 دعم أصحاب المهن في كربلاء وكذلك دعم المزارعين بقروض ميسرة وطويلة
 الأجل لتطوير أعمالهم وتطوير البنية التحتية في ريف كربلاء وقراها كتعبيد
 الطرق وتأمين الطاقة الكهربائية والمياه الصالحة للشرب وتوسيع المؤسسات
 التعليمية والصحية.
 تقديم القروض الميسرة لأصحاب الفنادق والمطاعم السياحية لتطوير منشآتهم
 وبما يتناسب ومكانة المدينة وعدد زائريها.
 الإسراع في استكمال طريق يا حسين من كربلاء باتجاه المحافظات المجاورة
 لتسهيل حركة المشاة في الزيارات المقدسة.
 زيادة المساحات الخضراء لاسيما في صحراء غرب كربلاء لإيقاف التصحر
 وتحسين المناخ وتوفير متنزهات ترفيهية ومتنفس لأهالي كربلاء وزائريها.
 تطوير بحيرة الرزازة وفتح مشاريع الاستثمار فيها لتتحول إلى منتجع سياحي
 مهم لاستمتاع و ترفيه أبناء المحافظة والوافدين إليها.



محافظة بابل

يرتبط العراق ببابل حضارة وفكرا ومكانة، فهي إحدى أهم الحواضر العريقة والتي ورد اسمها في القرآن الكريم، في قوله تعالى (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت)^{١١} وكانت عاصمة للإمبراطورية البابلية، التي أنشأها حمورابي عام ٢١٠٠ قبل الميلاد. وكانت مدينة فخمة ذات طراز معماري خاص لها ثمانى بوابات، أشهرها بوابة عشتار، واشتهرت منذ القديم بوجود الجنائن المعلقة كواحدة من عجائب الدنيا السبع.

وبالنسبة إلى التسمية فكلمة بابل تعني «باب الإله»، كما يرى ذلك الدارسون، فيما طرحت عدة آراء أخرى حول اسم بابل، منها أنها سميت بذلك لتبليبل الألسنة فيها واختلاطها، وقد تشعبت وتفرقت إلى ثلاثة وسبعين لسانا فسميت بابل، و هناك من رأى أنها مكونة من البادئة باء في اللغة الآرامية والموجودة حتى اليوم في عدة أسماء لمدن عراقية مثل بعشيقا وبسمايا وبحزاني وغيرها، والجزء الثاني هو (بل) من بعل الآشوري، حيث أسقطت العين لدى البابليين.

وأيا يكن أصل التسمية فبابل هي بابل الحضارة والتاريخ، بابل الفكر والفن

والتشريع القانوني، ورمز القوة والعظمة الرافدينية. وأثناء مرور عدة احتلالات وغزوات لبابل من الاسكندر المقدوني والفرس الساسانيين والمناذرة حتى الفتح الإسلامي عانت المدينة من الدمار والخراب، و لكن بقيت معالمها تقاوم الزمن وآثارها شاخصة للعيان، وتمثل إرثاً وطنياً وإنسانياً هاماً. وهي الآن محافظة من محافظتنا الحبيبة، مركزها مدينة الحلة وتضم أقضية وقصبات، وتمثل حلقة وصل بين العاصمة بغداد ومحافظات الوسط والجنوب.

الموقع الجغرافي

تقع محافظة بابل في قلب منطقة الفرات الأوسط، تحدها من الشمال العاصمة بغداد ومن الشرق محافظة واسط أما من الجنوب والجنوب الغربي فمحافظة



الديوانية والنجف، ومن الشمال الغربي محافظة كربلاء. وهذا الموقع وفر ميزة فريدة لهذه المحافظة كونها حلقة الوصل بين العاصمة بغداد و الجنوب العراقي الأمر الذي جعلها ذات أهمية كبيرة في مختلف العصور ولاسيما تأثير موقعها من الناحية الإستراتيجية على مستوى الطرق التجارية والعسكرية، تبلغ مساحة المحافظة أكثر بقليل من خمسة آلاف كيلو متر مربع، وبالتالي فهي أصغر

محافظة من حيث المساحة بعد محافظة بغداد وكربلاء.

تقسم بابل إدارياً إلى عدة أقضية هي:

قضاء الحلة: ويقع إلى الجنوب الغربي من المحافظة ويضم مركز المدينة، تبلغ مساحته ١٧٠ كيلومتر و إلى شماله على بعد ١٠ كم تقع معالم مدينة بابل الأثرية. ويضم قضاء الحلة ناحيتين رئيسيتين هما ناحية الكفل وناحية أبو غرق. ويبلغ

مجموع سكان القضاء قريبا من نصف مليون نسمة. والحلة مدينة تأسست في نهاية القرن الخامس الهجري في عهد إمارة بني مزيد، ويقال إن أصل تسميتها (الحلّة) بضم الحاء، وأن من أطلق هذا الاسم على موقعها هو الإمام علي عليه السلام، لجمالها ورقة هوائها وعذوبة مائها. فقد امتازت منذ القديم بأجواء رائعة وهي تغفو على ضفاف الفرات، فتكثر فيها بساتين النخيل و الأشجار الكثيفة، وقد ردد الشعراء اسم الفيحاء وصفا لما امتازت به من أجواء و هواء عليل واعتدال في درجة الحرارة.

قضاء المسيب: يقع مركز القضاء على ضفاف نهر الفرات، ويمتد فوقه جسر المسيب الشهير، و سمي القضاء بهذا الاسم نسبة إلى الصحابي سعيد بن المسيب، فيما هناك رواية أخرى حول أصل التسمية ترتبط بمعركة كربلاء حيث يروى أنه حين سبيت خيول ونساء أهل البيت عسكر الجيش الأموي في هذه المنطقة أثناء عودته إلى الشام. وهذا يعني أن المسيب مشتقة من السبي أو المسبيّ ثم صحفت بمرور الوقت.

قضاء الهاشمية: ويقع هذا القضاء جنوب المحافظة، وسمي بالهاشمية نسبة إلى العلويين الهاشميين الذين سكنوا المنطقة من زمن بعيد، يبلغ عدد سكان القضاء أكثر من مائتي ألف نسمة، و يضم نواحي الشوملي والقاسم والطليعة. ويعتبر القضاء مركزا تجاريا لتسويق التمور والمحاصيل الزراعية.

قضاء المحاويل: تقع بين بغداد والحلة شمال محافظة بابل، واسم المحاويل كما ورد في بعض كتب اللغة مشتق من «حوّل» وهو الدقة في التصويب، وتشكلت ناحية المحاويل عام ١٨٨٩م وتمتاز بخصوبة أرضها و تضم كثافة سكانية عالية حيث يبلغ عدد سكانها حوالي أكثر من أربعمئة ألف نسمة يشكلون نسبة ٢٥ ٪ من عدد سكان محافظة بابل.

قضاء الحمزة الغربي: ويقع بين نهري دجلة والفرات ويبعد مسافة ٢٣ كم إلى الجنوب الشرقي من مركز الحلة. ويقطنه حوالي ٣٥٠ ألف نسمة بحسب تقديرات عام ٢٠١٣.

قضاء القاسم: وقد كان ناحية تابعة لقضاء الهاشمية، وهو من الأفضية التي

ترتبط محافظة بابل بالمحافظات الجنوبية. ويسكنه حوالي ١٢٠ ألف نسمة. وسمي بالقاسم نسبة لمرقد السيد القاسم بن الإمام الكاظم عليه السلام، وهو أشهر معلم من معالم القضاء.

التركيبة السكانية و الطابع الاجتماعي

تمتاز التركيبة السكانية في محافظة بابل بالتنوع، وهو ما يتناسب مع عراقية تاريخها وأصالتها، فتتواشج العلاقات بين أبنائها مع تعدد طوائفهم، و برغم محاولات الإرهاب البائسة بقيت أواصر الأخوة قائمة بين الشيعة الذين يمثلون أغلبية سكان المحافظة وإخوتهم السنة الذين يتركز وجودهم في بعض النواحي والقرى في الأسكندرية و المسيب و جرف الصخر وغيرها. فقد وقفت العشائر موقفا وطنيا مشرفا وحاربت فلول القاعدة وداعش و أكدت على عمق انتمائها العراقي وإخلاصها الوطني، والحقيقة أن تحقيق الانسجام وترسيخه في محافظة بابل ذات التنوع الطائفي والتي تعتبر بعض مناطقها الشمالية من المناطق المختلطة يمثل بوابة لتحقيق الانسجام والتعايش في بقية ربوع الوطن، وهذا ما يؤكد عليه سماحة السيد عمار الحكيم، بالقول: (إننا أذا حفظنا تاريخ بابل فإننا نحفظ تاريخ العراق كله، وإذا دعمنا وحمينا الوحدة الوطنية في بابل فإننا سنحميها في كل أرجاء العراق)^{١٢}. ذلك أن محافظة بابل هي محافظة التعايش المشترك والإخوة بين طائفتيه الكبيرتين و هي ضمان الوحدة الوطنية، وقد لمس الجميع ذلك من الوقفة التي وقفها أبناء المحافظة من الشيعة والسنة بوجه الإرهاب والتكفير وتطهير المحافظة من دنسهم. وقد ساعد على ذلك طبيعة العلاقات الاجتماعية وتقاليدها المتأصلة في نفوس البابليين، حيث يمتاز المجتمع الحلي والبابلي بصورة عامة بالحفاظ على القيم والأعراف العشائرية العربية الأصيلة، والإخلاص للوطن و تعميق مشاعر الإخوة ونبذ التطرف و صفاء النفوس و انفتاح العقول، فكم من شخصية رائدة ومبدعة ترعرعت في أرض الحلة الفيحاء، من فنانيين وشعراء ومؤرخين وعلماء في العديد من الحقول المعرفية.

يبلغ سكان المحافظة حوالي مليوناً وثمانمائة ألف نسمة، يشكل أخوتنا السنة ما يقرب من نسبة ١٠٪، ويتركز أغلب السكان في قضائي المحاويل وقضاء الحلة. وتتسم الكثير من مناطقها بسيادة الطابع الريفي، فأرض المحافظة خصبة صالحة لزراعة شتى أنواع المحاصيل. وبالإضافة إلى التعددية الطائفية ثمة تعددية دينية كانت معروفة عن المحافظة حيث تواجد في منتصف القرن الماضي عدد من اليهود والمسيحيين والصابئة بما يقدر نسبته عام ١٩٢٠ بحوالي ١٪. وقد تلاشت هذه النسبة القليلة نتيجة لظروف تاريخية معروفة. و في محافظة بابل ينتمي الأهالي إلى عشائر عربية أصيلة منها السادة الحسينيون والسادة آل موسى وشمر والجبور وخفاجة والطفيل والجحيش والدليم والجنابيين والبعيج وبني عجيل وغيرهم العديد، و يلاحظ أن التنوع المذهبي يطبع الكثير من العشائر في هذه المحافظة نتيجة لانسجام تاريخي طويل وتواصل وتقارب بين أبنائها وعشائرها، فلا تخلو عشيرة من شيعي وسني فلا فرق بينهما من حيث الأصل والمواطنة والقيم والأعراف والتقاليد والثقافة.

الثروات الاقتصادية

كغيرها من محافظاتنا العزيزة لبابل ثروات طبيعية ومقدرات اقتصادية كبيرة، ولئن كانت حالياً لا تنتج أهم ثروة ترفد ميزانية الدولة العراقية اليوم ونعني بها النفط إلا أنها مرشحة في المستقبل لتكون واحدة من المحافظات المنتجة للنفط الخام، بحسب ما يتوقعه الخبراء والباحثون، وعدا ذلك فإن المحافظة لها ثروات أخرى مهمة، ومنها ما يلي:

الثروة الزراعية: يعتبر الطابع الزراعي طابعا مميزا لأغلب مناطق المحافظة، و يشكل القطاع الأكبر فيها من حيث اليد العاملة التي تزاوّل مهنة الزراعة، والتي تصل نسبتها إلى الربع من مجمل سكان محافظة بابل، فتقريبا يسكن ما يربو على نصف السكان في مناطق ريفية، ومما تشتهر به بابل هو النخيل وإنتاج التمر، وتكاد تحتل المرتبة الأولى في إنتاجه خلال السنوات الماضية، هذا فضلا عن زراعة الحبوب بمختلف أصنافها إضافة إلى المحاصيل الحقلية التي تتميز



مدينة بابل الأثرية

بجودتها العالية.

الثروة الحيوانية: يرتبط القطاع الحيواني بالزراعة، ولهذا فلا شك أن محافظة بابل تتوفر على ثروة حيوانية جيدة، فلا غرو أنها تشتهر بتربية الماشية وبخاصة الأبقار والأغنام والماعز، و تشكل هذه الثروة نسبة ٦% من مجموع ما هو متوفر منها في العراق، فضلا عن ذلك تشتهر بابل بحيريات الأسماك، التي تبلغ مئات البحيرات مما جعلها المحافظة الأولى في مجال تربية الثروة السمكية..

الثروة السياحية: فلا جدال إن لبابل ثروتها في قطاع السياحة، فإن لم تكن هي فمن يكون غيرها؟ مدينة الجنائن المعلقة، بابل الحضارة والتاريخ والشموخ، وابرز معالمها الأثرية هي مدينة بابل السياحية، وتل الأحيمر، والبرس وتل إبراهيم وتل العقير.



مرقد السيد حمزة الغربي

المعالم التاريخية والمزارات الدينية

من أشهر معالم المحافظة كما هو معروف مدينة بابل الأثرية، والتي كانت عاصمة الإمبراطورية البابلية، وتشتهر هذه المدينة بجدران عالية ذات فخامة واضحة تدل على الإبداع العراقي منذ القديم في الفن المعماري، وقد كانت بابل القديمة مدينة صغيرة في عصر فجر السلالات من الحضارة السومرية، ثم برز ثقلها السياسي عام ١٨٩٤ قبل الميلاد، وتضم معابد أبرزها معبد ننماخ و معبد عشتار وبابو ومردوخ، وقد ألحقت أضرار بهذه المدينة الأثرية المهمة في التراث العراقي والعالم بعد عام ٢٠٠٣ حين جعلتها القوات الأجنبية قاعدة عسكرية، وهي بحاجة اليوم إلى مزيد من الاهتمام لجعلها محطة سياحية لها أن تجذب آلاف السائحين من مختلف أنحاء العالم، فليس ثمة أثر تاريخي معروف حول العالم عن العراق أشهر من مدينة بابل.

أما بالنسبة للمراقد والمزارات الدينية فتوجد في المحافظة العديد منها ومن أبرزها:

مرقد الحمزة الغربي: وهو من أشهر المراقد في المحافظة يقصده الزوار من محافظات الوسط والجنوب، ويقع على طريق الحلة- ديوانية، و يعود المرقد إلى الحمزة بن القاسم بن علي بن حمزة بن الحسين بن عبد الله بن أبي الفضل العباس

بن أمير المؤمنين عليه السلام.

مرقد القاسم بن الإمام موسى الكاظم «ع»: وهو الآخر من المزارات المشهورة التي يقصدها آلاف الزوار، ويحتوي على صحن واسع فيه غرف لاستراحة الزوار، ويعود للسيد قاسم بن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام. مقام الإمام علي "ع": ويقع في الشمال الغربي لمدينة حلة، ويعرف بمشهد مرد الشمس، وهو المكان الذي دعا فيه الإمام ربه فردت إليه الشمس وذلك بعد عودته من معركة النهروان.

مرقد احمد بن موسى الكاظم «ع»: ويقع شرق قضاء المسيب، وهو السيد أحمد بن السيد إبراهيم المجاب بن محمد العابد بن الإمام الكاظم عليه السلام، ويبعد عن مركز القضاء ١٠ كم.

مرقد سيد علي بن طاووس "ع": ويقع في منطقة الشاوي في قضاء الحلة. مرقد نبي الله ذو الكفل «ع»: وهو يهودا بن إسحاق النبي عليه السلام، ويروى أنه سمي بذو الكفل لأنه تكفل لقومه أن يكفيهم أمرهم ويقضي بينهم بالعدل. مرقد نبي الله أيوب «ع»: يقع في الجانب الغربي من الفرات شرقي الحلة، مقام نبي الله إبراهيم الخليل: وهو المكان الذي أقام فيه النبي إبراهيم عليه السلام، فهو كما تنص الروايات التاريخية أقام في بابل لفترة معينة.

مرقد السيد أبو بكر بن علي بن أبي طالب «ع»: يقع هذا المرقد في الطريق بين قرية ذو الكفل ومدينة الحلة على بعد ٦ كم منها.

مرقد السيد زيد بن علي السجاد «ع»: يقع على بعد ٢٢ كم من الجنوب الشرقي للكفل، ويقصده العديد من الزائرين لاسيما ليالي الجمعة والمناسبات الدينية.

مرقد السيد عمران بن الإمام علي بن أبي طالب «ع»: حيث استشهد في معركة النهروان ودفنه الإمام في منطقة قريبة من آثار بابل.

الحوزة العلمية في الحلة القديمة

من المراحل التاريخية المهمة في تاريخ مدينة الحلة هي المرحلة التي كانت فيها مركزا للإشعاع الفكري والمعرفي الإسلامي، بعد أن ظهرت فيها الحوزة العلمية كمدرسة متخصصة في العلوم الإسلامية على مذهب أهل البيت عليهم السلام.

كانت بداية ذلك نشاطا علميا محدودا في هذه المدينة منذ بداية العصر العباسي، لاسيما وأنها قريبة من الكوفة بل وتقع ضمن إقليمها فتأثرت بأجواء الكوفة العلمية ومدرستها اللغوية حتى إن العديد من علماء اللغة فيها يعودون إلى مدينة الحلة كما أن أغلب سكان المدينتين ينتمون إلى قبيلة واحدة هي قبيلة بني أسد، وبعد أن غزا هولاكو بغداد ودمر معالمها وأحرق مكتباتها وقتل العلماء من مختلف المذاهب وأحرق مكتبة الشيخ الطوسي الذي خرج من بغداد وتوجه إلى النجف، كانت الحلة حتى ذلك الوقت بمنأى عن الغزو المغولي، ويروي التاريخ أن أهالي المدينة أرسلوا وفدا منهم إلى هولاكو برئاسة السيد مجد الدين بن طاووس ويوسف الحلي لطلب الأمان للمدينة، فوافق القائد المغولي على ذلك ونجت الحلة من الدمار ونجا معها النجف والمراقد الشيعية المقدسة فيها. ونتيجة لتوفر مناخ الأمن و انتقال بعض العلماء من بغداد إليها دبت حركة علمية غير مسبوقة، وهكذا فما أن حل القرن السادس الهجري حتى أصبحت الحلة مقصدا للعلماء والمتعلمين و مركزا لدراسة الفقه الإسلامي وأصوله والقرآن وعلومه، وبرزت أسماء لامعة تركت أثرها حتى اليوم، ومنهم محمد بن إدريس الحلي، صاحب كتاب السرائر، والمحقق الحلي صاحب الشرائع الذي لا يزال يعتبر أهم مفردات المناهج الفقهية في الحوزة العلمية، و العلامة جمال الدين المطهر وغيرهم.

أعلام وشخصيات

لبابل العراقية والحضارة سجلها الإبداعي الفريد، والمتواصل عبر الأجيال كما لو كان الإبداع جينا وراثيا ينتقل من الأجداد إلى الأحفاد. ولهذا تميزت المحافظة بكثرة المبدعين فمدينة صفي الدين الحلي ذلك الشاعر العراقي المعروف صاحب الأثر الفريد لاشك أنها ولود للشعراء والأدباء، وتكاد تبرز النجف بكثرة شعرائها وشهرتهم، وتتملكنا الحيرة في سرد كل تلك القائمة الطويلة من الأصوات الشعرية المبدعة عبر القرون الأخيرة، ولكن نكتفي بالإشارة إلى أبرزهم أمثال الشاعر المعروف حيدر الحلي والشاعر أحمد صالح القزويني والشاعر الحسيني باقر الطهمازي والشاعر السيد جعفر الحلي، وجواد الحلي، و حسن خصبك، وصالح الحلي، وصالح الكواز وآخرين كثير.

وقد عرفت المدينة رجالات في السياسة والفكر والبحث العلمي، ومن بينهم السياسي عبد الوهاب مرجان الذي تقلد عدة وزارات في العهد الملكي، والنائب سلمان البراك صاحب الرقم القياسي في عدد انتخابه كعضو في مجلس النواب في العهد الملكي، ومن الحلقة أيضا المؤرخ عبد الرضا عبود الحميري، والعلامة الشيخ عبد الكريم عبد الرضا الماشطة أحد أعلام التجديد في القرن الماضي، والشيخ يوسف كركوش صاحب كتاب تاريخ الحلقة، والأديب جعفر هجول و الأستاذ صباح المرزوك، ولا يفوتنا ذكر القاص والشاعر أنور شأؤول الذي يعتبر من رواد كتابة القصة العراقية وهو يهودي من مدينة الحلقة. والروائي برهان الخطيب والروائي طه حامد الشبيب و الروائي والباحث شاکر خصبك ومن الكفاءات العلمية الدكتور عدنان الظاهر الأستاذ المشارك في جامعة ميونيخ الألمانية. وهناك أسماء أخرى عديدة في حقول متنوعة لا يسع المجال لذكرها.

واخترنا أخيرا التعريف بأحد الشخصيات الشعرية والوطنية الذي ولد في هذه المدنية الحبيبة، ونعني به الشاعر محمد مهدي البصير، شاعر ثورة العشرين كما لقبه العراقيون آنذاك.

ولد في الحلقة عام ١٨٩٥م، وتلقى في صباه علوم العربية والفقہ والتفسير على

يد السيد محمد القزويني والشاعر عبد المطلب الحلبي، شارك في ثورة العشرين خطيباً مفوهاً وشاعراً وطنياً مخلصاً لقضايا وطنه، فنفاه الانكليز عام ١٩٢٢ إلى جزيرة هنجام في الخليج العربي، ثم عاد ليعمل أستاذاً في جامعة أهل البيت عليهم السلام، غادر بعدها إلى مصر عام ١٩٣٠ ومنها إلى فرنسا ليحصل على درجة الدكتوراه في الدب. وبعد عودته إلى العراق عمل على تدريس الأدب العربي في دار المعلمين العالية ببغداد، كان البصير أعمى منذ طفولته إثر إصابته بالجذري، و لكن لم يمنعه ذلك من التألق والتميز، فكان شاعراً كبيراً و أديباً بارعاً وخطيباً ساحراً، وله أنشطة في الإذاعة والتلفزيون العراقي.

للبصير قصائد وطنية عديدة تغنت بالعراق و الدفاع عن شعبه بوجه الاحتلال الأجنبي، و من تلك القصائد قصيدته الشهيرة «إن ضاق يا وطني» وفيها يقول البصير:

إن ضاق يا وطني عليّ فضاكا
فلتسحُ بي للأمام خطاكا
أجرى ثراك دمي فإن أنا خنته
فلينبذني إن ثويت ثراكا
بك همت بل بالموت دونك في الوغى
روحي فداك... متى أكون فداكا؟
ومتى بحبك للمشانق ارتقي ؟
كي ترتقي بعدي عروش علاكا
هب لي بربك موتتا تختارها
يا موطني أولست من أبناكا؟
إن يندمج جسدي بتركك باليا
فلتندمج ذكراي في ذكراكا
أو يقتضب نفسي فمالي منة
أو لم يمنّ به علي هواكا؟
أو جدت في نفسي عليك فإنما

هي كل ما عندي وبعض جداكا
لك قد خلقت ومنك فيك فنسبتي
تقضي عليّ بأنني أرهاكا

مبادرة بابل التاريخ والوحدة الوطنية

لمحافظة بابل موقع في الحاضر كما في الماضي، و هي في جغرافيا العراق كما في تاريخه، محطة مهمة و أساسية في توطيد اللحمة الوطنية، و لأن بابل بكل هذه الرمزية و المكانة كان لتيار شهيد المحراب أن يطرح مبادرته التي جاءت تحت عنوان (بابل التاريخ والوحدة الوطنية) بتاريخ ١٠/٤/٢٠١٣ والتي تضمنت ما يلي:

رصد ميزانية إضافية خاصة لبابل وبقيمة ٣٥٠ مليون دولار سنويا ولمدة ٧ سنوات، إضافة لميزانيته المقررة.

إنشاء مركز حمورابي للدراسات التاريخية الخاصة بحضارة وآثار بابل.

تطوير البنية التحتية لبابل الأثرية، وتهيئتها كمعلم سياحي عالمي، عبر تأهيل آثارها بمواصفات عالمية وتكثيف فرق البحث والتنقيب الأثري بالاستعانة بالخبرات العالمية بهذا المجال، وإقامة المنشآت الضرورية التي تساعد على جذب السائحين من كل مكان لما لذلك من آثار مهمة في تعريف العالم بحضارات العراق القديم ومردوداته الاقتصادية الايجابية على أبناء المحافظة.

تطوير جامعة بابل وتطوير تخصصاتها العلمية والزراعية والدراسات التاريخية والأثرية.

البدء بإنشاء مدينة الحلة الجديدة وتفعيل قرار مجلس الوزراء بهذا الخصوص. إنشاء مجلس شورى حكماة شمال بابل، كي يكون مركزا لحل المشاكل والتقاطعات العشائرية في شمال بابل ودعمه ماليا ومعنويا لإنجاح مهمته، وليكون نموذجا يحتذى به في كافة مناطق العراق الأخرى.

إنشاء متحف بابل العالمي والذي يحتوي الآثار البابلية، كي يكون أكبر متحف

لهذه الآثار في العالم، خصوصا أن الآثار البابلية لم يستكشف أغلب مواقعها. إعادة تأهيل منشآت الإسكندرية الصناعية وخصوصا صناعة السيارات والجرارات والنسيج الحريري، مما يساهم بتشغيل الأيدي العاملة المتوفرة في المحافظة والتي تعتبر من أفضل العمالة الماهرة.

إعادة تأهيل مشروع المسيب الكبير، كي يعود صرحا زراعيًا كبيرًا كما خطط له حين إنشائه، وان يتم بناء مجمع سكني في المشروع لإيواء العوائل التي تقيم في عشوائيات على أراضي المشروع.

توسيع شبكة الطرق والمواصلات وإنشاء الطرق السريعة حول مدينة الحلة لتسهيل عبور وسائل النقل العابرة من شمال الوطن وغربه إلى الفرات الأوسط والجنوب.

تطوير البنية التحتية لقرى ونواحي بابل ومساعدة الفلاحين، وتوسيع المؤسسات التعليمية والصحية وشبكة الطرق.

تشجيع الاستثمار المحلي والعالمى في المجال السياحي والاقتصادي والصناعي في الحلة لتحريك رأس المال وتشغيل الأيدي العاملة.

إنشاء هيئة لحماية وتطوير أماكن العبادة للأديان الأخرى، ودعوتهم لزيارة الأماكن المقدسة لهم سواء في مقام الكفل أو غيره، فنحن لسنا ضد إي دين ورسالتنا رسالة سلام وديننا دين سلام، ونحن فقط ضد العنصرية والتكفيرية والاعتداء على حقوق الآخرين وبغض النظر عن الدين الذي يدعيه حامل هذه الأفكار المسمومة.

تأسيس هيئة بابل الدولية للتسويق السياحي، حيث تأخذ على عاتقها ترويج المدينة عالميا.

دعم مهرجان بابل الثقافي وتطوير نشاطاته الثقافية والفنية.

إنشاء مركز جبلة لدعم المشاريع الزراعية والحيوانية.

إنشاء مدينة عروس الفرات السكنية وبسعة ١٠٠ ألف وحدة سكنية لمعالجة أزمة السكن في المحافظة.

محافظة بغداد

مدينة السلام والمحبة، عاصمة العراق المضيئة بطيبة أهلها و عشقهم للحياة، تغنى بها الشعراء والأدباء، ونسبت إليها ملامح العيش المرّفه والحياة الوداعة، كانت في القرون الوسطى قبلة العالم، شهدت منذ نشأتها تعددية ثرة و اختلط أهلوها متجاوزين حدود الانتماء والمنطقة والسياسة، وظلوا أوفياء لعشقهم وتعلقهم بها، رغم ما مارسته السلطات السياسية في مختلف مراحل التاريخ من



ضغوط وتعسف وتنكيل.

عرفت بغداد بأسماء عديدة منها دار السلام، الزوراء، سرّة الدنيا، مدينة الخلفاء، وسميت كذلك بمدينة المنصور في فترات معينة نسبة إلى الحاكم العباسي المنصور الذي أمر ببنائها عام ٧٦٢ م. وأصل تسمية بغداد كما يذكر العديد من المؤرخين والباحثين تعود إلى اسم قرية كانت محطة وسوقاً تجارية، يطلق عليها اسم «بغدان» أو «بغدان»، و يذكر ياقوت الحموي أن الاسم يعود إلى اللغة الفارسية و هو مؤلف من مقطعين باغ + داد، وتعني بستان يعود لشخص يسمى

داد، إلا أن البحث الأثري اكتشف أصلاً آخر للكلمة، فالحفريات الحديثة دلت على أن اسم بغداد قديم وجد منقوشاً على رقيم بابلي، يذكر فيه الاسم بالآرامية وهو (بغددوا)، ولعل ما يعزز هذا الرأي وجود أسماء لأحياء بغدادية تعود إلى كلمات آرامية مثل براثا وكلوادة أي الكراة، وغيرها.

بقيت بغداد درة متألئة في جبين التاريخ، وبرزت الحواضر الإسلامية، وهي عاصمة العراق منذ العصر العباسي، واحتضنت الجميع رغم اختلاف مشاربهم و معتقداتهم وآرائهم، وبرزت فيها قامات تاريخية باسقة، وها هي منذ مئات السنين يتعاقب فيها وهج الكاظمين و كبريائهما عليهما السلام مع أنوار الحضرة القادرية ممتزجة بطيف سخي الألوان للإمام أبي حنيفة. ويغفو هذا الوهج السامي على أحضان دجلة الخير، ويتناغم مع ظلال نوارسها و حفيف نخيلها..

الموقع الجغرافي



تقع بغداد في المنطقة الوسطى من البلاد، متوسطة ما بين مدن: بابل و ديالى والأنبار وصلاح الدين، و تبعد عن البصرة حوالي ٤٥٠ كم وعن الموصل ٣٥٠ كم، ولهذا فهي تحتل مكان القلب من الجسد، وتعتبر أكبر مدن العراق برغم أنها الأقل مساحة بينها، كما تعد من كبريات عواصم الشرق الأوسط، فهي المدينة الثانية بعد القاهرة.

تبلغ مساحتها الإجمالية ٢٠٤ كيلومتر

مربع، وتقسّم إدارياً إلى جانبي الرصافة و الكرخ، وكل منهما يضم عدة أفضية، كما يلي:

جانب الرصافة: ويضم الأفضية التالية:-

قضاء الرصافة: أحد الأفضية الرئيسية للعاصمة، ويمتد على مساحة ٢٢ كيلومتر مربع، من جسر الصرافية إلى جسر القناة، ويبلغ عدد سكان الرصافة ٣٥٠ نسمة، ويضم كلا من ناحية الكرادة الشرقية و ناحية بغداد الجديدة و ناحية فلسطين. قضاء الأعظمية: تقع شمال مركز العاصمة، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الإمام أبي حنيفة النعمان، ويسكن القضاء حوالي خمس سكان بغداد، بحسب تقديرات إحصائية. ويضم قضاء الأعظمية عدة أحياء منها حي الأعظمية والشماسية والوزيرية وحي الربيع والقاهرة والشعب والبساتين وسبع قصور وغيرها. قضاء مدينة الصدر: مدينة الصدر من مناطق شرق بغداد، ويعود تأسيسها إلى ستينيات القرن الماضي، و تقسم المدينة إلى قضائين، قضاء الصدر الأولى، وقضاء الصدر الثانية، و يسكن هذه المدينة ذات الكثافة السكانية العالية حوالي ثلاثة ملايين نسمة.

قضاء المدائن: يقع جنوب شرق العاصمة، و يسكنه ٣٥ ألف نسمة، و تتبعه ناحية الوحدة وجسر ديالى، و أبرز معالم القضاء هو مزار الصحابي الجليل سلمان الفارسي.

قضاء الاستقلال: و هو قضاء الحسينية سابقا، يضم ناحتي الحسينية والراشدية، و يقطن هذا القضاء حوالي مليون نسمة، ويقع شرق بغداد. أما جانب الكرخ فيضم:

قضاء الكرخ: ويقع على الضفة الغربية لنهر دجلة ويمتد من جسر الصرافية إلى جزيرة الأعراس، وتتبع له ناحيتا المنصور والمأمون، ويضم عدة أحياء كالكرخ والصالحية والشيخ جنيد والحارثية.

قضاء الكاظمية: من أعرق مناطق العاصمة بغداد، حيث مرقد الإمامين الكاظمين عليهما السلام، يقع شمال بغداد على بعد خمسة كيلومتر، يقطنه مليون ونصف نسمة بحسب تقديرات عام ٢٠١٣. ويرتبط بمنطقة الأعظمية عبر جسر الأئمة، وكانت الكاظمية في العصر العباسي مقبرة تسمى بمقبرة قريش الكبرى، دفن فيها الإمام موسى بن جعفر الكاظم بعد استشهاد فسميت بالكاظمية تيمنًا باسمه الشريف.



برج بغداد

قضاء المحمودية: تقع المحمودية جنوب العاصمة، وهي بمعظمها أراض زراعية، يقدر عدد سكانها بنصف مليون نسمة بحسب تقديرات عام ٢٠٠٦.

قضاء أبي غريب: كان قضاء أبو غريب تابعا لمحافظة الأنبار حتى ١٩٩٠ حيث تم إلحاقه بالعاصمة، ويقع إلى الغرب منها، وأغلبه مناطق زراعية تقطنها عشائر كزوبج والهيثاوين والجبور والدليم، يسكنه ما يقرب من ٧٠٠ ألف نسمة. وتتبعه عدة مناطق مثل ناحية النصر والسلام وزوبج والرضوانية والعويسات والحصوة. ويعود اسم أبو غريب إلى عشيرة عُرِفت بهذا الاسم.

كانت تسكن المنطقة قبل حقب من الزمان.

قضاء الطارمية: يشكل جزءا مما يعرف بحزام بغداد الذي يتكون من ستة أقضية، منها الطارمية وأقضية المحمودية والمدائن وأبو غريب و الاستقلال والتاجي. و يضم قضاء الطارمية ناحية المشاهدة والعبايجي، و يسكنه قرابة نصف مليون نسمة.

قضاء التاجي: ويقع شمال العاصمة الحبيبة، و أغلبه أراض زراعية، يسكنه قرابة ٣٠٠ ألف نسمة.

التركيبة السكانية و الطابع الاجتماعي

امتازت بغداد عبر تاريخها بأجوائها الرائقة ومناخها المنفتح المستوعب لشتى التيارات والطبقات الاجتماعية والثقافية والفكرية، وفضلا عن مركزيتها السياسية فهي تتمتع بخصوصيات نتجت عن طابعها الاجتماعي والثقافي، واستيعابها للتعددية استيعابا منتجا لافتا عبر العصور.

بغداد لم تستمد قيمتها من تاريخها العريق وحضارتها السامقة وحسب، بل من طبيعة مجتمعها و نسق العلاقات الاجتماعية و سماتها اللافتة. وهي على صغر مساحتها باعتبارها أصغر المحافظات مساحة إلا أنها الأكثر كثافة سكانية، حيث يعيش فيها ما يزيد على سبعة ملايين نسمة موزعين بين مناطقها المختلفة، و لبغداد مناخها الخاص، وتراثها وفلكورها الشعبي، ولأهلها عاداتهم تقاليدهم الموروثة التي قد تختلف بين منطقة وأخرى، و تغلب ملامح وسمات التحضر والتمدن على مركزها وما يحيطه من أحياء، والتي جعلت للفرد البغدادي مزايا ملؤها الرقة والعذوبة والأريحية، وقد صار ذلك علامة مميزة لأهل بغداد حتى قيل في وصف الشخص الذي يحظى بشيء من الترف و الرفاهية والخصال الودیعة والهدوء بأنه قد (تبغدد).

تحفل العاصمة بخليط تجانس عبر الزمن، فهي تجمع بين أحضانها الدافئة كلا من الشيعة والسنة في أحياء مختلطة تعايشوا وانسجموا وأقيمت بينهم أقوى الأواصر وأشد الروابط الاجتماعية، فضلا عن المسيحيين والصابئة وأيضا ثمة عدد من الأحبة الكرد.

ومن أجمل المظاهر التي انفردت بها بغداد هو ذلك التناغم الطبيعي بين أهلها، وتعدد انتماءاتهم الدينية والطبقية، والتي انعكست على معالمها ومظهرها المتمدن الراقى، ففي وقت نرى قبة الإمام الكاظم تتلأأ في ليل بغداد الجميل نرى على الجانب الآخر مرقد الإمام الأعظم أبي حنيفة، و عبد القادر الكيلاني، ويتواشج ذلك البريق الرائع مع صدى أجراس كنائسها، كنيسة مار جرجس والقديس يوسف، وكنيسة العذراء وغيرها، حيث يبلغ عدد كنائس

العاصمة حوالي ٧٣ كنيسة موزعة في شتى أنحاءها. وتتفاوت طبيعة العلاقات الاجتماعية وأنماطها بين مركز بغداد وأطرافها، لكنها تحتفظ بميزة خاصة في كل الأحوال، فلا تبتعد الأطراف برغم حضور الطابع العشائري عن سمات الحضر والمدنية، كما أن خصوصية مركزها وانفتاحه وهويته الخاصة لا يعني أنه منقطع الجذور عن قيم وتقاليد المجتمع العراقي بصفة عامة، وفي هذا التوازن يكمن سر بغداد وجمالها، وهويتها الأصيلة، ويعود الأغلبية المطلقة من سكان العاصمة إلى عشائر عربية من الجنوب والوسط، وبعض منهم استوطن بغداد في منتصف القرن المنصرم، وبعض آخر نزح إليها قبل ذلك بوقت طويل.

الثروات الاقتصادية

لا تختلف بغداد عن غيرها من المحافظات من حيث توفر الثروات والمقدرات الطبيعية والاقتصادية لها، ويمكن إجمال ما تزخر به العاصمة من ثروات بما يلي:

الثروة النفطية: تمتلك العاصمة حقلاً نفطياً يقع إلى الشرق منها متاخماً لحدود محافظة ديالى، وهو حقل نفطي ضخم يمتد إلى مسافة ١٢٠ كم، من الصويرة حتى منطقة النباعي في الشمال الغربي لبغداد. وقد اكتشف في هذا الحقل حتى نهاية الثمانينات حوالي ٨٠ بئراً، وقد وضعت وزارة النفط خطة لتطوير الإنتاج كي يصل إلى عشرين ألف برميل يومياً، بعد أن كان لا يتعدى تسعة آلاف برميل. ويؤكد الخبراء والعديد من الدراسات التي أجريت على التربة بأن بغداد تطفو على بحر من النفط وأنه موجود في مناطق كمدينة الصدر والقناة وغيرهما، ولكن لا توجد حاجة فعلية في الوقت الراهن لاستثمار ذلك، إذ يمكن الاعتماد على تطوير حقول النفط الجنوبية والشمالية لتغطية ميزانية الدولة العراقية، بيد أن هذه الحقول كحقل شرق بغداد مثلاً الذي يتوفر على احتياطات كبيرة تقدر بثمانية مليار برميل يمكن أن تكون ضماناً للأجيال المقبلة.

الثروة الزراعية: كانت بغداد طبقاً للسجلات العثمانية تتوفر على بساتين كثيفة

وواسعة من النخيل، ولاسيما على ضفتي دجلة، ويبدو أن العديد منها اندثر بفعل التوسع العمراني، وحاليا فإن الأقضية في أطراف بغداد وحزامها توفر سلة غذائية تسد تقريبا حاجة سكان العاصمة، فهناك مناطق شاسعة تزرع فيها كل أصناف المحاصيل الحقلية، و الحقيقة أن الواقع الزراعي للمحافظة تراجع بشكل كبير في السنوات الأخيرة نتيجة للتجريف الحاصل وتوسع الرقعة السكنية على حساب



ساعة مرقد الامام ابو حنيفة النعمان

الأراضي الزراعية، حيث وصلت نسبة الزراعة التي تحولت إلى سكنية ما يقرب من ٤٥٪.

الثروة الصناعية: تضم العاصمة مصانع عدة وأسواق تباع فيها المنسوجات وتزاول فيها الأعمال الحرفية المختلفة، التي يتصل بعضها بالموروث البغدادي، كما توجد مصفاة الدورة لإنتاج وتكرير النفط وهي ابرز المعالم الصناعية في العاصمة. ومن المصانع المختلفة مصنع نسيج بغداد، وفي الزعفرانية ثمة مصانع للأدوات الكهربائية والغذائية والبتروكيماوية بعضها متوقف ويحتاج إلى تأهيل. و تعمل في هذه الشركات

والمصانع الآلاف من اليد العاملة من سكان العاصمة والمدن المجاورة لها. الثروة السياحية: تحفل بغداد الحبيبة بأثار ومعالم سياحية عدة، فضلا عن وجود المتاحف ومنها المتحف الوطني الذي يحوي آلاف القطع التي تعود



لحضارات العراق القديمة، فإن هناك آثارا تاريخية مهمة، ومنها عقرقوف والمدائن، ناهيك عن المواقع الأثرية الإسلامية والأماكن الترفيهية التي كانت تشهد حضورا للسائحين من الداخل والخارج.

المعالم الدينية والتاريخية

تزخر العاصمة العزيزة بغداد بمعالمها المتنوعة، الدينية والتاريخية والتراثية، واخترنا الإشارة والتعريف ببعض من هذه المعالم التي تمثل جزءا أصيلا من هوية بغداد.

المعالم الدينية:

الحضرة الكاظمية المقدسة: يعتبر ما قام به معز الدولة البويهري عام ٣٣٦ هـ أول عملية بناء حقيقية لمقر الإمام الكاظم و حفيده الإمام الجواد عليهما السلام، أي بعد قرن ونصف من أول عملية بناء بسيطة عقب دفنهما «ع» في هذا المكان. إذ أمر معز الدولة بوضع ضريح من الخشب حسن الطراز، وبنى قبنتين بديعتين مع وضع الثريات والقناديل، ثم أقام عددا من المنازل حول المرقدين الشريفين. أعقب ذلك بثلاث سنوات أن قام عضد الدولة ببناء سور حول الضريحين، ووسع من المكان وزاد في إعمارهم ثم توالى بعد ذلك عمليات التحديث والتطوير، في عهود مختلفة، وفي عهد الشاه فتح علي عام ١٢٢٩ تم تذهيب القبنتين الشريفتين مع المنائر الأربع. وتعد الروضة الكاظمية معلما بارزا مميزا للعاصمة بغداد، يزوره ملايين المسلمين على مدار العام، ويقصده السكان بشتى انتماءاتهم، فطقس زيارته تقليد متوارث لدى البغداديين من شيعتهم وسنتهم وحتى المسيحيين،

فهو باب الحوائج و مقصد الملهوفين يتبرك الجميع بزيارته، حيث تهفو إلى روضته القلوب وتتوحد نبضاتها في رحاب المودة الصادقة لآل البيت عليهم السلام والتي عرف بها العراقيون منذ قرون.

جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان: يعد من المساجد التاريخية للعاصمة، ويحوي رفات الفقيه الكبير صاحب المذهب الحنفي أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، والذي توفي في عهد الحاكم العباسي أبي جعفر المنصور، ودفن في شمال بغداد، في منطقة الأعظمية التي سميت نسبة إليه. بُني هذا الجامع عام ٣٧٥ هـ وأنشئت عنده مدرسة دينية. وبقيت هذه المدرسة الوحيدة في منطقة الأعظمية لتعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم مع مجموعة من الكتاتيب حتى عام ١٩١١م.

الحضرة القادرية: وتقع في منطقة باب الشيخ، وفيها مرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني، وهي من المعالم التاريخية المعروفة عن بغداد، وهي إحدى المراكز الصوفية في العراق، وتضم الحضرة مسجدا ومرقدا ومكتبة تحتوي على نفائس المخطوطات الإسلامية. والشيخ عبد القادر صوفي وفقيه على المذهب الحنبلي، ولد في القرن الخامس الهجري في قرية كيلان قرب المدائن في العراق، وقيل في منطقة جيلان في إيران. وتعتبر الحضرة القادرية ملما للوحدة بين البغداديين، وقد أديت فيها صلوات مشتركة موحدة في أكثر من مناسبة، ويزورها العديد من سكان بغداد في بعض المناسبات.

مرقد الشيخ معروف الكرخي: وهو من الصوفية الزهاد، توفي عام ٢٠٠ هـ، و تحيطه مقبرة تمثل معلما تراثيا وتاريخيا في بغداد، يقع في جانب الكرخ. مراقد أولاد الأئمة والصالحين: بالإضافة إلى هذه المعالم الرئيسية توجد مجموعة من المراقد التي تعود لأولاد الأئمة عليهم السلام وأحفادهم ولبعض الصحابة الأجلاء، ومن هذه المراقد:-

مرقد إبراهيم بن الإمام الكاظم عليه السلام: وهو الابن الأكبر للإمام الكاظم «ع» وقد استشهد عام ٢١٠ هـ ودفن بالقرب من أبيه عليه السلام.

مرقد السيد إدريس: وهو إدريس بن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجون

بن عبد الله المحض بن الحسن المجتبي عليه السلام، ويقع في منطقة الكرادة، ويقصده العديد من الزوار.

مرقد أبو نصر بشر الحافي بن الحارث الصحابي رضي الله عنه: قصته معروفة مع الإمام الكاظم «ع» وكيف اهتدى إلى طريق الخلاص وترك طريق الملذات الدنيوية العابرة، يقع قبره في الكاظمية حيث دفن في مقبرتها في العاشر من محرم عام ٢٢٧هـ.

مرقد قنبر خادم أمير المؤمنين عليه السلام: ويقع في منطقة شارع الكفاح، ضمن حي قنبر علي، وهو من أقدم الأحياء السكنية في بغداد. وغالبية من أحبنا السنة الذي يتفاخرون بوجود قبر هذا العبد الصالح المحب لآل البيت بينهم.

مرقد الشيخ (البهلول) من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام
مراقد السفراء الأربعة: وهم عثمان بن سعيد العمري «رض»، ويقع مرقد في جانب الرصافة قرب دجلة في سوق الميدان، ومحمد بن عثمان الخلاني «رض»، ويقع مرقد الشريف في محلة الخلاني المنسوبة إليه. وأما مرقد السفير الثالث الحسين بن روح «رض» فيقع في منطقة الشورجة التجارية المعروفة. فيما يقع مرقد السفير الرابع علي بن محمد السمري «رض» قرب المستنصرية بجانب المسجد المعروف بالقبلائية.

المعالم التاريخية

لبغداد أصلاتها وعمقها الضارب في التاريخ الإسلامي وما قبله، ولهذا فهي تضم عدة مواقع أثرية هامة ومنها:

آثار عقرقوف: يقع هذا المعلم الأثري على بعد ٣٠ كم عن مركز العاصمة، ويعود بناؤه وفق الطراز البابلي إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، ومما يلفت النظر فيه هو الزقورة التي ترتفع بطول ٥٧ مترا، وقد كانت عقرقوف عاصمة الكيشيين إحدى الممالك البابلية القديمة. ويحيط بالزقورة سور وأبنية تضم قصورا ومعابد. المدائن: تقع إلى الجنوب الشرقي من بغداد على بعد بضعة كيلومترات، تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وهي عاصمة الساسانيين ثم اليونانيين

الذين أسموها (سلوقيا)، وتحتوي المدائن على طاق كسرى وقصور تعود إلى تلك الحقبة التاريخية، وكاد النظام البائد أن يقدم على حماقة هدم هذا الأثر التاريخي العراقي في الثمانينيات بحجة أنه يرمز إلى الحضارة الفارسية، بينما تؤكد الدراسات والبحوث المختصة أنه ذو طراز معماري عراقي، وأنه لم يقم فيه أي معبد مجوسي، وظلت المدائن مسكونة بالعراقيين المسيحيين الذين شيّدوا فيها كنائسهم، بل وفيها كانت المرجعية المسيحية آنذاك.

تل حرم: ويعتبر من أقدم المواقع الأثرية حيث أثبتت الدراسات انه يمثل أقدم مستوطنة بشرية في بغداد تعود إلى أكثر من أربعة آلاف عام، وضم الموقع رقما طينية تشير إلى دروس في علم الحساب، حتى اعتبرها البعض إشارة إلى أقدم مدرسة للرياضيات في العالم، والموقع يشكو من الإهمال وعدم الاهتمام ويقع في منطقة بغداد الجديدة.

القصر العباسي: ويرجح أنه بني في عهد الحاكم العباسي الناصر لدين الله، و يبدو أنه كان قائما في القرن السادس الهجري، وهو بناء متقن ذو زخارف جميلة، ويتألف من ساحة واسعة يحيطها رواق من طابقين، ويقع بين شارع الرشيد ونهر دجلة.

المدرسة المستنصرية: وهي من آثار العصر العباسي البارزة، والتي بنيت عام ٦٢٥هـ، والتي تعد أول مدرسة جامعية في العالم، بناها المستنصر بالله العباسي، وقد شيّدت على مساحة حوالي خمسة آلاف متر مربع، وتطل على نهر دجلة إلى جوار قصر الخلافة العباسي قريبا من المدرسة النظامية، وتتألف المدرسة المستنصرية من طابقين يضمنان مائة غرفة فضلا عن القاعات والإيوانات. وتعد تحفة حضارية ومعمارية مميزة.

أعلام وشخصيات

لا تعتبر بغداد عاصمة سياسية للعراق وحسب، بل هي كذلك عاصمته الثقافية، وقد اكتسبت هذه المركزية في الثقافة العراقية منذ أمد طويل امتدادا لمركزيتها في الثقافة العربية الإسلامية، وقد عادت و توطدت في النصف الأخير من القرن الماضي، فراح يقصدها الشعراء والأدباء والقصاصون والفنانون من مختلف

المحافظات الأخرى، و انتقل بعضهم للإقامة الدائمة فيها. ولهذا تواجهنا صعوبة الإحاطة بعدد لا يحصى من الأسماء الإبداعية في مختلف المجالات والحقول الأدبية والعلمية والفكرية فضلا عن غيرها، ولهذا فلا سبيل إلا انتقاء بعض الأسماء التي بقيت عالقة في الذاكرة وتلك التي تركت بصمتها في الأدب والثقافة والفكر.

فعلى صعيد رجالات السياسة لا حاجة للقول إن الكثير من الأسماء في التاريخ السياسي العراقي كانوا من مدينة بغداد، وقد تقلدوا مناصب رئاسة الحكومات والوزارات في المراحل والحقب السابقة، ومن أمثال هؤلاء عبد الرحمن النقيب وتوفيق السويدي ونوري السعيد وعلي جودة وحكمت سليمان وحمدي الباجه جي، وفي باب المعظم ولدت نزيهة الدليمي التي تعد أول امرأة تتقلد مناصبا وزاريا في الدولة العراقية، وآخرون كثروا. وإلى بغداد ينتمي أيضا الأستاذ باقر جبر صولاج، وفيها ولد الأستاذ عادل عبد المهدي، والشيخ همام حمودي.

وفي المجالات الأدبية والفكرية والفنون نجد أسماء كبيرة خالدة في ذاكرة العراق وبغداد بشكل خاص، ومن هؤلاء الباحث الأديب محمد بهجت الأثري، والدكتور علي الورد، والمؤرخ عبد الرزاق الحسني، والدكتور مصطفى جواد، والشيخ جلال الحنفي، والأديب مير بصري، والنحات المعروف جواد سليم و النحات محمد غني حكمت، والعلامة الدكتور حسين علي محفوظ، والدكتور حسين أمين القيسي، والباحث الموسوعي عبد الحميد العلوجي، والباحث الوثائقي سالم الأكوسي والمؤرخ والناقد زهير أحمد القيسي.

وفي الفن المعماري يبرز اسم محمد مكية الذي صمم عشرات الأبنية والقصور والمكتبات والبنوك والمتاحف في بغداد وبعض العواصم العربية، ويتواصل هذا التميز المعماري البغدادي اليوم عبر المعمارية العالمية زها حديد المولودة في بغداد كذلك.

وعلى صعيد الرواية والقصص نجد أسماء عديدة في هذا الفن، ومنها رائد القصة العراقية القصيرة محمود أحمد السيد وعبد الملك نوري والروائي غائب طعمة فرمان وفؤاد التكرلي والروائي محمود البياتي، وآخرون.

أما في المجال الشعري فبغداد زاخرة بالأسماء المبدعة الكبيرة، كيف لا وبغداد هي حاضرة الشعر العربي منذ العصر العباسي، فمن الشعراء المهمين في سجل الإبداع العراقي المعاصر نذكر كل من معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي ونازك الملائكة وبلند الحيدري وعبد المحسن الكاظمي وعبد الوهاب البياتي و محمد حسين آل ياسين، ومن شعراء العامية ملا عبود الكرخي ومظفر النواب وكاظم إسماعيل كاطع، وغيرهم العديد من الأسماء اللامعة، ولا شك كان لشعراء بغداد أن يتغنوا بها ويتغزلوا تغزل العاشق بمعشوقته، فطالما نظم الشعراء قديما وحديثا في هذه المدينة المتألقة عزا وتاريخا ومهابة وإبداعا، وكتب عنها شعراء العربية قصائد جميلة باذخة منذ العصر العباسي كالبحثري وابن الرومي وإسحاق الموصلي، وحديثا أنشد فيها نزار قباني وعلي الجارم وأدونيس ومصطفى جمال الدين و الشيخ أحمد الوائلي ومحمد مهدي الجواهري وإبراهيم المصري وغيرهم العديد من القصائد التي غناها المغنون والمنشدون، وقد اخترنا هنا مقطعا من قصيدة الشاعر الكبير محمد حسين آل ياسين، والشاعر من مواليد ١٩٤٨م، من عائلة دينية وأدبية معروفة، أصدر عددا كبيرا من الدواوين الشعرية تربو على الخمسة عشر ديوانا، منها: نبضات قلب، الأمل الظمآن، قنديل في العاصفة، مملكة الحرف، الصبا والجمال، سفر النخيل، أناشيد أرض السواد، ألواح الكليم، ديوان آل ياسين، صوت العراق، المزامير، الصحف الأولى، أساطير الأولين.

ما زلتِ في ظلمات الدهر قنديلا
 جيلٌ يقود على لئلائه جيلا
 يا آية السحر لم تنزل على بشرٍ
 أنى تجليبتِ في الأبصار تنزيلا
 إن يعهد الناس ترتيلا بألسنهم
 فقد تفردتِ بالأحداق ترتيلا
 وراح يسأل جبريلُ بجنته
 هل غيره قد غدا في الأرض جبريلا؟
 وصاح صائح قومٍ من يصدّقها

منها؟ فأشهدتِ قرآنا وإنجيلا
 لوحٌ من الحب يطفو في فم قلقاً
 فيغتدي فيه تكبيراً وتهليلاً
 حتى استويتِ (عراقاً) بعض قربته
 معاودٌ بعضها ضمّاً و تقبيلاً
 مذ كان حسنك رأساً شامخاً بعلا
 وساعداً في قراع البغي مفتولاً
 لم تعرف الأرض قبل اليوم فاتنةً
 يزيدها العمر ترشيقاً وتجميلاً
 فليلها ببريق الله صار ضحى
 وجفنها بالشظايا بات مكحولا
 وشعرها الأشعث المغبر أخضره
 بالماشطات لهيباً عاد مجدولا
 يا جنةً أثمرت في آدم أملاً
 فكنت في كفه التفاحة الأولى
 وحين نددت على خديه دمعه
 أعرتيه من شفيف العشق منديلاً
 إلفٌ يظل بعيني ألفه أبداً
 تطلعاً بدموع الحب مقتولا

مشروع بغداد ٢٠٢٠ عاصمة النهوض والأمل

لا يخفى أن لبغداد أهمية فائقة، فهي عاصمة البلاد و تمتلك من الرمزية الوطنية والتاريخية والحضارية ومن الثقل والكثافة السكانية، ما يدفع إلى ضرورة الاهتمام بها، و الرقي بكافة الجوانب المتعلقة بتطويرها ولهذا أطلق سماحة السيد عمار الحكيم مشروع «بغداد ٢٠٢٠ عاصمة النهوض والأمل»، بتاريخ

٢٠١٣/٤/١٦ وقد تضمن المشروع عشرين محورا هي:

إنشاء صندوق أعمار بغداد ويتم استقطاع ١,٥٪ من الميزانية العامة لتمويل هذا الصندوق ولمدة ٧ سنوات. ويختص بتمويل المشاريع الإستراتيجية للعاصمة. خارج نطاق الميزانيات المرصودة العامة.

تشكيل مجلس إعمار بغداد، ليشرف على التصميم وتنفيذ المشاريع الإستراتيجية على أن يتكون من الشرائح الاجتماعية والأكاديمية في العاصمة، من مهندسين ورجال أعمال ومعماريين وفنانين واقتصاديين.

إعادة هيكلة أمانة بغداد، وإصدار قانون أمانة بغداد. وتوسيع صلاحيات الأمانة وذلك بإضافة أطراف بغداد لصلاحياتها وتكون أمانة بغداد الكبرى، وتشكيل مجلس الأمانة، على أن يكون الأمين ومجلس الأمانة منتخبين مباشرة من قبل أهالي بغداد.

إن نظرية تطوير بغداد يجب أن تبدأ من الأطراف باتجاه القلب، فكلما طورنا أطراف بغداد فأنا سنطور بغداد أسرع ونفك عنها حصار الضواحي، فإذا أردنا النهوض وتطوير بغداد فيجب أن نطور مناطق، جرف النداف، وأبو غريب، والمحمودية، والحسينية، وحي طارق، وسبع قصور، والمعامل، والتاجي، وغيرها من الضواحي وذلك بعد أن تنضم هذه المناطق إلى أمانة بغداد الكبرى.

تحديث التصميم الأساسي للعاصمة بغداد وذلك لمرور مدة تزيد عن ثلاثين عاماً على وضع التصميم الأساس المعمول به حالياً.

إنشاء المدينة الحكومية في بغداد .. حيث تكون جميع الوزارات والدوائر الحكومية مجتمعها بها وبذلك تسحب الوزارات والدوائر المنتشرة في أرجاء بغداد إلى مكان واحد مما يساعد على فك الاختناقات في بغداد وتسهل عملية المراجعات الإدارية للمواطنين.

إنشاء الحي الدبلوماسي في بغداد.

إنشاء مدينة بغداد الجامعية، وبطاقة استيعاب ٣٠ ألف طالب وطالبة.

إكمال مشروع الطرق الحولية لبغداد وهي طرق ٣ و٤، حيث إنها ضمن

التصميم الأساسي ولم تنفذ منذ ٣٠ سنة، وهذه الطرق تساهم بتنمية الضواحي إضافة إلى تنمية أراضٍ جديدة في محيط بغداد وتمنح مواقع كبيرة للاستثمار. وبغداد ميزتها أنها دائرية وهذا يجعل جميع المناطق قريبة من المركز إذا ما توفرت شبكة المواصلات الصحيحة.

البدء بتنفيذ مشروع مترو بغداد ومشروع القطار المعلق لربط أجزاء العاصمة بعضها ببعض وتخليص بغداد من أخطار التلوث المتصاعد وتخفيف الازدحامات التي تهدر الوقت وتعطل العمل والإنتاج وتطوير المناطق المختلفة. إنشاء مدينة الأمل السكنية وبسعة ٢٥٠ ألف وحدة سكنية لمعالجة أزمة السكن في العاصمة.

تشجيع البناء العمودي، حيث إن بناء بغداد الأفقي قد أستهلك أراضيها وقلص المساحات الخضراء، وإنشاء حزام أخضر حول مدينة بغداد.

اعتماد مبدأ التخصص في إدارة المشاريع الخدمية للمدينة وذلك بالاستعانة بشركات عالمية في هذا المجال .. وخصوصا في مجال تدوير النفايات، والصرف الصحي، والتشجير.

إعادة تطوير منطقة الاعظمية، وتطوير كامل حوض شارع الرشيد وتنفيذ تطوير مدينة الكاظمية.

إنشاء المدينة الصناعية لبغداد الكبرى. والقضاء على ظاهرة الانتشار العشوائي للمعامل.

تأهيل ساحلي نهر دجلة وتشجيع الاستثمار فيهما باعتبارهما يمثلان رئة بغداد وثروة سياحية كبيرة.

إيجاد التسهيلات لجذب الاستثمار المحلي والأجنبي في بغداد وخصوصا في المجال السياحي وإعادة تأهيل الاستثمارات في بغداد حيث إن الذي يحدث الآن ليس استثماراً حقيقياً حيث تمنح الأراضي ذات المواقع المميزة مجاناً وهي تساوي مئات الملايين، الاستثمار هو أن تأخذ أراضي عادية وتحولها إلى فرص ومشاريع ذات قيمة.

الإسراع بتنفيذ مشروع مدينة الصدر ١٠ في ١٠.

تأهيل المواقع والأبنية الأثرية والتاريخية المحيطة ببغداد واستثمارها للتعريف بحضارة العراق وجذب السائحين، وإعادة إحياء الشورجة كسوق تاريخية وإعادة الطابع البغدادي وعمارته للأحياء والمساجد والحسينيات والكنائس والمعابد والمؤسسات والمنشآت والطرق لتستعيد بغداد جاذبيتها وسحرها ومكانتها وحلتها وشهرتها كمدينة ألف ليلة وليلة وعلي بابا. إنهاء مشكلة الكهرباء والمياه والصرف الصحي والطرق والأرصفة وفوضى البناء من خلال الاعتماد على خطط حديثة وشركات عالمية رصينة.

محافظة ديالى

مدينة الأخوة العراقية الأصيلة، والتعايش بين مكونات العراق، فمحافظة البرتقال هي باقة من الزهور المتعددة الألوان تمثل عراقا مصغرا، إذ أنها من حيث التعددية العرقية والدينية تأتي بعد كركوك، وهي مدينة يمتد عمقها التاريخي لخمسة آلاف عام، ويقول بعض الباحثين إنها من أقدم المناطق التي عرفت الزراعة في العالم.

ولفظة (ديالى) ذات وقع موسيقي جميل فهي لفظة مؤنثة تمتاز بالعذوبة





والطلاوة، و اختلف في مدلولها، ف قيل إن الاسم يعود إلى نهر ديالى الذي عُرِف قديما بـ (ديالاس)، تشير مراجع أخرى إلى أن معنى ديالى هو الأرض الخضراء المرتفعة، وقيل نوع من الأزهار يمتاز بجماله وحسن مظهره.

ولهذه المحافظة العزيزة أهمية وموقعا استراتيجيا فهي حلقة الوصل بين الجزيرة العربية والعراق من جهة و إيران وعموم أواسط آسيا من جهة أخرى، ولهذا كان العرب المسلمون في العصر العباسي يطلقون عليها طريق خراسان.

ونتيجة لبروز التعددية التي تعيشها محافظة

ديالى كانت هدفا للإرهاب منذ دخول فكره المنحرف إلى البلاد، إلا أن طيبة أبنائها و عراقية تقاليدهم الوطنية وروحية الإخاء المتأصلة في نفوسهم قطع الطريق على ما أرادته وخطت له إرادة الشر والتكفير، ولهذا كانت المحافظة أولى المحافظات التي تم تحريرها من رجز الإرهابيين، وإلحاق الهزيمة المنكرة بهم وجماعاتهم الضالة. وهذا ليس بغريب على ديالى وتاريخها، فقد كانت من المحافظات التي شاركت في ثورة العشرين بقوة.

الموقع الجغرافي

تقع محافظة ديالى إلى الشرق من بغداد مجاورة لحدود الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وتحدها من الشمال محافظة السليمانية ومن جهة الغرب محافظة صلاح الدين، أما من الجنوب فتحدها محافظة واسط.

تبلغ مساحتها ١٧,٦٨٥ كيلومتر مربع، ومناخها لا يختلف كثيرا عن أغلب المحافظات الوسطى، حيث ترتفع درجات الحرارة صيفا و تكون باردة شتاء. وتقسم إداريا إلى ستة أقضية هي:

قضاء بعقوبة: ويمثل مركز المحافظة، و اسم بعقوبة اسم آرامي يعني بيت يعقوب، وقيل هي باعقوبا أي بيت الفاحص أو المعقب، و قد وصفها ياقوت الحموي بالقول: (قرية كبيرة كالمدينة، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ، من أعمال طريق خراسان، وهي كثيرة الأنهار والبساتين، واسعة الفواكه، متكاثفة النخل، وبها رطب وليمون، يضرب بحسنها وجودتها المثل)^٣، يقطن القضاء حوالي ٦٠ ألف نسمة.

قضاء المقدادية: تقع على بعد أربعين كيلومتر إلى الشمال الشرقي من مركز بعقوبة، واسمها (شهربان) وتعني صاحب أو سيد المدينة باللغة الكردية، وإنما سميت فيما بعد بالمقدادية نسبة إلى المقداد بن محمد الرفاعي، أحد رجال الطريقة الصوفية الذي دفن في هذه المنطقة. يبلغ عدد سكان المقدادية ٣٠٠ ألف نسمة من مختلف المكونات العرقية والمذهبية. وتوجد فيها آثار تاريخية تعود إلى عصور بعيدة.

قضاء الخالص: ويقع إلى شمال المحافظة، ويعتبر ذا موقع استراتيجي هام حيث يمر عبره الطريق الرابط بين الشمال والوسط حيث طريق كركوك- بغداد. و هو من أكبر الأفضية العراقية من حيث المساحة، يقطنه حوالي ٣٥٠ ألف نسمة، وكان يسمى دلتاوه يبعد عن مركز ديالى ٢٠ كم. ويطلق عليها مدينة الأدباء لكثرة من أنجبتهم من مبدعين في الأدب واللغة على رأسهم العلامة اللغوي والمؤرخ الدكتور مصطفى جواد.

قضاء بلدروز: ويقع إلى الشرق مع بعقوبة، وهو من الأفضية الحدودية مع إيران، ومعنى بلدروز في اللغة الآشورية ضوء النهار كما وردت في بعض الرقم الطينية، وقيل أنها محرفة من الكلمة الفارسية بدرروز وهو اليوم المغبر، أو اليوم الرديء. وربما كانت التسمية نسبة إلى نهر الروز الذي كان يخترقها. ومدينة بلدروز على أية حال مدينة جميلة هادئة يبلغ عدد سكانها بحسب إحصاء ١٩٩٧ ما يقرب من ٣٥٠ ألف نسمة. ويقع فيها مرقد الصحابي جرير بن عبد الله البجلي.

قضاء خانقين: وهو قضاء يقع في الشمال الشرقي للمحافظة تحده من الشرق

الحدود الإيرانية، ويشطره نهر الوند الذي تعتمد عليه الزراعة في خانقين، ويضم القضاء تشكيلة ملونة من العرب والكرد والركمان، ويتحدث أغلبهم اللغات الثلاث معاً، ويعيشون في حالة من التآخي والمحبة. يبلغ سكان القضاء ١٦٠ ألف نسمة بحسب تقديرات نشرت عام ٢٠١٢. ويضم القضاء حقولا نفطية تحتوي على احتياطات كبيرة.

قضاء كفري: وهو من أقضية المحافظة الذي يضم خليطاً متجانساً من الكرد والعرب والتركمان أيضاً، تشتهر القرى التابعة له بالزراعة وتربية الماشية، وكان كفري تابعاً لكركوك قبل إلحاقه بمحافظة ديالى، ولفظة كفري مأخوذة من كفر وهو القيير أي الزفت لكثرة وجوده في هذه المنطقة، وهناك من يرى أنها كلمة تعود للفظه كيرو في اللغة البابلية القديمة، وهي بمعنى القيير أيضاً.

التركيبة السكانية والطابع الاجتماعي

برغم أن أغلب المحافظات العراقية ذات نسيج متنوع ومتعدد إلا أن لمحافظة ديالى خصوصية أكبر، فهي تضم المكونات العراقية الثلاث من عرب وكرد وتركمان، والعرب من شيعة وسنة بنسبة متقاربة إلى حد ما. وهذا التوازن منح ديالى خصوصية تشبه محافظة كركوك من كونها عراقاً مصغراً متعايشاً، وأن هذه التعددية ليست بالأمر الطارئ عليه تاريخياً، ولهذا لم يشهد مجتمعها إلا حالة من الانسجام والتعاون والتفاعل الإيجابي، وقد ضربت ديالى بمكوناتها المتعددة وعشائرها ونخبها مثالا على قوة العلاقة التي تربط العراقيين مع بعضهم البعض، حين أجهضت محاولات القوى الإرهابية والمتآمريين على حاضر ومستقبل العراق.

يبلغ عدد سكان المحافظة زهاء المليون وخمسمائة ألف نسمة، ويغلب على مجتمع ديالى الطابع الزراعي الريفي و التقاليد العشائرية، وقد عُرف عن أبنائها منذ تاريخ طويل اعتدالهم وطيبتهم و تميزهم بالاحتكام إلى الأعراف والتزام التقاليد وحل النزاعات بشكل ودي بعيداً عن العنف.

وتقطن في محافظة ديالى عشائر عربية عريقة، أهمها العزة و الجبور والعنكية والدهلكية والداينية، وعشائر آل بو جواري والرفيعات وخفاجة والمعامرة وعشيرة زركوش وغيرها العديد.

الثروات الاقتصادية

برغم أنها تبدو محافظة فقيرة الموارد كما يتصور البعض، فيما الحقيقة هي أنها تتنوع فيها مصادر الثروة، و لا ينقصها سوى الاستغلال الأمثل وتجاوز الصعوبات والمعوقات التي واجهتها خلال المراحل السابقة، حيث تتوفر لمحافظة ديالى الثروات التالية:

الثروة النفطية: تعتبر ديالى أول منطقة في الشرق الأوسط يكتشف فيها النفط، كان ذلك عام ١٩٠١م، وتوجد فيها حقول نفطية عديدة ومنها ما اكتشف في ثلاثينيات القرن الماضي، ومع كل هذا فإن عددا محدودا فقط من تلك الحقول يتم استغلاله حاليا، ففي خانقين يوجد ٤٤ بئرا نفطية لم يستغل منها سوى أربع فقط، بينما توجد في ناحية العظيم التابعة لقضاء الخالص أربعة حقول يعود اكتشافها إلى عام ١٩٣٨م، ثم أهملت تماما حتى أعيد العمل فيها خلال السنوات الأخيرة. كما تحوي محافظة ديالى على آبار للغاز الطبيعي يعتبر من أجود الأنواع، و تحتاج المحافظة إلى خطط إستراتيجية لاستغلال هذه الثروات للنهوض بواقعها المتردي و فقر مواردها حاليا.

الثروة الزراعية: اشتهرت محافظة ديالى بكونها محافظة زراعية من الدرجة الأولى، حيث تشتهر بزراعة الحمضيات والمحاصيل الحقلية، كما تشتهر بكثافة بساتين النخيل و زراعة الحبوب كالحنطة والشعير، ولهذا سميت ببستان العراق فهي تضم ربع مليون دونم من البساتين. ولكن للأسف فقد أدى الواقع الأمني المضطرب و شحة المياه إلى تراجع الواقع الزراعي في ديالى منذ عام ٢٠٠٣ وحتى عام ٢٠١١ بنسبة ٦٠٪، إلا أنه عاود الانتعاش ثانية مع الأمل باستمرار تحسنه في المستقبل القريب.



نماتيل من تل أسمر

الثروة الحيوانية: نتيجة للطابع الريفي وكثرة القرى والمناطق المفتوحة الصالحة للرعي فقد اشتهرت ديالى أيضا بثروتها الحيوانية، حيث يربي العديد من السكان في القرى والأرياف أنواعا من المواشي كالأبقار والأغنام والماعز، كما كانت المحافظة تضم أكثر من ٥٠٠ حقل لتربية الدواجن. ولكنها تأثرت بتراجع الوضع الأمني عموما، فبحسب مسؤولين محليين في المحافظة أن الثروة الحيوانية تقلصت بمقدار ٣٠٪ بعد سيطرة التنظيمات الإرهابية على أجزاء من المحافظة عام ٢٠١٤، وقامت بسرقة أعداد كبيرة من الأبقار والأغنام فيما اضطر المربون إلى ترك ماشيتهم لتنفق بعد هروبهم من اضطهاد داعش وأعوانها.

الثروة السياحية: ولا تعدم ديالى مقدرات مهمة على صعيد السياحة، فهي تحتوي على مئات المواقع الأثرية التي تعود إلى حقب تاريخية مختلفة، ومن أهمها مواقع مملكة أشنونا. ولم تشهد المحافظة تنقيبات أثرية مهمة عدا ما كان في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي. ومن شأن استثمار هذه الثروة أن يوفر لديالى وأبنائها عوائل مالية واقتصادية ضخمة.

المواقع التاريخية والدينية

تزرخ محافظة ديالى بكمّ كبير من المواقع الأثرية والمرقد الدينية، فعلى صعيد المواقع الأثرية يوجد ما يفوق ٩٠٠ موقع أثري، ومن أهم مواقعها ما يلي: آثار مملكة أشنونا: مملكة أشنونا هي عبارة عن دويلة سومرية قامت في حدود عام ٢٠٢٨ قبل الميلاد، وعاصمتها تقع في تل أسمر الذي يقع شرق نهر ديالى جنوب ناحية بهرز، وتم التنقيب في هذا الموقع نهاية الثلاثينيات من القرن المنصرم، وقد عثر المنقبون على معابد وقصور و مبانٍ وقطع أثرية لا تقدر بثمن.

وللأسف تعرض الموقع مرارا للسرقة والنهب، وكان آخرها على يد العصابات الإرهابية. وتتوزع آثار هذه المملكة في نحو خمسين موقعا قرب بهرز. موقع آسكى كفري: و يقع في قضاء كفري، و كان يمثل في العهد البابلي مدينة تعرف بكيماش. تبعد سبعة كيلومترات عن كفري. تل الذهب: ويقع قرب ناحية الوجيهية، على بعد ١٥ كم شمال شرق بعقوبة، ويعود هذا التل لفترة ما بين ٢٠٠٠ - ٢٥٥٠ قبل الميلاد، وتم التنقيب فيه مؤخرا، فعثر على قطع وأسطوانات للأختام الفخار و قطع ثمينة مختلفة. يضاف إلى ذلك مواقع أثرية مهمة موزعة بين مناطق المحافظة، ومنها السد العظيم، والذي يقع على نهر العظيم ويعود إلى الفترة الساسانية، كما توجد عشرات المواقع الأخرى في بعقوبة ومندي و خانقين. أما بالنسبة للمعالم الدينية فالمحافظة كغيرها تغص بعشرات منها، ومن ذلك نذكر ما يلي:

مرقد السيدة فخرية: وهي فخرية بنت الإمام الحسن عليه السلام، ويقع مرقدتها على بعد كيلومتر واحد عن قضاء الخالص.

مقام المقداد السيوري: يقع في ناحية المقدادية، ويعود لأبي عبد الله الشيخ جمال الدين المقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد الأسدي السيوري الحلي. وهو أحد العلماء المتكلمين والمحققين المعروفين لمدرسة أهل البيت «ع» في القرن التاسع الهجري.

مرقد الحاج يوسف: يعود نسبه إلى الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، يقع على مرتفع ترابي في منطقة النقيب على بعد ثمانين كيلومتر عن مركز المحافظة. مرقد السيد أبو الجاسم: ويقع في خرنابات على بعد ١٠ كم من مركز المدينة، ويعود للسيد محمد بن علي بن إبراهيم بن محمد العابد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

وهناك مرقد عدة منها مرقد السيد عون بن الإمام علي الهادي في المقدادية، وكذلك مرقد السيد إبراهيم بن موسى الكاظم عليه السلام في قرية العجيمي التابعة لناحية السلام. وغيرها من المزارات المنتشرة في أرجاء المحافظة.

أعلام وشخصيات

أنجبت محافظة ديالى العديد من الشخصيات والرجال المؤثرين في مجالات الفكر والأدب بمختلف أشكاله، ومن هؤلاء شيخ المترجمين العراقيين محمد كاظم سعد الدين الشديدي وأحمد خالص، والمؤرخ كاظم سعد الدين، والناقد المعروف الأستاذ يوسف عز الدين، والمؤرخ تحسين حميد مجيد، والباحث الدكتور خليل إسماعيل، والأديب صفاء خلوصي، والناقد نجم عبد الله كاظم، و الشاعر محمد سعيد الصكار والشاعر هادي الربيعي والشاعر عبد القادر خلوصي والشاعر حسين مردان والشاعر أديب أبو نوار وغيرهم، ومن مبدعي الفن السردى لطفية الدليمي والروائي تحسين كرمياني، و الروائي سعد محمد رحيم، وفي الفن برزت أسماء عديدة منها الفنان المسرحي حسن فليح والفنان التشكيلي شنيار عبد الله، ولا يفوتنا التذكير بأن آية الله السيد عبد الكريم المدني كان قد أقام زمنا في مدينة بعقوبة وتوفي فيها، ويعتبر السيد المدني أحد الأعلام الفقهية البارزة و مثالا للوسطية والاعتدال.

وقد اخترنا هنا من عديد تلك الأسماء المبدعة أن نعرف بشاعر يعتبر من المواهب الشبابية التي كانت تعد بمستقبل إبداعي زاهر، بيد أن غربان الشر والإرهاب اختطفته وهو في ريعان شبابه، ونعني هنا الشاعر خالد عبد الرضا السعدي، ولد عام ١٩٧٩م، في قضاء الخالص، أصدر ديوانه الأول (قمر يقتفيني)، شاعر وناقد انطباعي وناشط في منظمات المجتمع المدني، استشهد بانفجار سيارة مفخخة في أيار ٢٠٠٩. وقد اخترنا هذا المقطع من قصيدته (وجهت وجهي للنخيل)، حيث يقول السعدي:

وجّهت وجهي للبساتين

المطرزة الحدائق

ونويت أن أبقى مدى الأزمان عاشق

وبذرت أقمارا على شفة المساء

ولاح لي أمل على جرح اللقاء

حلما تغازله الحمائم
وفراشة طارت فأضنتها المآتم
ورحت أبحث بين أضلاعي..
عن المنفى الذي أهدته لي أمضى الجراح
وصرخت في وجه العواصف والرياح
أحبّ أرضك يا عراق
أحبّ صومك يا عراق
وأحبّ أن أبقى نشيدا في مواويل العناق
وأحبّ أن أرسم أحلاما تطل النجم
والعسق الجميل
وجّهت وجهي للنخيل
وعقدت عزمي أن أسافر في مداك
طفلا تعلق بين دمعات الوداع
وضحكة فضحت هواء
يا موطني الأمل الذي ما دمّرتة الحرب
في عيني ولا عين الرجال
إنّا كبرنا من عذابات الخيال
واحتضارات الخيال
ولم نجد إلّاك أغنية لها سجد الجمال
وجّهت وجهي للحقول
أيظلل يعصرني الذّهل..؟
لأنّ عزمك في المناجل والمعاول
لم يزل جسدا تحاصره الخيول
وأنّ زرعك في دمي وردّ الهيّ
يفوح معابرا للعاشقين بلا ذبول

مشروع ديالتنا الناهضة

لم يفت تيار شهيد المحراب وقيادته أن تطرح رؤيتها للنهوض بواقع محافظة ديالى، ولهذا تقدم سماحة السيد عمار الحكيم بمشروع «ديالتنا الناهضة» بتاريخ ٢٤/٤/٢٠١٤ والتي تضمنت المحاور التالية:

تمنح ديالى معونة مالية سنوية بمقدار ٥٠٠ مليون دولار ولمدة أربع سنوات، لتعويضها عن الإرهاب والدمار الذي لحق بالمحافظة نتيجة الإهمال والهجمات الإرهابية.

إزالة الألغام من الحدود العراقية الإيرانية في محافظة ديالى والتي خلفتها الحرب العنيفة الصدامية مع الجمهورية الإسلامية، ويتم إنشاء مجمعات سكنية وتجارية حدودية، واستصلاح الأراضي بعد إزالة الألغام منها.

إنشاء «مدينة السلام» السكنية وبسعة ٢٥ ألف وحدة سكنية لأهالي ديالى، كي تكون هذه المدينة السكنية المعبر الحقيقي عن وحدة كل مكونات ديالى ووحدة أهلها وعشائرها.

تطوير الواقع الزراعي ومعالجة الآفات الزراعية التي تفتك بالنخيل والحمضيات ومعالجة شحة المياه ومكافحة التصحر في المحافظة.

إنشاء المنطقة التجارية والصناعية الحرة بين العراق وإيران، واستثمار الموقع الاستراتيجي لمحافظة ديالى بين البلدين، والتي ستساهم بتوفير فرص العمل لأهل ديالى كما تساهم بتنشيط التجارة في المحافظة وتنمية المنطقة الحدودية.

إنشاء الطريق السريع الدولي والذي يربط الحدود الإيرانية مع الخط السريع الرئيسي للعراق مما يحول المحافظة إلى نقطة عبور وترانزيت للتجارة بين البلدين، كونها تمثل اقصر الطرق بين البلدين، مما سيوفر الكثير من الفرص لتنمية المحافظة وتطويرها.

إعادة المواطنين الذين هجروا من بيوتهم وقراهم على يد الإرهاب وتعويضهم بشكل مجزٍ.

تعويض البساتين المتضررة وإعادتها إلى سابق عهدها.

تطوير الواقع التعليمي في المحافظة عبر توسيع كليات جامعة ديالى وبناء المدارس المهذمة وإنشاء مدارس جديدة.

الاهتمام بالواقع الرياضي لشباب المحافظة وإنشاء الملاعب الرياضية النموذجية في أقضيئها.

إنشاء مجلس أعيان ديالى، كي يكون مرجعا للتواصل بين كل المكونات الكريمة لأهل ديالى ومركزاً لحل الإشكالات وتقديم الاقتراحات للحكومتين الاتحادية والمحلية

دعم التشكيلات العسكرية والأمنية في المحافظة من قوات الشرطة والجيش وزيادة مساهمة أبناء المحافظة ومن مختلف مكوناتها في الدفاع عن محافظتهم وتشكيل لواء طوارئ ديالى وتتركز مهمته على تطهير المحافظة من الإرهاب وطرد فلوله من ديالى الحبيبة و إلى الأبد.

محافظة الأنبار

محافظة عراقية أخرى تنبض بأهلها محبة ووطنية وشهامةً، والأنبار واحة كبيرة



الشمال الغربي الجمهورية العربية السورية، أما من الغرب فالمملكة الأردنية، فيما تحدها من جهة الجنوب العربية السعودية، ومحافظة النجف وكربلاء من الجنوب الشرقي، أما من الشرق فتلتقي ببعض حدود العاصمة بغداد.

ومن هذا الموقع الجغرافي المميز تتضح أهمية هذه المحافظة الكريمة، وكونها حلقة وصل بين العراق وثلاثة بلدان عربية، ويمر من خلالها الطريق التجاري الرئيسي الرابط بين العراق وميناء العقبة.

تبلغ مساحتها الكلية ١٣٨ ألف و خمسمائة كيلو متر مربع، وبالتالي فهي تشكل ثلث مساحة العراق تقريبا، بيد أنها أقل محافظات من حيث الكثافة السكانية. كانت الأنبار حتى عام ١٩٦١ تسمى بلواء الدليم، و حاليا تقسم إداريا إلى سبعة أقضية، وهي:

قضاء الرمادي: ويضم مركز المدينة، ويعود بناء المدينة إلى الوالي العثماني مدحت باشا، وسميت بالرمادي للون أرضها، وقيل إنما سميت بالرمادي نسبة لنوع من الذئب كانت منتشرة في تلك المنطقة، ويبلغ سكانها نحو ٩٠٠ ألف نسمة بحسب تقديرات غير رسمية.

قضاء الفلوجة: وهو أكبر قضاء عراقي من ناحية الكثافة السكانية، حيث يقطنه حوالي ثلاثمائة وخمسة وعشرين ألف نسمة بحسب إحصائيات ٢٠١٠، وينتمي أبناء القضاء لعشائر عربية مختلفة، ومعنى اسم الفلوجة الأرض الصالحة للزراعة، وسقط هذا القضاء أكثر من مرة بأيدي العصابات الإرهابية التي سلبت الكثير من أبناء المدينة إرادتهم، بسبب وجود ثلة من أزلام النظام البائد والمتطرفين التكفيريين. ويقع القضاء في الجهة الشرقية للمحافظة، ويبعد عن مركزها حوالي أربعين كيلومتر.

قضاء هيت: يقع في غرب المحافظة على الضفة الغربية لنهر الفرات، و على بعد سبعين كيلومتر من الرمادي، يبلغ عدد سكانه ١٢٠ ألف نسمة، و في العصور القديمة كان هذا القضاء مستنقعا مائيا واسعا، و يوجد فيه القير الذي استخدمه السومريون في تدعيم إقامة أبنيتهم. وكانوا يسمونها مدينة توتول. وهي أرض خصبة تكثر فيها زراعة الفواكه والخضروات. ومن نواحيه خان البغدادي و كبيسة

و الرزوية الخالدية وغيرها.

قضاء عانة: قضاء عانة أو (عنه) كما يسميه البعض هو أحد أقضية محافظة الأنبار ويقع إلى جهة الغرب من مركزها على بعد ٢٠٠ كم، يشتهر القضاء بخصوبة أرضه واشتغال أغلب أهله بالزراعة، و فيه مناطق ذات طبيعة ساحرة وجميلة بمائها وخضرتها، وهذه المدينة يعود تاريخها إلى عصور سحيقة، حيث ورد ذكرها في الرقم البابلية والآشورية تحت اسم (عانات)، وبقي هذا الاسم مستخدماً لدى المؤرخين العرب، فقد ورد ذكره لدى ياقوت الحموي. وتتبعها ناحية الرياحية والصكرة.

قضاء الحديثة: مدينة الصمود والتحدي، التي ظلت تقاوم الإرهاب شهوراً طوال، تقع إلى الغرب من الرمادي يبلغ عدد سكانها ١٠٠ ألف نسمة، تحتوي على أرض زراعية خصبة وترتبط بها عدة طرق، منها باتجاه محافظة صلاح الدين عبر بيجي، ومنها الطرق السريعة باتجاه الأردن والسعودية. و قد اكتشفت فيها معالم أثرية تعود إلى عصور قديمة، ومن أشهر نواحيها بروانة و الحقلانية وآكوس.

قضاء الرطبة: وهو الأكبر مساحة بين أقضية العراق، غير أن الجزء الأكبر منه عبارة عن صحراء، ولهذا فهو أكثر الأقضية التي تحتوي على البدو الرحل، وتسكنه عشائر عربية أصيلة من قبيل عشيرة الكبيسات والدليم وآبو عيسى. تتبعه عدة نواحٍ منها طربيل وعكاشات والهبارية و النخيب.

قضاء القائم: وهو قضاء متاخم للحدود السورية، وتبعد عن قضاء عانة حوالي ٩٥ كم، وقد أنشئ هذا القضاء في الثلاثينيات من القرن الماضي، ومن نواحيه الكرابلة و العبيدي والرمانة. و ترجع تسميته بالقائم لوجود دير قديم يعرف بالقائم كان يستخدم كرابية للمراقبة على حدود بين الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية. ويبلغ عدد سكانه ٤٠٠ ألف بحسب تقديرات إعلامية غير رسمية.

التركيبة السكانية والطابع الاجتماعي

تتميز محافظة الأنبار بكل أفضيتها كونها ذات طابع عشائري محافظ على تقاليده وعاداته القبلية، فيما تتسم بعض مراكزها بأجوائها الريفية المميزة، وأبناء الأنبار ذوو حس وطني، ويعتزون بأصالة انتمائهم العربي والعراقي، وقد أنجبت محافظتهم شخصيات مهمة في مختلف المجالات وسنأتي إلى ذكر بعضهم قريباً.

إن التركيبة السكانية لأقضية ومدن المحافظة تتسم بكونها تركيبة متجانسة، فظروف البيئة والموقع وطبيعة تأسيس وظهور المدن والهجرات التي جاءت من بطن الجزيرة العربية جعلت المحافظة قليلة التنوع ولا تكاد توجد ملامح واضحة للتعددية فيها، ولهذا برز الانتماء القبلي بشكل جليّ، و عليه إذا ما أريد الحديث عن طبيعة العلاقات الاجتماعية بين أبنائها فلا بد أن ينحصر الحديث بالعلاقات القائمة بين قبائلها وعشائرها المختلفة.

وتتعدد هذه القبائل و تختلف كثافة تواجدتها بين منطقة وأخرى، ولكن بشكل عام تبرز عدة أسماء لقبائل ذات أصالة وتاريخ سكنت المنطقة منذ حقب طويلة، ومنها عشيرة ربيعة التي كانت تقطن منطقة الرمادي قبل تأسيسها، ومن العشائر المهمة عشيرة الدليم التي كانت المحافظة تحمل اسمها، فحتى الستينيات كانت الأنبار تعرف بلواء الدليم وكانت من قبل تابعة للواء بغداد، وغالبا ما يحكمه شيخ الدليم الذي يطلق عليه أمير الدليم وتتبعه العشائر في كل الظروف والأحوال. والكثير من العشائر الآن هي تعود أصولها إلى هذه القبيلة مثل آل بو محل، وآل بو نمر، والجميلات، وآل بو عساف، وآل بو عيثة، وآل بو ريشة، والمحامدة، والجغايفة وآل بو فهد وغيرهم.

كما تتواجد قبائل أخرى بارزة منها زوبع وعنزة والعكيدات. أما عدد نفوس المحافظة فيبلغ مليون و ستمائة ألف نسمة بحسب إحصائيات تقديرية لعام ٢٠١٣. يتركز أغلبهم في مراكز المدن الرئيسية للمحافظة.

الثروات الاقتصادية

قد يخيل إلى البعض أن محافظة الأنبار مجرد صحراء قاحلة مترامية الأطراف، ولهذا فهي ذات موارد وثروات طبيعية محدودة، بيد أن الواقع غير ذلك تماما، فهي محافظة غنية ولها مقدراتها وثرواتها الاقتصادية الكبيرة، إلا أنها لم تستغل طوال الحقب الماضية، ومن بين ثروات هذه المحافظة نذكر ما يلي:

الثروة النفطية: لا تعد محافظة الأنبار حاليا من المحافظات المنتجة للنفط، كما لا يوجد فيها آبار نفطية مكتشفة سوى حقل عكاس النفطي قرب القائم، إلا أن كَمَا وافرا من الدراسات والبحوث الميدانية أثبتت بما لا يتيح مجالا للشك بأن المحافظة تتوفر على احتياطات نفطية هائلة تصل إلى ٣٠٠ مليار برميل. و لا شك أن المستقبل ينتظرها في حال تم استغلال واستخراج هذه الثروة القابعة في أرضها.

الثروة المعدنية: وهي من الثروات المؤكدة والتي استغلت جزئيا حتى الآن، ومن بينها الفوسفات التي تبلغ احتياطاتها حوالي عشرة مليار طن، وكذلك حجر الكلس المقدر بألف مليون طن، بالإضافة إلى رمل الزجاج حيث يوجد منه احتياطي يصل إلى أكثر من ثمانين مليون طن، فضلا عن القار والحديد الرسوبي والجبس وغيرها من المعادن التي يمكن أن تدخل في صناعات متنوعة، وهي تمثل ثروة كبيرة بالنسبة للمحافظة.

الثروة الزراعية: برغم أن أغلب مساحة الأنبار هي عبارة عن صحراء رملية ووديان قاحلة إلا أن ثمة أجزاء غير قليلة منها صالحة للزراعة، وهناك مناطق خصبة جدا في أقصيتها الأساسية كحديثة وهيت و القائم والفلوجة كما أشرنا إلى ذلك من قبل. وهي تنتج مختلف المحاصيل الحقلية والحبوب، كالحنطة والشعير والذرة الصفراء، كما توجد أعداد من البساتين الكثيفة للنخيل وكانت سابقا تقدر أعدادها بحوالي مليوني نخلة.

الثروة الحيوانية: لوجود بادية واسعة في المحافظة فإن تربية الماشية تعتبر نشاطا اقتصاديا مهما، حيث تنتشر تربية الأغنام والجمال و الماعز و الأبقار، لاسيما

في المناطق التي تصلح للرعي، وهي ما حول المدن الرئيسية في المحافظة، فضلا عن البادية الكبيرة التي يسكن فيها البدو الرحل، وبشكل خاص التابعة لقضاء الرطبة. ولهذا فقد كان عدد المواشي في المحافظة أكثر من أربعة ملايين رأس بداية التسعينيات، لكنها انخفضت كثيرا ولا تتجاوز اليوم أكثر من تسعمائة رأس.

الموقع الاستراتيجي: وهو من أهم المقدرات الاقتصادية، فالمحافظة تربط العراق بالدول العربية الثلاث: سوريا، الأردن، السعودية، وعبر منافذ حدودية تشهد تبادلا للسلع والحركة التجارية، ويمر عبر أراضي المحافظة كذلك أنابيب نقل النفط الخام عبر الخط الاستراتيجي وخط آخر لنقله عبر سوريا، بيد أنه متوقف حاليا.

الثروة السياحية: كذلك لا تعدم المحافظة الثروة السياحية إذ يوجد في عموم أرض المحافظة ٤٢٠ موقعا أثريا، تعتبر شواخص حية على حضارات العراق عبر حقبه التاريخية المختلفة. وبعضها يعود إلى العصور الحجرية و الحضارات الرافدينية القديمة. فضلا عن آثار إسلامية عديدة.

المعالم الأثرية والتاريخية والدينية

توجد في محافظة الأنبار العديد من المعالم الأثرية التاريخية، فضلا عن المراقد والمزارات الدينية، وللأسف فقد تعرضت مدينة الأنبار كما مدينة الموصل وصلاح الدين بعد سيطرة العصابات الإجرامية الإرهابية الداعشية لتخريب واسع النطاق لإرثها الحضاري وكنوزها التاريخية، ففي الرمادي أقدمت قطعان الإرهاب عدوة الإنسان والتاريخ والحضارة على سرقة الآثار من متحف المدينة، وهي آثار قيمة تعود لحقب تاريخية مختلفة، فيما قامت بنسف كل المراقد والمزارات الدينية الإسلامية التي كانت تشهد توافد الآلاف سنويا للزيارة والتبرك. ومن المعالم الأثرية والتاريخية البارزة في الأنبار نذكر ما يلي: مدينة الأنبار التاريخية: وهي مدينة بنيت في عهد الملك البابلي نبوخذ نصر،

ومكانها قرب مدينة الفلوجة، وقد أنشأ بقربها الحاكم العباسي عبد الله بن محمد مدينة عرفت بالهاشمية، اتخذها عاصمة للدولة العباسية، وقد أجريت عمليات تنقيب محدودة تم خلالها اكتشاف جرار ومسكوكات نقدية.

قلعة هيت: وهي واحدة من ثلاث قلاع موجودة في العراق بعد قلعة أربيل وقلعة كوك في محافظة كركوك، وهي مرتفع من الأرض سكنه العراقيون القدماء وبنوا فيه مساكنهم هربا من الفيضانات. وتتكون القلعة من طبقات تعود لمساكن وأبنية شيّدت في مراحل تاريخية متعاقبة، ومن ذلك مسجد الفاروق الذي بني في عهد الخليفة عمر بن الخطاب. فضلا عن عشرات من الأضرحة والمراقد والكنوز الأثرية التي لم يجز بعد التنقيب عنها.

إضافة إلى ذلك توجد عشرات من التلال والمغارات والوديان التي تحتوي على آثار تعود لعصور موعلة في القدم، ومنها مغارات أم الجماجم قرب حديثة، والتي تعود إلى العصر الآشوري. وهناك موقع الكرابلة الأثري بالقرب من قضاء القائم. ومنارة عانة التي بنيت في القرن السادس الهجري وهي من المعالم الأثرية المميزة، وغير ذلك من المواقع التاريخية والأثرية التي لم يتم التنقيب فيها بعد، كما أن بعضها مهدد بالمحو و انطماس معالمه، الأمر الذي يحتاج إلى رعاية من الجهات الرسمية المعنية.

كما توجد عدة مراقد دينية ومزارات، فالأنباريون الأصلاء كغيرهم من عموم العراقيين يفتخرون بحضارتهم ورموز الإسلام وآل البيت عليهم السلام، ويتبركون بزيارة مراقدهم و طلب حاجاتهم من الله في تلك الأمكنة الطاهرة، إلا أن دخول الفكر التكفيرى الغربى عن البيئة العراقية والسنية التي لم تكن إلا بيئة حنفية صوفية تدين بالمودة للنبي وأهل بيته الكرام، عمل دخول هذا الإرهاب والفكر الظلامى المتخلف على هدم هذه المراقد و طمسها، و نورد هنا مجموعة من المراقد الدينية التي تعود للصالحين والأولياء و أصحاب الأئمة عليهم السلام والتي قام الإرهابيون بتفجيرها وتهديمها ومنها:

مرقد الشيخ عبد القادر الطيار: وهي بناية ذات قبة جميلة تعود إلى القرن العاشر الهجري، ويقع المرقد في بساتين قضاء حديثة، وقام الإرهابيون بتفجيره وإحالاته

إلى ركام.

مرقد الشيخ نجم الدين: وهو الآخر مما قام الإرهابيون بنسف قبته، التي تقع بالقرب من قضاء حديثة، ويعود بناؤها إلى القرن السابع الهجري، والشيخ نجم الدين من ذرية الإمام الحسين عليه السلام.

مرقد السيد علي: وهو يعود لأحد أصحاب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ويقع المرقد قرب الحقلانية، ويحكى أن هذا الصحابي كان قد عاد بسفينة عبر نهر الفرات بعد واقعة صفين مع مجموعة من الجنود، ثم توفي في هذا المكان، وقد نسفه الإرهابيون كغيره أيضا.

مرقد الشيخ الحديد: يوجد هذا المرقد شمال غرب قضاء حديثة، وهو يعود للسيد محمد شمس الدين الذي ينتهي نسبه إلى الإمام الكاظم عليه السلام، بني المرقد في القرن السابع الهجري، ونسفه الإرهابيون بالكامل بعد سيطرتهم على المنطقة.

مرقد أولاد الرفاعي: لا يعرف بالضبط من هم و لكن الثابت أنهم أولاد السيد أحمد الرفاعي، ويقع المرقد على طريق قضاء عانة، ويحتوي على ستة قبور تم نسفها كذلك من قبل العصابات التكفيرية.

ضريح النبي أيوب عليه السلام: ويقع في قلعة هيت، و الواقع أن مدينة هيت مدينة تضم العديد من المراقد والمزارات، فهي تحتضن أكثر من أربعين مرقدا ومزارا، ومنها مرقد السيد سعود حفيد الإمام الكاظم «ع»، ومقام سيدنا الخضر عليه السلام، و مجموعة أخرى من الأولياء والصالحين.

أعلام وشخصيات

كان لأبناء محافظة الأنبار حضورهم الواضح في مجالات مختلفة كما هو حضور غيرهم من بقية المحافظات العراقية، فاشتهرت منهم أسماء كبيرة في عالم السياسة والثقافة والفكر والأدب، ولعل ما يميز الأنبار هو انخراط العديد من شخصياتها ورجالها في السياسة منذ نشوء الدولة العراقية الحديثة، ولاسيما في

الحقب الجمهوريّة.

ومن هذه الشخصيات البارزة نجم عبود الدليمي أحد قادة الثوار ضد الاحتلال الانكليزي وكان من مدينة الرمادي قبل أن ينتقل إلى السكن في النجف الأشرف. والشيخ ضاري المحمود الذي قتل الجنرال لجمن، وتآزرت جهوده في الثورة على الانكليز جنباً إلى جنب مع قادة الثورة في النجف وكربلاء وبقية المدن الجنوبية والوسطى. كما برز ساسة مهمون كعارف قفطان النائب في العهد الملكي، ورئيس الوزراء السابق عبد الرحمن البزاز، وجميل الراوي أحد ابرز السياسيين في العهد الملكي كذلك. فضلا عن العديد من الوزراء والعسكريين في العهود السابقة.

وعلى الصعيد العلمي والفكري والأدبي لمعت أسماء مهمة في تاريخ المحافظة ومنهم الفيلسوف مدني صالح الذي ولد في قضاء هيت، والعالم الجيولوجي مهدي صالح حنتوش الذي كان في الستينيات عضواً في هيئة البحوث الأمريكية، ومن الأسماء الأدبية الشاعر رشدي العامل والفنان المسرحي يوسف العاني، والقاص شجاع العاني، واللغوي طه الراوي، وناجح خليل الذي ترأس المجمع العلمي العراقي، والروائي شاعر الأنباري، التشكيلي العراقي المعروف شوكت الأكوسي، والناقد عادل العبيدي، والشاعر ريكان إبراهيم، والشاعرة فاطمة الفلاح، والشاعرة إخلاص الطائي، والكاتب حسان الحديثي، وغيرهم من الأسماء العديدة لمبدعي هذه المحافظة العزيزة.

ومن الشخصيات البارزة في المحافظة هو زعيم الطريقة الصوفية الشيخ عبد القادر بهجت الأكوسي، الذي ينحدر من منطقة آكوس، التابعة لقضاء حديثة، والشيخ من رموز الاعتدال والتسامح، وذو مواقف وطنية خالصة، معروف عنه حبه لآل البيت عليهم السلام، واختارنا له هذه القصيدة التي تفيض بمحبة أهل البيت عليهم السلام وبيان قدرهم ومنزلتهم عند الله تعالى:

حبس الله لآل الهاشمي
علم ما كان وما بعد فتح
حتف هذا الكون إن غابوا أتى
فهم الروح وفيهم قد سنج

حَلَفَ اللهُ بِطَهِّ جَدِّهِمْ
وعلي كان في الدنيا ربح
حبر علم وارث أنعم به
سميه الحق وبالخير نصح
حصَّن الله حماهم مادحا
كل علم من علاهم قد نزع
حسنٌ منهم حسينٌ فاطمٌ
منهم الطهر تدلَّى و رشح
حشرهم يوم معادي رحمة
كل ذي ذنب إليهم قد نزع
حزن الكون إذا أذوا وإن
فرحوا رشوا على الدنيا فرح
حرف نور من بني الزهرا إذا
خُطَّ فوق اللوح بالنور رجح
حجر زهراء أبيها المصطفى
كم على رأس بنيتها قد مسح
حكر الجود لهم إن قطرة
منهمُ سالت على الكون سبج

مبادرة أنبارنا الصامدة

انطلاقاً من الشعور العالي بالمسؤولية و لأن الأنبار قطعة من القلب العراقي النابض و كونها المحافظة التي تعرضت طويلاً لإشكالية أمنية فقد أطلق تيار شهيد المحراب وعبر سماحة السيد عمار الحكيم مبادرته التي كانت بعنوان (أنبارنا الصامدة) بتاريخ ٨/١/٢٠١٤ وقد تضمنت هذه المبادرة عشرة محاور رئيسة، و قد

أثبتت الأحداث أن الأخذ بها لو تحقق في وقته لجنب البلاد والمحافظة الكثير من التداعيات التي حصلت فيما بعد، وقد شملت تلك المبادرة النقاط التالية:
 إقرار مشروع إعمار خاص بمحافظة الأنبار بقيمة (٤) مليار دولار على مدى أربع سنوات وبواقع مليار دولار سنوياً لبناء المحافظة وقرائها ونواحيها واقضيتها وبنائها التحتية تضاف إلى الموازنة الاتحادية السنوية للمحافظة.

رصد ميزانية خاصة لدعم العشائر الأصيلة التي تقاوم الإرهاب بكل أسمائهم وعناوينهم، لتمكينها من الصمود أمام هذا الزحف الأسود وتقوية إمكاناتها الذاتية المادية والاجتماعية وتعويض أبنائها من الشهداء والجرحى ..
 إنشاء قوات الدفاع الذاتي من عشائر الأنبار الأصيلة وتكون مهمتها تأمين الحدود الدولية والطرق الإستراتيجية في المحافظة ودمجها بتشكيلات الجيش العراقي على أن تكون قوات خاصة بمحافظة الأنبار وبقيادة أبنائها من القادة العسكريين ..

الدعوة لتشكيل مجلس أعيان الأنبار، الذي يمثل القوى العشائرية والنخبوية في المحافظة ومنحه الصفة الرسمية مما يساعد على وضع إستراتيجية عمل للمحافظة بعيداً عن التجاذبات السياسية الداخلية والإقليمية وان تكون الخطوات المتجهة في معالجة واقع المحافظة مدروسة وواضحة للجميع ومستقاة من رؤية شيوخ ونخب أهل الأنبار أنفسهم.

الحفاظ على التنمية المعنوية والاجتماعية لعشائر الأنبار الصامدة التي قاومت ومازالت تقاوم الإرهاب والتي تمثل عمق المحافظة الاجتماعي والعشائري وتشجيع أبنائها الأصلاء على التصدي لمواقع المسؤولية والحفاظ على محافظتهم من دنس الإرهاب وبدأ حملة البناء والأعمار ..

الدعوة إلى التقاء القيادات العراقية العليا للتشاور وتدارس التطورات الحساسة التي تشهدها البلاد عموماً ومحافظة الأنبار على وجه الخصوص والاتفاق على الصيغة النهائية للحل الشامل وقد كان الرئيس الطالбاني يقوم بعقد مثل هذه الاجتماعات في الأزمات للبحث عن الحلول الوطنية المناسبة وحشد الدعم الوطني لها.

تقديم الدعم الكامل ماديا ومعنويا لقواتنا المسلحة الباسلة بكافة صنوفها ولقوات الأمن في حربهم الشرسة مع الإرهاب. والقوات المسلحة والجيش هو الخط الأحمر الذي لا نسمح المساس به و بوطنيته ..

إصدار تعليمات خاصة من مجلس الوزراء والسيد القائد العام للقوات المسلحة المحترم لتعويض أبنائنا من رجال الجيش والشرطة والعشائر المشاركة معهم في العمليات العسكرية ضد الإرهاب في المحافظة وبأسرع وقت ممكن وبعيداً عن التعقيدات الإدارية لتكون دفعة معنوية لأبنائنا كي يدركوا أننا معهم قلباً وقالباً وان جهودهم وتضحياتهم محل تقدير أبناء شعبنا وحكومتهم.

استكمال الجهود المبذولة من الحكومة العراقية في تلبية مطالب أبناء الأنبار الأصلاء والمحافظة الأخرى ضمن سياقات الدستور والقانون وتقديم الرعاية الإنسانية العاجلة للعوائل النازحة أو المحاصرة جراء العمليات العسكرية.

انطلاقاً من رؤيتنا في معالجة ملف الإرهاب ضمن رؤية إقليمية ودولية شاملة فإننا ندعو الحكومة العراقية الموقرة إلى مناقشة القوى الدولية المتصدية لملف الإرهاب لتقديم الدعم التسليحي والاستخباري والسياسي للعراق في هذه المواجهة كما ندعو الحكومة العراقية إلى مناقشة الدول الإسلامية والغربية المحورية في المنطقة لتقديم الدعم الاستخباري والمعلوماتي والفني واللوجستي والسياسي والإعلامي في مواجهة الإرهاب وتطويره.

محافظة صلاح الدين

إحدى المحافظات المهمة والبارزة التي كان لها حضورها في التاريخ الإسلامي و التاريخ السياسي العراقي، فاسم هذه المحافظة يحمل اسم أحد القادة العسكريين في مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي والذي قاد حملة تحرير القدس من الاحتلال الصليبي، و قد أطلق هذا الاسم في مرحلة متأخرة، حيث كانت تكريت قضاء تابعاً لبغداد.

ولكن بعد مجيء البعث تلاعب بالحدود الإدارية و التقسيمات التي كانت سائدة



فألحق هذه المنطقة بتلك المحافظة و حول هذه المدينة إلى مسمى إداري مختلف، وغالبا كانت الدوافع بعيدة عن الجانب الإداري وتسهيل عمل الوحدات الإدارية، وتتصل بأغراض وحسابات سياسية وطائفية شوفينية بغیضة. وستحتفظ الذاكرة العراقية بحدثين هامین لا يمكن غض الطرف عنهما ونحن نتحدث عن هذه المحافظة العزيزة الكريمة بأهلها، الحدث الأول هو ارتباطها بالطاغية الدكتاتورية صدام، واغلب أزلامه، وهو ما لا ينال من المحافظة التي إن شهدت مولد هذا الطاغية فإنها بذلك ليست جريرة تتحملها أمام التاريخ، فلو راجعنا عتاة الطغاة والظلمة عبر التاريخ الإسلامي لوجدناهم ينتمون إلى مدن و مناطق مختلفة ولا يعني ذلك أية إساءة لأهلها، فالدكتاتور إنسان يمكن أن يولد في أية منطقة في العالم، حتى وإن كانت من أقدس الأمكنة، والحدث الثاني أنها ثاني محافظة بعد ديالى يتم تحريرها عقب سقوطها بيد داعش الإرهابية، على يد القوى الأمنية من الجيش والشرطة و الحشد الشعبي المبارك. إن مركز المحافظة هي مدينة تكريت، وهي من أقدم المدن العراقية، ويعود ذكرها تحت اسم (تكريث) إلى الرقم الطينية الآشورية، وقد ذكرت أيضا في النصوص البابلية، التي أسمتها تكريتا، فيما اسمها الآراميون تكاروت، وتعني المحل أو المتجر.

الموقع الجغرافي

تقع محافظة صلاح الدين في المنطقة الوسطى شمال العاصمة بغداد، وتعتبر ذات موقع استراتيجي هام فهي تمثل عقدة المواصلات بين المحافظات



الشمالية والوسطى، تحدها من الشمال محافظة أربيل ونيوى، ومن الشمال الشرقي محافظة السليمانية أما من الشرق فمحافظة كركوك وديالى، ومن الجنوب فتحدها محافظة بغداد ومن الغرب الأنبار.

وعليه فهي تتوسط سبع محافظات، ما يعني تمتعها بموقع حيوي في الوصل بين

هذه المحافظات التي تحيطها من كل جهاتها، وتبلغ مساحة صلاح الدين حوالي ٢٦ ألف كيلومتر مربع، وتنقسم إلى عدة أفضية وكما يأتي:

قضاء تكريت: تقع مدينة تكريت وهي مركز المحافظة على الجهة اليمنى لنهر دجلة، ولا يعرف على وجه الدقة بداية نشوء واستيطان هذه المدينة، ولكنها كانت قائمة منذ عصور خلت، حيث يصفها الرحالة العربي ابن جبير بأنها مدينة واسعة الأرجاء فسيحة المساحة حافلة بالأسواق والمساجد، وكان هذا الوصف لها في حدود القرن السادس الهجري. يقطنها حالياً بحسب إحصائيات تقديرية ١٨٠ ألف نسمة، وأهم النواحي التابعة لها ناحية العلم وآل بو عجيل.

قضاء سامراء: تقع على الضفة الشرقية لدجلة، بناها الحاكم العباسي المعتصم وأسمها مدينة سر من رأى فيما يبدو تحريفاً وتلاعباً باسمها العراقي القديم باللغة الآرامية وهو سامراً أو سومرا كما ذكره المؤرخون الرومان القدماء، وهي مدينة استمدت قدسية بالغة لدى المسلمين وأتباع أهل البيت عليهم السلام

لوجود ضريحي الإمامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام، وكانت سابقا قبل حكم دكتاتورية البعث تابعة لمحافظة بغداد، يسكن المدينة قرابة مائتي ألف نسمة. ومن نواحيها ناحية المعتمصم وناحية دجلة.

قضاء بلد: تقع إلى الجنوب من تكريت، و هي مدينة عامرة يقطنها ١٠٠ ألف نسمة، وتحتوي على مرقد السيد محمد بن الإمام علي الهادي عليه السلام، ومن نواحيها يثرب والإسحاقى والظلوعية.

قضاء الطوز: يقع قضاء الطوز أو طوز خورماتو إلى شمال شرق المحافظة، وكان سابقا يتبع محافظة كركوك، وقيل إن خورماتو مكونة (خورما-تي) وتعني التوت بحجم التمر. أما طوز فهي الملح باللغة التركية. وعلى أية حال فإن المدينة تعتبر من المدن ذات التعددية، حيث يوجد التركمان والكرد والعرب، ولهذا القضاء تعود ناحية آمرلي، آمرلي الصمود والتحدي التي واجهت قطعان الإرهاب وصمدت لأشهر وكتب أبنائها سفرا خالدا لمدينتهم يبقى مليئا بالعبر والدروس للأجيال القادمة.

قضاء الدور: يبعد هذا القضاء عن مركز تكريت ٢٥ كم جنوبا، ومعنى كلمة الدور في اللغة البابلية السور، والقضاء يقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة. قضاء بيحي: وتقع شمال المحافظة على الطريق المؤدي باتجاه الموصل، يقطنها حوالي ١٠٠ ألف نسمة، و سميت بيحي لانبعاج نهر دجلة عندها، ومن أهم معالمها الاقتصادية هو مصفى بيحي (مصفى الصمود).

قضاء الدجيل: ويعرف أيضا قضاء الفارس، وهو الاسم الذي أطلق عليه زمن النظام البائد عام ١٩٨٩، والدجيل مدينة ذات أجواء ريفية وأراض خصبة، تبعد شمال بغداد بمسافة ٦٠ كم، ويبلغ عدد سكانها مائة ألف نسمة بحسب تقديرات سابقة. واشتهرت المدينة بارتباطها بمحاولة اغتيال الطاغية صدام عام ١٩٨٢ والتي أعقبتها هجمة بربرية على الأهالي الأبرياء راح ضحيتها العشرات منهم، وقد حوكم بموجبها رئيس النظام وأركانها ونالوا جزاءهم العادل.

قضاء الشرقاط: يقع هذا القضاء إلى الشمال من قضاء بيحي، و يشطره نهر دجلة إلى قسمين، و يبعد القضاء عن تكريت ومحافظة كركوك والموصل بمسافة

متساوية تقريبا، و أصل كلمة الشرقاط آشوري (شيركاتا) أو (آشور كات) أي بوابة آشور، وهي مدينة عريقة بنيت في القرن الرابع قبل الميلاد، وتوجد آثارها قرب مدينة الشرقاط الحالية. يبلغ عدد ساكن القضاء مائة وخمسين ألف نسمة.

التركيبة السكانية والطابع الاجتماعي

يغلب الطابع الريفي والعشائري على عموم أفضية ونواحي محافظة صلاح الدين، وتزداد الملامح العشائرية كلما اتجهنا إلى الشمال من المحافظة كما ويزداد التنوع العرقي والديني، فيسكن في بعض الأفضية الشمالية كالشرقاط بعض الكرد، كما كان هناك مسيحيون آشوريون، أما في الجزء الجنوبي والشرقي فيشهد تنوعا طائفيا حيث يتجاور ويختلط في بعض الأماكن كل من الشيعة والسنة في أجواء من الأخوة والمحبة المتبادلة منذ قرون. فترى قضاء بلد حيث شهدت طوال تاريخها تعايشا رائعا بين أهليها من الطائفتين، ففي وقت يتركز أتباع أهل البيت عليهم السلام في مركز القضاء فإن النواحي التابعة له ومن حوله ذات أغلبية من الطائفة السنية الكريمة، ولم يؤثر في تاريخ المنطقة أن حدثت بين الأهالي أية حساسيات واختلافات بدوافع مذهبية وطائفية، إلا بعد أن دخلت المجاميع الإرهابية عقب احتلال البلاد، التي بقيت حدودها مشرعة ومفتوحة لوقت طويل، فعكر سلوكهم الهمجي وبثهم لأفكارهم المسمومة وإشاعاتهم المغرضة الحقودة من أجواء التصافي والوئام، ومع هذا فلم يتمكن الإرهاب من النيل من إخلاصهم و وطنيتهم، فراح يقاتل السني إلى جنب أخيه الشيعي وتحرير الظلوعية و طرد الزمر الإرهابية منها وصمودها بالضد من إرادة الشر خير دليل على ذلك.

يبلغ سكان محافظة صلاح الدين مليوناً وأربعمائة وخمسين ألف نسمة، يتركز أغلبيتهم الساحقة في مراكز الأفضية وما جاورها، وتبدو صلات القرب والإخاء متينة وسائدة بين أهالي المحافظة وعشائرها، وبيئة صلاح الدين بيئة محافظة شديدة التعلق بتقاليدها الموروثة، ولكنها لا تمتلك خصوصية تختلف عما

جاورها من محافظات كونها بحد ذاتها تعد امتدادا لما يحيطها من محافظات ومدن، فهي كانت تابعة بأجزاء كبيرة منها إلى بغداد وأخرى إلى كركوك و الموصل، وذلك لأن المحافظة تأسست إداريا في سبعينيات القرن الماضي. يتوزع أبناء المحافظة بين عدة عشائر عربية، ومن بين ابرز عشائرها عشيرة التكراتة و آل بو ناصر و عشيرة الحديثيين، والدليم والجبور وعشائر أخرى كاللهيب والعكيدات والجميلات، وعشيرة آل بو حسان وعشيرة آل بو فدعوس وعشيرة السادة الحيايين و آل بو حردان وغيرها العديد من عشائرننا الأصيلة. وجميعها لعبت دورا في الوضع الأمني و محاربة التطرف والتكفير، وتنتظرها مهمة ترسيخ ذلك بعد زوال داعش الإرهابي لأجل خلق مستقبل آمن مليء بالمحبة و الانسجام بين أبناء البلد الواحد.

الثروات الاقتصادية

تتوفر لمحافظة صلاح الدين العديد من الثروات الطبيعية والمقدرات الاقتصادية، ومن ذلك ما يلي:

الثروة النفطية: لا تعدم المحافظة قسمتها الطبيعية من النفط الخام، حيث تتوفر لها عدة حقول، ومنها عقل تكريت وحقل علاس وحقل بلد، وحقل عجيل الذي كان ينتج قبل سيطرة داعش عليه واستعادته منها حوالي ٢٠ ألف برميل ينقل إلى كركوك ومنها إلى خطوط النقل باتجاه الموانئ التركية، فيما تبقى أغلب الحقول الأخرى غير مستغلة برغم عمليات حفرها وإدامتها. فضلا عن ذلك تتمتع المحافظة بوجود أكبر مصفاة لتكرير النفط الخام، وهي مصفاة الصمود (بيجي سابقا)، والتي كان لها دورها في النشاط الاقتصادي للمحافظة وتشغيل مئات من الأيدي العاملة.

الثروة الزراعية: يمتهن أكثر من ٤٠٪ من سكان المحافظة الزراعة، و تشتهر صلاح الدين بزراعة الحمضيات ووجود وفرة من بساتين النخيل التي تشغل حوالي ١٦٠ دونما من أراضي المحافظة، كما أنها تحتل مراكز متقدمة من بين محافظات

البلاد في إنتاج وتسويق حبوب الحنطة والشعير. و تقدر المساحة الصالحة للزراعة بأكثر من ٦٠% من مجمل أراضي محافظة صلاح الدين، الأمر الذي يعني أنها يمكن أن توفر سلة غذائية كاملة لأبناء المحافظة والمحافظات المجاورة.

الثروة الحيوانية: غالبا ما ينتعش قطاع الثروة الحيوانية حيثما وجد القطاع الزراعي و المراعي العشبية، و في صلاح الدين ثمة ثروة حيوانية تقدر بنحو ثلاثمائة وثلاثين ألف رأس من مختلف الحيوانات بحسب إحصائيات أجريت عام ٢٠١٣ مع وجود المراعي الطبيعية بمساحة مليون وسبعمائة ألف دونم.

الثروة السياحية: وذلك لوجود مواقع أثرية وتاريخية يمكن أن يقصدها الزوار والسياح من داخل العراق وخارجه، ومن بينها المدينة الأثرية في سامراء بملويتها الشامخة، وقلعة الشرقاط الأثرية، وتلال عديدة تعود إلى حقب تاريخية مختلفة، فضلا عن المعالم التاريخية الإسلامية وعلى رأسها ضريح الإمامين العسكريين عليهما السلام، حيث يزورهما ملايين المسلمين سنويا.

المعالم الأثرية والتاريخية والدينية

تحفل محافظة صلاح الدين بمعالم تاريخية وأثرية مهمة ومميزة، ولا يمكن أن ننطلق بالحديث عن معالم المحافظة إلا من سامراء المقدسة، من ضريح الإمامين العسكريين عليهما السلام، وأن نقف تحت ظلال سموهما وأريج خلودهما، حيث القبة الذهبية التي كانت كما لا تزال أكبر القباب الإسلامية في العالم، أما الحديث عن تاريخ بناء الحضرة العسكرية ففيه أن الإمام علي الهادي عليه السلام أقام في سامراء أثناء فترة المتوكل العباسي، وحين توفي دفن في داره وبعدها دفن رجالات العائلة ونسائها في هذه الدار، وأثناء الحوادث والتطورات أيام المعتمد العباسي هاجر الناس من سامراء و تحولت إلى مدينة شبه مهجورة، ولكن بقي بعض محبي آل البيت يرعون الدار التي تحولت إلى مزار مقدس، حيث يرقد فيها اثنان من الأئمة عليهما السلام، وفي عام ٣٣٢ هـ قام ناصر الدولة الحمداني، وهو الأخ الأكبر لسيف الدولة الحمداني صاحب الإمارة الحمدانية في

الموصل قام برفع قبري الإمامين و زينهما بالأسفار وبنى عليهما قبة صغيرة، ويمكن القول بثقة تامة أن وجود مرقد الإمامين العسكريين هو من أبقى سامراء قائمة كمدينة حتى اليوم بعد أن هجرها أهلها و كادت تندثر تماما، وقد شيد ناصر الدولة الحمداني بعض البيوت حول الضريح المقدس لمن يرغب في رعاية شؤون الحضرة الطاهرة و ليقيم من يود الإقامة في سامراء، وزاد أن أقام سورا حول المدينة.

بعد ذلك بخمسة أعوام أكمل معز الدولة البويهى ما بدأه الحمداني، و عدّل من شكل البناء فمنحه شكل المزار و وضع صندوقا خشبيا على القبر، وعمر القبة الشريفة. ثم توالى عمليات الإعمار والتطوير، وكانت عملية التجديد الأبرز ما قام به الشاه ناصر الدين القاجاري الذي أمر بعمل شبك مطلي بالذهب للضريح كما طليت القبة للمرة الأولى بالذهب.



وتوجد في سامراء العديد من المراقد الدينية المطهرة كقبر السيدة نرجس والدة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشرف، والسيدة حكيمة بنت الإمام الجواد «ع»، ومرقد أبي هاشم داود من ذرية عبد الله بن جعفر، ومن المعالم الإسلامية الأخرى في المحافظة:

مرقد السيد محمد (سبع الدجيل): ويقع هذا المرقد الشريف في قضاء بلد، ويعود لمحمد بن الإمام علي الهادي عليه السلام، وهو أكبر ولده، وكان جليل القدر ذا مهابة و وقار، حتى ظن البعض أنه الإمام من بعد أبيه، توفي عام ٢٥٢هـ. و يطلق العامة عليه تسمية سبع الدجيل، لما يروى من حكايات ومشاهدات متواترة عن وجود أسد رابض عند قبره كان يراه الزائرون إليه، وقيل سمي بذلك لكراماته

المشهوره ولخشية قطاع الطرق من التعرض لزواره.

مرقد السيد محمد الدري: ويقع في قضاء الدور، ويرقد فيه السيد محمد بن الإمام الكاظم عليه السلام، قام الإرهابيون بتفجيره في عام ٢٠١٤، ويعود تاريخ بنائه إلى سبعة قرون خلت، وذلك في العصر العباسي. وقد تميز بشكل معماري خاص يعود إلى الطراز السلجوقي.

مزار الأربعين ولي: يعود هذا المعلم الذي يقع في وسط تكريت إلى القرن الخامس الهجري، وهو يضم قبور أربعين من جنود الجيش الإسلامي الذي قام بفتح المدينة، وقيل انه يضم أيضا قبر الصحابي عمرو بن جندب الغفاري، وفي أيلول من عام ٢٠١٤ قام الإرهابيون الذين لا دين لهم ولا ملة بتفجير هذا الصرح الجميل والمزار المقدس لدى أبناء المحافظة.

أمام المعالم الأثرية فهي كثيرة وبارزة في المحافظة، ومنها:

الملوية: وهي من المعالم البارزة والمشهورة، والملوية عبارة عن مئذنة للجامع الكبير الذي بناه المتوكل عام ٢٣٧هـ، ومن قام ببنائها وتصميمها هو معماري عراقي كلداني، اسمه دليل يعقوب. والملوية ذات طراز وشكل غريب وغير مألوف في بناء المآذن، وتبدو على شكل زقورة ملتوية خمس مرات، وقد ألهمت بعض المصممين في العصر الحديث لتصميم بنايات مشابهة كما حدث في اليابان وقطر، كما قلدها المصريون في عهد المماليك وبنوا مئذنة حلزونية لجامع ابن طولون.

قصر العاشق: وهو قصر يعود للعهد العباسي، يقع على الضفة اليمنى من نهر الإسحاق، بناه المعتمد العباسي، وهو يتألف من طابقين وتحيط به ساحة واسعة، وأمام القصر تبدو آثار بركة ماء كبيرة.

مدينة آشور التاريخية: وتسمى أيضا بقلعة آشور أو قلعة الشرقاط، وهي من الآثار التاريخية المهمة للتاريخ الإنساني والحضاري، وتعود إلى مدينة آشورية قديمة بنيت قبل أكثر من ٣٠٠٠ سنة، و قد أقدمت أيادي الجبن والدناءة على تفجير آثار هذه المدينة في أيار ٢٠١٥.

الحوزة العلمية في سامراء

مرت سامراء بمرحلة ذهبية من تاريخها المعاصر حين تحولت وبشكل سريع ومفاجئ إلى مركز علمي كبير في العالم الإسلامي، وقد جاء هذا الحدث بعد انتقال السيد المجدد محمد حسن الشيرازي إليها، وقد بذل على الفور جهوده في سبيل بناء مدرسة علمية كبيرة في هذه المدينة التي تحتضن مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام، وقد نجح السيد الشيرازي في إقامة أوثق روابط المحبة والاحترام مع شيوخ القبائل وأبناء سامراء، الذين بادلوه المحبة والاحترام والتبجيل لمقامه العلمي، وسرعان ما توافد الأساتذة والطلاب إلى المدينة، وبرزت أسماء مهمة كمحمد تقي الحائري وأغا برزك الطهراني ومحمد الأصفهاني، وغيرهم الكثير.

ولا بد من الإشارة إلى أن استعادة سامراء لوهجها وموقعها المهم أثار حفيظة الاحتلال العثماني، الذي روج أن التشيع ينتشر في مناطق السنة، وهذه السياسة في زرع النعرة الطائفية كانت ولا تزال ديدن القوى المحتلة و الجهات الخارجية التي لا تريد الخير للعراق وأهلهم، ولذلك عمدت السلطات العثمانية إلى فتح مدارس موازية للحوزة العلمية للسيد الشيرازي في سامراء، بنية غير مخلصنة وليست لأجل أبناء المدينة. ولكن هذه السياسة لم تفلح في إعطاء أية نتائج، فمن جهة استمرت مدرسة الشيرازي في عملها وشهدت توافد أعداد إضافية إليها من مختلف بقاع العالم الإسلامي، ومن جهة أخرى كانت علاقات المحبة والانسجام قد ازدادت قوة بين أهالي المدينة و السيد الشيرازي وطلبة العلم في مدرسته، وكان التواصل مستمرا بين الطرفين دون أن يتأثر بالدعاية العثمانية.

وترسخ موقع وأهمية سامراء وحوزتها العلمية بعد أن كان للسيد الشيرازي موقفه القوي في قضية التبناك أو التبغ الإيراني، و كان ذلك بعد أن أقدمت حكومة الشاه على إعطاء امتياز خاص لبريطانيا للتصرف بالتبغ داخل البلاد فأصدر الشيرازي فتوى بتحريم استخدامه، ثم ألحقها بفتوى أخرى هدد فيها بإعلان الجهاد ضد سلطة الشاه إن لم تلغ الاتفاق مع الحكومة البريطانية، الأمر

الذي حفّز الجماهير الإيرانية إلى التظاهر وحدثت أعمال عنف واضطرابات واسعة دفعت الحكومة الإيرانية إلى إلغاء الامتياز.

أعلام وشخصيات

كان لمحافظة صلاح الدين شخصياتها ومبدعوها، وفي حقول معرفية وأدبية شتى، ومن هؤلاء نذكر الأسماء التالية:

القاص فرج ياسين والشاعر نعمان ماهر الكنعاني، والباحث والأديب سامي ندا جاسم، والمؤرخ عبد العزيز الدوري والدكتور حمد الدوخي، والفنان الموسيقي زياد الوادي، والروائي حسن مطلق، والروائي حمد صالح، ومن أدباء المحافظة الرواد علي علاء الدين الأكوسي واحمد شوقي الأكوسي والشاعر الضرير الملا ياسين، و إسماعيل حقي وصالح عبد القادر والشيخ عبد الكريم الدبان، وأمجد الناصري وعبد الكريم الأكوسي وعيسى نجرس، وسيد عبد الأكوسي ومحمد صالح وحسام الأكوسي واحمد مطلوب، واحمد خطاب العمر وعلي الغوار ورشدي العطية. وكذلك الشعراء والأدباء شاکر محمود حبيب و وليد دحام وحبيب السامر وحبيب الدوري وفيصل عبد الوهاب وجاسم الدوري وسلوى ياسين وعاصم البياض وحلمي حميد يوسف وسعد الصالحي و سلمان فيصل.

وقد تغنى العديد من هؤلاء الشعراء بحب العراق و تاريخه و وحدته، واخترنا هنا هذه المقطوعة للشاعر شاکر محمود حبيب يتغنى واصفا فيها العراق وطن الحضارة والزهو والمحبة، فيقول:

أرض حملنا مهدها وتربعتُ
بين القلوب تحفها الأعمار
أرض السواد من العيون سوادها
ومن القلوب ربيعها أنوار
لبست ثياب العزّ ترفل هيبه
بخطى الحضارة أقبلت عشتار

يروى أحاديث السنين بخدها
 ورد، وتُنشر بالشذى الأخبار
 يتبسم الصمت الجميل بثغرها
 وبعينها تتكحَّل الأسرار
 حسناء غنت للحياة بحسنها
 وتزيَّنت في لحنها الأوتار
 تتهامس الكلمات بين شفاهها
 وتفوح من همساتها الأزهار
 كرم الحنان يضمُّها وبصدره
 قلب تدقُّ بنبضه أسرار



محافظة كركوك

واحدة من المحافظات البارزة ذات الأهمية والتي تعكس واقع التعددية العراقية، حتى اعتبرت وبكل جدارة أنها عراق مصغر لما تضمه وتحفل به من تنوع قومي وديني وإثني، وكركوك مدينة عريقة لما تتوفر عليه من آثار ومعالم قديمة، وهي عبر تاريخها كانت حدا فاصلا بين الإمبراطوريات الكبرى طوال

تاريخ العراق والمنطقة منذ العهود القديمة، ولهذا شهدت مواجهات وصراعات لموقعها الاستراتيجي الهام.

وقد اختلف في معنى وأصل تسمية كركوك، وأشيع الآراء أنها مشتقة من (كركر) والتي تعني باللغّة السومرية النار الأزلية، في إشارة إلى آبار النفط التي كانت مشتعلة منذ عصور قديمة. وثمة من يذهب إلى أن أصل اسم كركوك مأخوذ من كرخاد بيت، بمعنى القلعة أو المدينة المحصنة.

تمتاز المحافظة بملامح التعايش والإخاء بين متخلف مكوناتها، وقد بدا ذلك جليا طوال تاريخها، وحتى بعد سقوط النظام البائد تمتعت بقدر معقول من الاستقرار برغم الظروف والتحديات الصعبة، و انفتاح المحافظة على مناطق شاسعة تعشش فيها بعض الزمر الإرهابية، فلم يكن لهؤلاء الإرهابيين بعد فشلهم في النيل من ملامح التعايش والانسجام سوى استخدام وسائلهم الأكثر دناءة وهو تفجير السيارات المخففة، فقد مرت بالمحافظة تحديات أمنية خطيرة بفعل هذه التفجيرات التي لم تميز عربيا عن كردي أو تركماني، ولا مسيحي عن سني أو شيعي.

الموقع الجغرافي

تقع محافظة كركوك في الشمال الأوسط من البلاد، تحدها من الشمال محافظة



أربيل ومن الشرق محافظة السليمانية، أما من الجنوب فمحافظة ديالى وصلاح الدين، وقد كانت كركوك لواء في بداية تأسيس الدولة العراقية وتبلغ مساحتها عشرين ألف كيلومتر مربع، بيد أن تلاعب النظام بالحدود الإدارية لأغراض سياسية و دوافع أخرى قلص مساحتها كثيرا، بعد أن ألحقت أجزاء

منها بمحافظات أخرى، كقضاء كفري وجمجمال و الطوز. و بالنسبة للتضاريس

الطبيعية فركوك يقع جزء منها في منطقة جبلية ذات ارتفاع يتراوح بين مائة ومائتي متر، وهناك سلاسل جبلية وتلال واطئة وسهول واسعة. تقسم محافظة كركوك إداريا إلى أربعة أقضية وهي: قضاء كركوك: يعد مركز المحافظة، وقد استحدث في عام ١٩٣٧، ويعد القضاء مركزا تجاريا واقتصاديا تتركز فيه المعامل والمصانع والأسواق المهمة، ويبلغ سكانه حوالي خمسمائة ألف نسمة. قضاء الدبس: يقع إلى الشمال الغربي من المحافظة، وقد تأسس هذا القضاء حديثا، فقد ظهر كناحية صغيرة في خمسينيات القرن الماضي، وهو من المناطق ذات الأرض الخصبة، حيث تبلغ مجمل الأراضي الزراعية في مركزه مائة ألف دونم، ويبلغ عدد سكانه ١٢٥ ألف نسمة. يوجد في القضاء حقلان للنفط، ومن أبرز عشائر الحمدان والبسحاق والجبور والبوتميم. ويعد القضاء منطقة سياحية جميلة خاصة لوجود نهر الزاب والطبيعة الخلابة التي تحيطه. قضاء الحويجة: وهي من الأقطبية المهمة في محافظة كركوك وتشتهر بكونها منطقة ريفية زراعية تكثر فيها زراعة الحبوب والمحاصيل الحقلية، بل هي أشهر أقطبية العراق بإنتاج الخضروات. ويبلغ سكانها بحسب تقديرات عام ٢٠١١ حوالي أربعمائة وخمسين ألف نسمة. ومن نواحيها المهمة الزاب والرشاد والرياض. قضاء داقوق: يقع هذا القضاء على بعد ٤٥ كم من مركز كركوك، وتقطنه أغلبية تركمانية، وهو من المناطق الزراعية وتكثر فيها تربية الحيوانات، ويشتهر أهلها بإتقانهم للحرف اليدوية كالنسيج وصناعة السجاد والفخار، و يوجد فيها مقام الإمام السجاد «ع» الذي زاد من أهمية القضاء الدينية والسياحية. يقطن القضاء أكثر من ١٠٠ ألف نسمة.

التركيبة السكانية و الطابع الاجتماعي

من أكثر التراكيبات السكانية تنوعاً و غنى، و من أشدها تعبيراً عن أنموذج التعايش والإخوة بين العراقيين، يشخص هذا الواقع سماحة السيد عمار الحكيم بالقول: (إننا نرى في كركوك عراقاً مصغراً في تنوعه ومزيجه الطيب، ونعتقد أن الحلول التوافقية التي ترضي جميع الأطراف يجب أن تأخذ بنظر الاعتبار مصالح الجميع، هذه الحلول قادرة على معالجة مسائل أساسية في كركوك أو أي ملف من الملفات الساخنة في بلادنا. فالعلاقة مع الإخوة الكرد ليست علاقة طارئة وليست علاقة مصلحة، إنها علاقة تاريخية، ونظرية الشراكة الحقيقية التي طرحها شهيد المحراب قبل ثلاثين سنة جعلت منه ناصراً للسنة وناصراً للكرد)^{١٤}. يبلغ عدد سكان المحافظة بحسب تقديرات وزارة التخطيط العراقية مليوناً و ثلاثمائة ألف نسمة. وتتوزع انتماءات أبناء المحافظة، فبحسب إحصاء عام ١٩٥٧م يتشكل سكان كركوك من العرب والكرد والتركمان و السريان و بعض اليهود العراقيين. وتبدو نسبة المكونين العربي والكردى متقاربتين بحسب هذا الإحصاء، أما في إحصاء ١٩٩٧ فزاد عدد المكون العربي، ويبدو أن ذلك ناتج عن ضم مدن وقصبات كانت تابعة لبعض المحافظات المجاورة وإلحاقها بكركوك. وبرغم ما يبدو حدة في الصراع واللهجة السياسية خلال السنوات التي أعقبت سقوط النظام البائد حول كركوك وإشكاليات إدارتها، إلا أن هذا الصراع ليس له واقع على المجتمع المتعايش منذ حقب طويلة، فالعلاقة التي تسود بين المكونات العراقية في هذه المحافظة الكريمة إنما هي علاقة التعايش والانسجام و الألفة، فليس سهلاً على العربي أن ينكر عشرة الكردي جاره و صديقه و زميله في العمل، وليس للكردي أن يفعل غير ذلك كما هو شأن التركماني، إنها طبيعة الحياة الإنسانية، التي تبنتني على التعايش والتعاون والصلاة الطيبة، والتفاعل الإيجابي مع الآخرين.

أما من ناحية الطابع الاجتماعي العام، فأغلب مناطق كركوك ذات طابع زراعي وعشائري، ويبدو ذلك واضحاً في أفضيتها الرئيسية لاسيما الحويجة و الدبس

وداقوق. حيث تسود التقاليد الأصيلة والأعراف التي يمتاز بها المجتمع العراقي بصورة عامة. وتسكن هذه المناطق عشائر عربية هاجرت إليها قبل قرون طويلة من مناطق الجزيرة العربية، وبعضها كان له قدم سبق في إنشاء بعض مدن المحافظة، وعلى سبيل المثال فإن قضاء الحويجة تأسس نتيجة لنزول وتجمع أبناء عشيرة العبيد، ولا يزال يستخدم العديد من أبناء المنطقة اسم حويجة العبيد، ومن عشائر كركوك العربية عشيرة العبيد وشمر وآل بو مفرج والحمدانيين والحديديين والجحيش وغيرهم العديد من العشائر العربية الأصيلة. وأما أبرز العشائر الكردية فهي عشيرة البرزنجية والجاف والداودية وعشيرة زنكنة وشوان وعشيرة الطالبان وعشيرة خانقاه وعشيرة الكاكائية وغيرها. ومن العشائر التركمانية العريقة عشيرة البيات وعشيرة الصالحي، وعشيرة حسكلي وعشيرة إيلخاني.

الثروات الاقتصادية

لكركوك ثروات هائلة ومقدرات عدة، و يأمل العراقيون بمختلف مكوناتهم أن تكون ثروة كركوك ولاسيما النفط مصدرا للرخاء والاستقرار و المستقبل الزاهر بعيدا عن الصراعات و الخلافات السياسية غير المثمرة، و من الثروات المتوفرة لهذه المحافظة العراقية العريضة:

الثروة النفطية: وهي أبرز ثروات المحافظة، وقد استثمر العراق النفط لأول مرة في كركوك عام ١٩٣٤م، وتضم كركوك حقولا نفطية أهمها حقل بابا كركو، وتقدر احتياطات المحافظة بنحو ١٠ مليار برميل، ومما تجدر الإشارة إليه هو أن نوعية النفط في حقول كركوك قد تردت من حيث جودتها بفعل سياسات النظام البائد الذي كان يعيد ضخ الفائض إلى داخل الآبار النفطية الأمر الذي رفع من لزوجة النفط داخلها. وأشهر حقول النفط في المحافظة حقل بابا كركو و باي حسن وجمبور وآفانا. ويصاحب النفط المستخرج أطنان من الغاز الطبيعي الذي يشكل ثروة كبيرة أيضا للمحافظة.

الثروة المعدنية: تتوفر في أراضي المحافظة معادن ثمينة تدخل في صناعات

مختلفة، ولعل أشهرها الكبريت الذي يستخرج بفصله عن النفط في معمل استخلاص الكبريت في المحافظة، وتبلغ الطاقة الإنتاجية من الكبريت ٣٨٠ طن يوميا، بالإضافة إلى الكبريت يوجد المرمر و الملح و الجص وكذلك الطين الحر المستخدم في صناعة الفخارن وكذلك الرمل والحصى الذي يعتبر من أجود الأنواع لاسيما في قضاء داقوق .

الثروة الزراعية: تشتهر محافظة كركوك منذ زمن بعيد بزراعة الذرة الصفراء والقطن، وتعتبر المحافظة الرائدة في إنتاج هذين المحصولين، حيث تبلغ المساحة المزروعة بالذرة حوالي ٨٦ ألف دونم، وأما بالنسبة للقطن فقد عاد ارتفع إنتاجه المحافظة منه بعد تراجع في حقبة التسعينيات، ففي عام ٢٠١٣ بلغت المساحة المزروعة ٥٠ ألف دونم.

الثروة الحيوانية: يعتبر القطاع الحيواني في محافظة كركوك من القطاعات النشطة، و يمثل ثروة مهمة في اقتصاد أبناء المحافظة، حيث تشتهر بترب المواشي المختلفة من الأغنام والأبقار والجاموس والماعز، و في إحصاء أجرته دائرة الزراعة في المحافظة لعام ٢٠١٤ بلغت أعداد الأبقار والجاموس في المحافظة أكثر

من ٨٤ ألف رأس، أما عدد الماشية من الأغنام والماعز فبلغت أكثر من ١٨١ ألف رأس.

الثروة السياحية: تتوفر المحافظة بمركزها وأقضيته على عدد كبير من المواقع والمعالم الأثرية والتاريخية والمناطق السياحية ذات الطبيعة الجميلة والرائعة، ومن بين آثارها المعروفة البارزة قلعة كركوك والصور العباسي والقشلة ومنازة داقوق وغيرها.



جانب من قلعة كركوك الأثرية

المعالم الأثرية والتاريخية والدينية

بقدر ما تحفل به محافظة كركوك من ثروات مادية نفطية وغير نفطية فهي كذلك غنية بالتاريخ والحضارة التي تمتد إلى عصور ما قبل التاريخ، ولهذا تتعدد فيها المواقع الأثرية التاريخية والمرابد الدينية و المعالم السياحية، التي تشكل بمجملها ثروة روحية من جانب ومادية من جانب آخر، لكونها معالم بارزة ومهمة تجذب السياح العراقيين والأجانب، وبحسب مسؤولين في المحافظة فإن كركوك تحتوي على أكثر من ٧٠٠ موقع أثري، وسنشير هنا إلى أهم تلك المعالم.

أولا/ المعالم الأثرية

وتتضمن عددا من أبرز معالم مدينة كركوك و مناطقها الأخرى، ومنها ما يلي:



قلعة كركوك: وهي معلم حضاري بارز في المحافظة، يقع هذا المعلم الشاخص وسط مركز قضاء كركوك، وهي تعود إلى العصر الآشوري، و تقع في مستوطن قديم يذكر في الألواح البابلية تحت اسم (أرابخا)، و القلعة بناها الملك الآشوري آشور ناصر بال، في عام ٨٥٠ قبل الميلاد، وقد بنيت على تل يرتفع عما يحيطه من سهول بحوالي ١٢٠ مترا. تضم القلعة مرابد دينية مقدسة منها مقام النبي دانيال ومقام النبي عزيز، وكذلك تضم الكنيسة الحمراء التي تعتبر معلما بارزا ومميذا في القلعة.

قلعة جرمو: تعتبر جرمو لدى الدارسين أقدم مستوطن بشري في العصر الحجري، وقد عرف سكانها الزراعة، وتقع شرق كركوك، يعود تاريخ استيطانها إلى سبعة آلاف عام، واكتشفت القلعة الأثرية هذه في الأربعينيات من القرن المنصرم، وقد عثر فيها الباحثون على أدلة تؤكد أنها أقدم مكان عرف الزراعة وتربية الماشية، و

وُجِدَت أدوات مصنوعة من الحجر كالمنجل و الملاعق وأدوات حرث الأرض وغيرها. هذا فضلا عن عشرات المواقع والتلال الأخرى التي تم اكتشافها، وتعود إلى حضارات العراق القديمة، حيث توجد مواقع أثرية قديمة تم اكتشافها في تل عرب كومبت وتل قرجة الأثري، التي اكتشفت فيهما آثار مختلفة خلال الفترة الماضية. كما توجد مواقع أخرى في مناطق داقوق والحويجة وغيرهما. قشلة كركوك: وهي من المواقع التاريخية التراثية التي أقيمت في العهد العثماني، وكانت قمرا عسكريا للجيش العثماني، بينت في القرن التاسع عشر، وتبلغ مساحتها أكثر من عشرين ألف متر مربع، ومعنى القشلة أي الثكنة التي يجتمع فيها الجنود.

ثانيا/ المراقد الدينية

أما بالنسبة إلى المراقد والمزارات الدينية فهي كثيرة جدا، فكركوك كبقية المحافظات العراقية تشترك معها بهذا الملمح الأصيل المعبر عن هوية الشعب العراقي و الروابط المشتركة التاريخية والدينية بين فئاته ومكوناته كافة، ومن هذه المعالم الدينية ما يلي:

مقام الإمام زين العابدين «ع»: ويقع في قرية قرب داقوق على بعد ٣٠ كم من مركز كركوك، و يضم في داخله مقام الإمام زين العابدين بن علي عليهما السلام، مع ثلاثة قبور تعود إلى العلويين الذين استشهدوا أثناء الغزو المغولي للعراق، ويتوافد على المزار الآلاف من المواطنين من كل المذاهب والقوميات في المحافظة، و يبدو واحدا من ملامح التعايش والمحبة بين أبناء كركوك.

جامع النبي دانيال: وهو من المعالم الشاخصة في المدينة، ويقع في منطقة القلعة، قلعة كركوك، و يعتقد أن هذا المكان يضم جثمان النبي دانيال عليه السلام، وقد كان في الأصل كنيسة مسيحية ثم بني فوقها جامع في العصر الإسلامي، و يتكون الجامع من قبتين ويمتاز بمنارته الأثرية، ويمتد الجامع على مساحة ٤٠٠ متر مربع.

مرقد السيد محمد باقر البيطار: وهو سيد جليل القدر يعود نسبه إلى الإمام زين

السجاد عليه السلام، و يلقب بالبيطار وهو من رجال القرن العاشر الهجري، ويعتبر جد أبناء البيطار من آل بو سراج و آل بو شاهر وآل بو نجم. ويقع مرقدده في قضاء داقوق.

مرقد السيد الهادي: ويقع في المدخل الشمالي لقضاء داقوق، ويعود هذا المرقد الشريف إلى السيد الهادي بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وفي داخل المرقد ضريحان أحدهما للسيد الهادي والآخر لابنته السيدة مريم، ويعود وجود هذا المرقد إلى العهد العباسي.

كاتدرائية أم الأحران: وهي أقدم كنيسة في محافظة كركوك، يعود بناؤها إلى عام ١٨٦٢م، وتقع في قلعة كركوك، ومع أن الكنيسة اليوم مجرد أطلال إلا أنه يقصدها العديد من المسيحيين و تقام عندها بعض الفعاليات الثقافية لكونها معلما من معالم التعايش والأخوة بين أهالي كركوك.

شخصيات في الذاكرة

تميز أبناء محافظة كركوك بشتى انتماءاتهم في كل الحقول والمجالات، فبرز منهم السياسيون والأدباء والمفكرون والشعراء والفنانون.

فمن الشخصيات السياسية لاسيما تلك التي مثلت كركوك في العهد الملكي نذكر نشأت إبراهيم، ومحمد سعيد الوندائي ومحمد علي قيردار، وسليمان فتاح باشا، ومحمد حبيب الطالباي، وجميل بابان، وغيرهم..

وعلى مستوى الفكر والثقافة يبرز اسم الكاتب المعروف فلك الدين كاكائي، والعلامة الأستاذ عطا ترزي باشي، وإسماعيل الروز بياتي، و الكاتب إسماعيل علي، والباحث فائق مصطفى والأديب فريد محمد زنكنة وغيرهم الكثير.

كما تميزت أسماء شعرية أسهمت في تطور الحركة الإبداعية في المحافظة والعراق ككل، وممن نشير إليه هنا الشاعر سركون بولص، والشاعر مؤيد الراوي، والشاعر الروائي فاضل العزاوي، والشاعر جان دمو، والشاعر صلاح فائق، الشاعر أشرف داغلي، و جليل محمد شريف، و الشاعر أحمد قوشجي، والشاعر مرشد

الزبيدي والشاعر محمد الصالحي والشاعر صلاح بهلول وغيرهم كثيرون.
كما على مستوى الفنون السردية يبرز القاص سنان سعيد، والروائي عبد القادر
الحمداني والدكتور صبري عبد الجبار، والدكتور عبد اللطيف البياتي، والدكتور
عبد الله الحمداني والفنان المسرحي علي السعيد، والكاتب المسرحي علي
ريسان والإعلامي صباح موسى.

ومن المحافظة برزت مبدعات كثيرات لا يمكن إغفال الإشارة إليهن، كالفنانة
التشكيلية هيلدا سفيرة الفن العراقي في الخمسينيات، وإيمان عز الدين أول
مخرجة أوبريت، و الممثلة درخشان محمد التي كانت تمثل بكل لغات كركوك
العربية والتركمانية والكردية.

و ارتأينا هنا اختيار هذه القصيدة المعبرة للشاعر محمود ملا علي يتغنّى فيها
ببغداد وتاريخها وملاحمها، وأدناه الترجمة العربية للقصيدة:

بغداد قمة الحسن..

.. وزهوة الكون

زهرة الكبرياء، وقلب السماء

بغداد..

كاسرة الأغلال دوما

ومأوى الجيش المظفر

بغداد الحق..

هي الزوراء

ودار السلام، وفيحاء الفردوس

بغداد، درة العروش

ومجد الآتي والتليد

(الكاظمين الغيظ) سمات أهلها منذ الأزل

بغداد..

نبع الحياة والخلود للموتى

في نهرها العطايا والمنايا والحياة

بغداد، فردوس الحضارات..

وزهرة المدن

روضه التاريخ وملاد المستجير في المحن

من ذا الذي لا يهيم بها عشقا..

... كالمجنون

مادامت هي (ليلي) في صحراء الهيام؟

موقف تيار شهيد المحراب من قضية كركوك

برز ملف محافظة كركوك بعد التغيير السياسي كواحد من الملفات التي اصطبغت إشكالية تتعلق بإدارتها بين المركز والإقليم، حيث يرى الإخوة الكرد أنها ذات غالبية كردية وبالتالي فمن حقهم إلحاقها بالإقليم إداريا، فيما تختلف وجهات النظر للمكونات الأخرى من العرب والتركمان.

إن لهذه القضية أهمية بالغة وأبعادا مهمة، وموضوعها كما يصفه سماحة السيد عمار: (يمثل واحدا من الملفات الأساسية والحساسة التي تشغل المواطنين العراقيين في مختلف المحافظات العراقية)، وقد انطلقت رؤية تيار شهيد المحراب حول هذا الملف بناء على قضايا أساسية، هي:

أولا/ عراق مصغر: إن كركوك بتنوعها و تعدديتها تعتبر عراقا مصغرا ولها خصوصيتها الواضحة، يقول سماحة السيد الحكيم: (لابد من التأكيد على أن كركوك هي مدينة كركوكية عراقية لها خصوصيتها في ظل الخيمة الوطنية العراقية). ولهذا فأية حلول لا بد وأن تنطلق بناء على هذا الأساس، سواء في تقدير طبيعتها والصيغ المناسبة لتطبيقها أو توقيت ذلك أو غيرها من الأمور والإجراءات المتعلقة بملف هذه المدينة، حيث يكون الحل عراقيا بعيدا عن الإرادات الخارجية وبما يصب في مصلحة أبناء المحافظة والعراقيين عموما.

ثانيا/ تاريخ من التعايش والانسجام: وهذه مقدمة أساسية تنصدر جميع القضايا الأخرى، فطبيعة المشكلة في هذه المحافظة لا تتعلق بوجود نزاع وصراع بين

أبنائها المنتمين إلى مكونات مختلفة، لأن التاريخ يقول لنا بشكل واضح وقاطع إن هؤلاء المواطنين على اختلاف انتماءاتهم وتعدد هوياتهم القومية والدينية عاشوا بانسجام ومودة ونشأت بينهم علاقات اجتماعية راسخة عبر قرون متعاقبة، يؤكد سماحة السيد الحكيم على هذه المسألة قائلاً: (تعايش الناس في كركوك على مختلف مكوناتهم وتوجهاتهم القومية والدينية والمذهبية والسياسية، وكان ذلك هو السمة البارزة لهذه المدينة. والتي تعبر عن العراق المصغر وعن الفسيفساء العراقي في تاريخ طويل).

ثالثاً/ إرادة أبناء كركوك: لا يمكن فرض أية حلول بعيداً عن إرادة أبناء المحافظة، فلا يحق لأي طرف أو جهة سياسية مهما كانت أن تنفرد بتقرير مصير المحافظة، وهذا ما أوضحه سماحة السيد الحكيم في أكثر من مناسبة، ومنها تأكده على أن: (كركوك ليست بضاعة تشتري وتُباع في سوق النخاسين، كركوك محافظة عراقية لها تاريخ وحضارة وهي لأبنائها الشرفاء، وهم من يقررون إدارتها والتعامل معها، وليس من حق المجلس الأعلى ولا أية جهة سياسية في العراق أن تملي أو تحدد ملامح التعامل مع هذه المحافظة أو تلك).

رابعاً/ التزام الدستور: إن الحل لتلافي إشكالية العائدية الإدارية للمحافظة لا بد وأن يكون حلاً تحت السقف الدستوري، فالدستور وضع صيغة عامة لحل العديد من القضايا والإشكاليات، وقد ردد سماحة السيد الحكيم في مناسبات عديدة التأكيد على ضرورة التزام المواد الدستورية في حل ملف كركوك، ومما قاله سماحته بهذا الشأن: (أعتقد أننا يجب أن ننطلق من الدستور والقوانين النافذة كأساس لوضع الحل، ونحن في المجلس الأعلى نحمل نظرية السلة الواحدة لمعالجة الأزمات ومن هنا دعونا إلى طاولة مستديرة في الائتلاف الوطني وما زلنا نعتقد أنها المدخل الأساسي والمهم لتجتمع كل الأطراف وتوضع هذه الملفات الساخنة التي ليست من حق طرف واحد أن يبت فيها وإنما هي قضايا وطنية عامة). و يؤمن تيار شهيد المحراب بأن الدستور تناول حلولاً لكل القضايا و نظر إليها بتوازن، كما أنه ضمن حقوق مختلف الأطراف ولم يعطِ لطرفٍ أفضلية أو ميزة على حساب طرفٍ آخر، وبمقتضى ذلك فلا يمكن أن نجزي التزامنا الدستوري،

فياخذ طرف ما ببعض المواد و يتنكر للبعض الآخر، يؤكد السيد الحكيم على ذلك بالقول: (نعتقد أن الدستور هو المرجعية القانونية لهذا الشعب. وحصل على شيء من التوازن في النظرة إلى شتى الملفات في الشؤون العراقية، ففي مكان ما ركز على حق العرب وفي مكان آخر على حق الأكراد أو التركمان.. الخ. فلا يمكن أن نقبل ببعض ونترك بعضاً. أو أن نؤمن ببعض ونكفر ببعض. الدستور هو سلّة متكاملة علينا أن نؤمن به في كل مواده وفقراته)¹⁵.

خامساً/ التوافق الوطني: وفي ظل الأطر العامة للدستور لا بد وأن تنشأ رؤى متقاطعة حول آليات تطبيقه أو دلالات مواده الضمنية، وهو أمر طبيعي في كل الدساتير والمواد القانونية، ومن هنا تبرز أهمية التوافق الوطني على حل أية مشكلة تخضع لمثل هذه الاعتبارات، ومنها مشكلة كركوك الإدارية، والحديث عن التوافق لا يعني التجاوز على الدستور بأي شكل من الأشكال، بل هو عملية تنتج اتفاقاً على معالجة الملف ضمن الإطار الدستوري نفسه، ولهذا يطرح سماحة السيد الحكيم هذا الأمر بالقول: (موضوع كركوك هي واحدة من الموضوعات الأساسية التي تحتاج إلى توافق وطني و إلى ملاحظة المصالح الحقيقية لأبناء هذه المحافظة وللعراقيين جميعاً وللأوضاع الإقليمية والدولية حتى نستطيع أن نضع الحلول والمعالجات الناجحة والمناسبة)، و لا شك أن التوافق معنيّ بإرضاء الجميع و أن لا ينظر إلى الحل على أنه ربح لجهة وخسارة لجهة أخرى، يضيف السيد الحكيم قائلاً: (إننا نرى في كركوك عرافاً مصغراً في تنوعه ومزيجه الطيب ونعتقد أن الحلول التوافقية التي ترضي جميع الأطراف يجب أن تأخذ بنظر الاعتبار مصالح الجميع، هذه الحلول قادرة على معالجة مسائل أساسية في كركوك أو أي ملف من الملفات الساخنة في بلادنا)¹⁶

محافظة نينوى

المحافظة العريقة ذات الإرث التاريخي الضارب، كبرى محافظات الشمال العراقي الحبيب، ومركزها الموصل الحافل بإرثه التاريخي والحضاري، وهي محافظة غنية في واقعها التعددي، يصفها سماحة السيد عمار الحكيم بالقول: (هذه المحافظة

15 - حوار صحيفة الصباح الجديد - بتاريخ 22/7/2010

16 - حوار البيئة الجديدة، مصدر سابق



العزيزة على قلوبنا وأهلها الشرفاء الذين يمثلون التنوع في توجهاتهم القومية والمذهبية والدينية والسياسية، ليعبروا عن باقة الورد العراقية في هذه المحافظة الكريمة، ففيهم العربي والكردي والشبكي والتركماني والشيوعي والسني، وفيهم المسلم والمسيحي والاييزيدي بكل تلاوينهم وتنوعاتهم الطيبة وتعددياتهم القلبية والعشائرية)..

وللأسف فقد وقعت هذه المحافظة الحبيبة المشعة بالألق والمهابة تحت سيطرة الظلام الداعشي في حزيران من عام ٢٠١٤، وفي هذا الوقت تجري تحضيرات تحريرها واستعادتها من قوى الشر والرذيلة.

ونينوى اسم قديم حيث كانت عاصمة للإمبراطورية الآشورية التي وصل نفوذها إلى بلاد الشام ومصر، وكانت واحدة من أعظم الدول وأرفعها شأنًا وقوة.

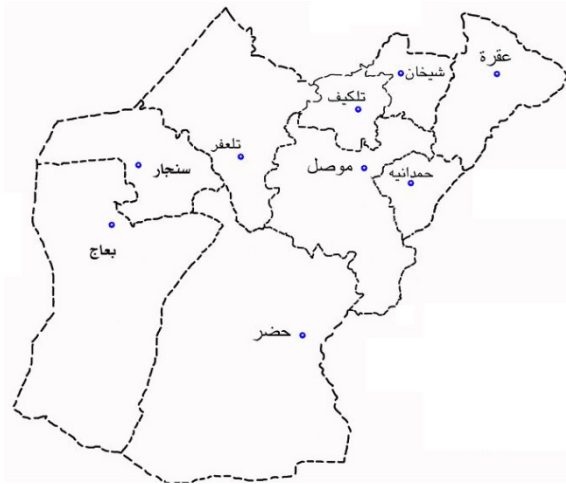
ولا يعرف على وجه الدقة معنى كلمة نينوى، غير أن بعض الآراء ترجح أنه مشتق من اسم الآلهة الوثنية القديمة (نيننا) وهي نفسها الآلهة عشتار. وقيل إن الاسم آرامي مأخوذ من لفظة (نون) أي السمكة وقد ورد في القرآن الكريم ذكر النبي يونس الذي كان يسكن المدينة بوصف (ذي النون).

ويبدو من كتب التاريخ العربية أن نينوى تطلق على موضعين، أحدهما قريب من الموصل والثاني قرية بالقرب من كربلاء المقدسة. وربما كان يطلق على عموم

تلك الأرض الواسعة بين الموصل وكربلاء مروراً بالجزيرة اسم نينوى أيضاً. ويرتبط ذكر مدينة نينوى بالنبي يونس عليه السلام، الذي أرسله الله إلى أهلها لدعوتهم إلى التوحيد ونبت الوثنية وعبادة الأصنام. ومركز نينوى حالياً هي الموصل، والموصل هي الأخرى مدينة عريقة في التاريخ الإسلامي، يقول صاحب كتاب مرصد الاطلاع: (الموصل بالفتح وكسر الصاد، المدينة المشهورة العظيمة، إحدى قواعد بلاد الإسلام، قليلة النظير كبرا وعظماً، وكثرة خلق، وسعة رقعة، باب العراق ومفتاح خراسان، منها تقصد أذربيجان)^{١٧}. وتوصف المحافظة بأمر الربيعين، لطول فصل الربيع فيها قياساً بالمحافظات الأخرى، وتوصف أيضاً بالحدباء لوجود منارة الحدباء الأثرية.

الموقع الجغرافي

تقع محافظة نينوى في الشمال الغربي للعراق، تحدها من جهة الشمال محافظة دهوك ومن الشرق محافظة أربيل وصلاح الدين، ومن الغرب الحدود السورية، و



من الجنوب محافظة الأنبار. تبلغ مساحتها اثنين وثلاثين ألفاً و ثلاثمائة كيلومتر مربع، يخترقها نهر دجلة بصورة متموجة ويقسم مركزها إلى جانبين متساويين تقريباً، الجانب الأيمن والجانب الأيسر. وتنقسم المحافظة إدارياً إلى تسعة أفضية، وهي:

الموصل: وهو من أكبر أفضية

المحافظة ويضم مركز المحافظة، وكما أشرنا فإن الموصل مدينة عريقة، وقيل إن سبب تسميتها أنها وصلت بين الجزيرة والعراق أو بين دجلة والفرات. يبلغ عدد سكان قضاء الموصل طبقاً لإحصاء تقديري عام ٢٠٠٩ حوالي مليوناً وخمسمائة

17 - مرصد الاطلاع، ابن شمائل البغدادي، ج3- ص1333، دار الجيل، بيروت.

وثمانين ألف نسمة، ومن أهم نواحيها القيارة و حمام العليل.
 تلعفر: يقع قضاء تلعفر في شمال غرب المحافظة، ويبعد عن قضاء الموصل ٦٠ كم. ويأتي هذا القضاء بالمرتبة الثانية بعد قضاء الموصل من حيث كثافته السكانية، إذ يقطنه أكثر من أربعمئة وخمس وعشرين ألف نسمة، وتلعفر مدينة قديمة تعود إلى ما قبل ستة آلاف عام، وكانت في العهد الآشوري تعرف باسم (منت عشتار) أي مزرعة عشتار. ولهذا فليس مستغرباً أن تضم المدينة حوالي ثلاثمئة موقع أثري. أما أصل اسمها الحالي فهو (تل أعفر) ويبدو أن ذلك بسبب لون أرضها. ومن نواحي القضاء زمار وربيعة.

الحمدانية: ويقع هذا القضاء جنوب شرق مدينة الموصل على بعد ٣٢ كم، وتسكنه أغلبية سريانية، بالإضافة إلى عدة قرى يقطنها الأحبة الشبك والإيزيديين. وتعتبر مدينة (بغديدا) مركز هذا القضاء، وهي مدينة سريانية عريقة تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة، ويبلغ سكان قضاء الحمدانية حوالي ١٧٥ ألف نسمة. وأبرز نواحي القضاء برطلة و النمرود.

تلكيف: اسم هذا القضاء اسم آرامي عراقي قديم، و (يعني تل الحجارة)، يقع قضاء تلكيف شمال غرب الموصل، وعلى بعد حوالي عشرين كيلومتراً. تقطنه غالبية مسيحية، يتبعون الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية، وبالإضافة إلى ذلك يتواجد أعداد من الآشوريين و العرب والإيزيديين، وكان القضاء عبارة عن قرية كبيرة واسعة بل اكبر القرى المسيحية في منطقة نينوى منذ القرن السادس عشر وحتى منتصف القرن العشرين. يبلغ نفوس القضاء مائة وسبعين ألف نسمة. ومن نواحي تلكيف ناحية وانة و القوش.

شيخان: يقع هذا القضاء إلى الشمال من المحافظة، وقد تحول إلى قضاء ملحق بلواء الموصل عام ١٩٢٤، ويسكنه خليط من الإيزيديين والمسلمين والمسيحيين كأغلب مناطق الموصل ذات التعددية الغنية الرائعة، ولا يقطن في القضاء غير خمس وثلاثين ألف نسمة. ويميز هذا القضاء وجود النفط بمخزون كبير. ويطلق على عموم المنطقة التي تضم أقضية تلكيف و الحمدانية و شيخان اسم (سهل نينوى) والذي يعتبر الموطن التاريخي للمسيحيين في العراق.

سنجار: يقع قضاء سنجار غرب المحافظة قريبا من الأراضي السورية، وتلفظ بالكردية (شَنكَال)، وهي تسمية مركبة من شَنك، ويعني الجميل، و آل و تعني الجهة، أي الجهة الجميلة، ويعود تاريخ هذه المدينة إلى الألف الثالث قبل الميلاد، تبعد سنجار عن مركز الموصل ١٤٠ كم و يبلغ عدد سكانها ٨٨ ألف نسمة وفق تقديرات عام ٢٠١٣، و هم من الإيزيديين و العرب والتركمان وسريان.

البعاج: كان هذا القضاء ملحقا بقضاء الحضر ثم بسنجار قبل أن يتم تحويله إلى قضاء في سبعينيات القرن الماضي، وهو يمتاز بأرضه الزراعية الخصبة وإنتاجه للحبوب لاسيما الحنطة والشعير، وقيل في سبب تسميته هو كثرة العواصف الترابية، أي العجاج، يسكن القضاء بموجب تقديرات عام ٢٠٠٩ حوالي مائة وخمسين ألف نسمة. وتسكن القضاء العديد من العشائر العربية ولهذا فالطابع السائد هو طابع العشائرية والبدو، بما تعنيه من خصوصية في العلاقات الاجتماعية والأعراف والتقاليد السائدة. ويضم القضاء ناحيتين هما القحطانية والقيروان.

الحضر: من المدن التي يعود تاريخ تأسيسها إلى القرن الثاني قبل الميلاد، فيما يقع مركز قضاء الحضر على بعد ٢ كم من أطلال هذه المدينة التاريخية. وقضاء الحضر هو الأكثر مساحة بين أفضية المحافظة ويبعد عن الموصل حوالي ثمانين كيلومتر من جهة الجنوب. ويقطنه خمسون ألف نسمة.

مخمور: تقع على بعد ٥٠ كم من الموصل، و تتوسط بين الموصل والشرقاط و الحويجة، وتضم ثلاثة نواحٍ هي الكوير وقراج وديبكة، يقطنها ١٧٤ ألف نسمة. والقضاء منطقة شبه صحراوية و لكنها تشهد زراعة الحبوب من القمح والشعير بكميات جيدة. ويصنف ضمن المناطق المشمولة بالمادة ١٤٠ المتعلقة بالمناطق المتنازع عليها من حيث سلطتها الإدارية بين المحافظة وإقليم كردستان.

التركيبة السكانية والواقع الاجتماعي

تتمتع محافظة نينوى بواقع يمتاز بتعدديته وتنوعه الخاصين، فهو خليط متجانس معبر عن العمق التاريخي والتعددية الثرة للعراق منذ أقدم العصور، ففي هذه المحافظة العزيزة على قلوب العراقيين جميعا نرى تعددا قوميا ودينيا و مذهبيا، إذ أنها تجمع العربي والكردي والتركماني والكلداني والسريان والشبك، وتجمع الشيعي والسني والإيزيدي والمسيحي، إنها فسيفساء رائعة تدل على مدى التعايش والانسجام والتلاحم بين أبناء العراق وإلا لما قدر لهذا المجتمع ذي الطيف المتعدد من الانتماءات أن يبقى على مر تاريخه الطويل محافظا على لحمته وصلابته، وهو ما أزعج وأثار قوى الشر والظلام التي بذلت كل جهودها الماكرة وحيلها الشيطانية وخطابها المضلل لتنال من وحدة المجتمع الموصلية، في محاولة لإثارة النعرات القومية والدينية والطائفية، ولكنها لم تستطع تحقيق أهدافها وإن كان لشرها أن يطال الكثير من المواطنين الأبرياء كما حصل في سنجار و تلعفر ومخمور.

يتميز المجتمع الموصلية بخصوصياته من حيث العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية وطبيعة العلاقات بين أفرادها، فهو بشكل عام مجتمع متسامح بعيد عن التعصب، والصلوات بين طبقاته و فئاته صلوات ملؤها المودة والمحبة منذ قرون طويلة. ولكن ثمة بعض التفاوت بين مناطقها، ففي وقت نرى قضاء الموصل منطقة متحضرة يحتكم فيه الأهالي إلى موروثهم القيمي والاجتماعي يقابله في مناطق أخرى سيادة للعرف العشائري البدوي كما في البعاج، بينما يغلب الطابع الريفي على مناطق الحمدانية. وهذا التفاوت لا يلغي أن للمحافظة ككل طابعها الخاص، كونها تمثل نقطة انصهار وتلاقٍ بين أقاليم جغرافية لها طبيعتها المختلفة التي تترك أثرها على الحياة الاجتماعية، فالموصل تمثل نقطة التقاء بين الصحراء القاحلة و المناطق الجبلية، كما أنها تمثل نقطة التقاء بين الجزيرة و السهل الرسوبي. ولهذا دور حاسم وكبير في بلورة الطابع الاجتماعي والعلاقات بين أفراد المجتمع، كما أن بعض الخصوصيات الدينية تركت أثرها

أيضا، كما هو الحال بالنسبة للأحبة الإيزيديين و ميلهم للانعزال في مناطق جبلية معينة، ومع هذا فلم يتعرض لهم السكان بسوء بل تعرضوا للأذى من قبل القوى الأجنبية التي احتلت الموصل في بعض مراحلها التاريخية كالاستعمار العثماني.

يبلغ عدد سكان المحافظة زهاء ثلاثة ملايين ونصف، ويتركز أغلبيتهم في قضاء الموصل، وبما يشكل نسبة ٥١% من مجمل سكان المحافظة. و ينتمي فيها العرب إلى عشائر مختلفة أصيلة، نزحت إليها من الجزيرة ومن بعض مناطق العراق الأخرى بعد الفتح الإسلامي للمدينة، فقد استوطنتها بعد دخول الإسلام قبائل عربية معروفة كتغلب ونمر وأياد وقريش وبنو الحارث والعزة والحياليين وغيرهم. و ينتمي اليوم العديد من الموصليين إلى عشائر شمر الجربا والجبور والعبيد وطي و آل بو حمد والجحيش وغيرهم. أما العشائر الكردية فمن أشهرها عشيرة الجاف و الهماوند وعشيرة السندي والسيلفاني.

الثروات الاقتصادية

تزرع محافظة نينوى بثروات طبيعية هائلة ومتنوعة، ويمكن في حال استغلالها الاستغلال الأمثل و توفر العقلية الإدارية الكفوءة أن تحدث طفرة نوعية كبيرة في واقع المحافظة والرقى بحياة ومعيشة سكانها، فضلا عما تسهم به في تقوية الاقتصاد الوطني، ومن أبرز الثروات المتوفرة في نينوى ما يلي:

الثروة النفطية: توجد عدة حقول نفطية في المحافظة، حيث يبلغ عددها سبعة وعشرين حقلا، وما هو مستغل منها أربعة فقط، هي كل من حقل عين زالة الذي يعتبر أهم حقول إنتاج النفط في المحافظة ويعود اكتشافه إلى عام ١٩٣٩م، وحقل القيارة، وحقل بطمة، وحقل صفية. أما الحقول الأخرى فلم يجر استغلالها بعد، ولكن شمل بعضها بجولة التراخيص الرابعة و يؤمل أن يتم تطوير بعض الحقول والوصول بمعدلات إنتاج كبيرة بحلول عام ٢٠١٧، ويقدر المختصون أن نينوى تضم احتياطيها نفطيا يعادل ٣,٢% من مجمل الاحتياطي النفطي للبلاد،

مع احتمالات وجود الغاز في بعض حقولها المكتشفة. الثروة المعدنية: للمحافظة ثروة معدنية مهمة، ويأتي على رأسها معدن الكبريت الذي توجد كميات هائلة منه في منطقة المشراق جنوب الموصل، ويبلغ الاحتياطي من الكبريت في هذه المنطقة حوالي ٢٤٥ مليون طن. الثروة الزراعية: توجد مساحات شاسعة من الأراضي الصالحة للزراعة في عموم محافظة نينوى، وهي غالبا ما تعتمد على الزراعة الديمية، وتعتبر الثروة الزراعية ذات أهمية في الموصل لكونها المحافظة الأولى في إنتاج الحبوب من الحنطة والشعير، حيث تشكل المساحة المزروعة بالحبوب في المحافظة ما نسبته ٤٥٪ من مجمل المساحة المزروعة في العراق. وتبلغ مساحة الأراضي الصالحة للزراعة في نينوى حوالي سبعة ملايين دونم. فضلا عن الحبوب تنتج المحافظة البقول والخضرة المتنوعة.

الثروة الحيوانية: وهي متوفرة كذلك في المحافظة من واقع أنها تملك مناطق صالحة للرعي، ويعتبر سهل نينوى وغرب الموصل من أبرز مناطق الرعي للأغنام والماشية الأخرى، ولهذا لم يكن غريبا أن تشكل أعداد الأغنام بشكل خاص في محافظة نينوى ما يصل إلى ربع عددها في العراق ككل. وقد تعرضت هذه الثروة الكبيرة للتبديد والتعدي بعد أن قامت العصابات الإرهابية بمصادرة أعداد هائلة من الأغنام والمواشي في مناطق شيخان والحمدانية وتلكيف وغيرها، لتبيعها في الأسواق لغرض الذبح بعد سيطرتها على تلك المناطق في حزيران ٢٠١٤. الثروة السياحية: إن اعتدال الأجواء ولطافتها فضلا عن توفر مئات المواقع الأثرية والتاريخية والدينية يجعل من الموصل مدينة سياحية بامتياز. ولكن للأسف فإن تردي الأوضاع الأمنية الذي لازم المحافظة خلال السنوات الماضية لم يتح مجالا لاستثمار هذه الثروة، تضم الموصل مواقع أثرية عدة منها مدينة نينوى القديمة والحضر، فضلا عن مرقد الأنبياء والصالحين المنتشرة في الموصل.

المواقع التاريخية والدينية

تحفل محافظة الموصل بتاريخ عريق ضارب في القدم، ونهضت فوق أرضها الطيبة حضارات عراقية كبيرة وأهمها الحضارة الآشورية، و تتوزع بين أقطبيتها عدد كبير من المواقع الأثرية والتاريخية، ونعرض هنا تعريفا مختصرا بأبرز تلك المعالم:

آثار النمرود: أو آثار (كالح)، وهي مدينة قديمة تأسست في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وتقع بقاياها اليوم على بعد ٣٧ كيلومتر جنوب الموصل، وقد نسفت وجُرفت هذه الآثار القيمة التي لا تقدر بثمن من الناحية الإنسانية والحضارية والعلمية على يد عصابات داعش الهمجية عام ٢٠١٥.

مدينة نينوى القديمة: وهي عاصمة الإمبراطورية الآشورية، محاطة بسور يمتد لمسافة ١٢ كم، ويقع في الجانب الأيسر لمدينة الموصل، والذي قامت داعش بتفجيره بالعبوات الناسفة، كما عاثت فسادا وتخريبا ببعض أهم المعالم الأثرية لهذا الموقع.

قلعة تلعفر: وهي أبرز آثار المدينة ويعود بناؤها إلى القرن الثاني قبل الميلاد في عهد الآشوريين، تبلغ مساحة القلعة ٢٨ كم مربع محاطة بعدة أسوار وتقع في منتصف القضاء. وهي الأخرى تعرضت لتفجير بعض أجزائها من قبل الإرهابيين.

آثار الحضر: تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد، و كانت مملكة تحكمها أسرة عربية بقيادة الأمير سنطروق، وكان يلقب باسم ملك العرب. يقع هذا الأثر النفيس في قضاء الحضر وعلى بعد ١١٥ كم جنوب غرب الموصل. وهي الأخرى تعرضت لهمجية الإرهابيين، فتم نسف معالمها في أبريل ٢٠١٥.

أما أبرز المواقع الدينية في المحافظة فهي:

جامع النبي يونس «ع»: وهو من الآثار التاريخية والدينية البارزة في الموصل، ويحظى بمكانة روحية مميزة لدى الموصليين بمختلف انتماءاتهم، لا يعرف تاريخ نشأته بالضبط ولكنه ذكر في كتب التاريخ في القرن الرابع الهجري، ويقع

المرقد على تل مرتفع ما يجعله معلما شاخصا في المدينة، ولم تستثنه أيادي الشر والجريمة فقامت بتفجيره في تموز ٢٠١٤.

جامع الخضر: وهو من المعالم التاريخية المميزة، يعود إلى منتصف القرن السادس الهجري، ويقع وسط المدينة على ضفاف نهر دجلة، وسمي بجامع الخضر نسبة للحضر عليه السلام حيث مقامه داخل الجامع كما يعتقد أهالي الموصل.

جامع النبي شيت: ويقع في مدينة الموصل، بناه الوالي مصطفى باشا في القرن الحادي عشر الهجري، ولا يوجد ما يثبت صلته بالنبي شيت عليه السلام، بيد أن الأهالي يزورونه من باب التبرك به.

مرقد السيد ذاك الدين الأعرجي: ويقع في قضاء سنجار ويعود نسبه إلى أبي علي عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن الإمام علي السجاد بن الإمام الحسين عليهما السلام. ويسكن العديد من السادة الأعرجية في سنجار فضلا عن تواجدهم في مختلف مناطق العراق ومنها بعض مناطق الموصل.

مقام السيدة زينب الكبرى: ويقع في قضاء سنجار أيضا، ويتوافد عليه آلاف الزوار سنويا، أقدم الإرهابيون الدواعش على تفجيره بعد سيطرتهم على القضاء عام ٢٠١٤.

مرقد أبي عبد الله الحسني: وهو من أحفاد الإمام الحسن عليه السلام، قيل إنه حنبلي المذهب، وقد اشتهر بالتصوف، وكان من أعلامه في القرن السادس الهجري. يوجد مرقد في الموصل قريبا من ملعب الإدارة المحلية.

وهناك العديد جدا من المراقد والمعالم الدينية للسادة والصالحين والأولياء في أفضية الموصل، والكثير منها تعرض للتفجير والتخريب على يد الزمر الإرهابية.

شخصيات في الذاكرة

لرجالات نينوى حضورهم الواضح في شتى المجالات، حيث تحتفظ الذاكرة العراقية بأسماء عديدة من رجال وشخصيات ومبدعي هذه المحافظة العزيزة. فقد برزت شخصيات موصلية عدة في الحقول السياسية والمعرفية والأدبية،

فمن بين أبناء هذه المدينة تقلد أربعة منهم مهام رئاسة الوزراء في العهد الملكي، وهم أرشد العمري، وجميل المدفعي الذي شغل رئاسة خمس حكومات، ومصطفى محمود العمري، ونور الدين محمود، كما أن هنالك عدة شخصيات من المحافظة تولت مهام وزارات مختلفة، ومن بين هؤلاء عبد العزيز العقيلي وصالح الجبوري ودريد الدموجي وأديب عزة الجادر، وغيرهم من الشخصيات السياسية والعسكرية التي لعبت أدواراً مختلفة في التاريخ السياسي العراقي كالعقيد صلاح الدين الصباغ، والعقيد محمود سلمان الجنابي.

أما على الصعيد الفكري والثقافي فإن أسماء المبدعين من هذه المحافظة يخرج عن العد والحصر لكثرتهم، و بوسعنا الإشارة إلى جملة من باحثي وأدباء المحافظة أمثال الدكتور مؤيد مصطفى العمري، وعبد الخالق خليل الدباغ، والمؤرخ والسياسي سليمان فيضي، والدكتور إبراهيم العلاف، والأستاذ واثق الغضنفری، والباحث الفلكلوري كوركيس عواد، وميخائيل عواد، والمؤرخ فضيل الدقاق، وخالد العسلي، وأسماء أخرى عديدة.

وفي مجال الشعر عرفت الموصل منذ نشأتها أسماء شعرية كبيرة، فقد ولد فيها الشاعر السري الرفاء، وأقام فيها الشاعر أبو تمام، وقد أقدمت حثالات داعش الظلامية على تفجير تمثاله المقام في وسط المدينة، كذلك ولد في الموصل الشاعر عبد الباقي العمري من أشهر شعراء القرن التاسع عشر، وهناك قصة طريفة تعبر عن مدى الانسجام والتلاحم بين العراقيين حيث كانت المجالس الأدبية عامرة بروادها من دون وجود أية حساسية تذكر، فقد نظم الشاعر صالح الكواز وهو من شعراء الحلة والذي اشتهر بقصائده الحسينية التي يرددتها الخطباء والدعاة، نظم قصيدة ختمها بالقول:

أخرست (أخرس) بغداد وناطقها- وما تركت لـ (باقي) الشعر من باقٍ
وكان في هذا القول يعرّض بأشهر شاعرين في بغداد آنذاك وهما عبد الغفار الأخرس وعبد الباقي العمري الذي رد بالقول: وأين الباقيات الصالحات؟، وقد كان لعبد الباقي العمري مجلس أدبي في بغداد يحضره الأدباء والشعراء وذات يوم زار صالح الكواز بغداد فاصطحبه بعض معارفه إلى المجلس، فاتخذ مكانه في

نهايته ولم يعرّف عن نفسه، وما أن مر بعض الوقت حتى ردد عبد الباقي هذا الشطر (قيل لي من سما سماء المعالي) ثم راح يبحث عن تأليف عجز له، وحين أعياه الأمر أكمل صالح الكواز مرتجلا عجز البيت: (قلت عيسى سما السماء وأحمد)، حينها صرخ عبد الباقي: أنت الكواز بلا شك، ثم قرّبه منه وحيّاه وأجلّ قدره أمام الحضور.

ومن الأصوات الشعرية المهمة التي ظهرت في محافظة نينوى الشاعر عبد المجيد أغا، والشاعر الأديب محمد حسو، والشاعرة شرقية الراوي، والشاعر عبد القادر العبيدي، والشاعر صديق عقراوي، والشاعرة نجاة نايف، فضلا عن جمهرة من شعراء آخرين كالشاعر وليد الصراف، وعمر عناز، ومعد الجبوري، وعبد الوهاب إسماعيل، وسالم الخباز، وذو النون الأطرقجي، وأمجد محمد سعيد، و رعد فاضل، وغيرهم الكثير.

وقد اخترنا للقارئ هنا قصيدة تتغنّى بحب الوطن للشاعر عمر عناز، بعنوان (رقيم عراقي):

فدتك الخافقات وهنّ نرّف
 ودونك كل ما نهواه حتف
 وحوالك أنفُسُ الشهداء حررّ
 ودمع الأولياء وذلك كشف
 ضفافك والندى وظلال عشق
 لها قبل انفراط الماء عزف
 وبينك وانسكاب الحلم نهر
 من الحنّاء والصبوات جرف
 وحين تنهّدت أغصان روعي
 ورتّق أدمع الأزهار طرف
 بكيت بكيت كان العمر حلما
 يكحل جفنه الوسنان طيف
 ربيعي الملامح كان عشقي

وكل مواسم العشاق صيفُ
 فيا وطنُ بيارقه بروقُ
 تلف الأرض لكن لا تُلَفُّ
 قرأتك في ضمير الأفق شمسا
 لها رمشٌ بأعماقي يرفُّ
 لذاك فأنت منغرسٌ بقلبي
 ولي فوق التمتع ذراك عُرِف
 فقفُ بين الوصول إليك دهرًا
 وبينك كي يضيء اللوح حرف
 ففي قاموس أحرفك المندى
 يشم حضارة الفنجان ضيفُ
 أرقُ وهج انبثاقلك كي يكفوا
 فما تلوي خيوط الشمس كفَّ
 أبي يا أيها الوطن المفدى
 سأصرخ صرختي والنار حلف
 لأهل الراية السماء مهما
 تشامخ فوق هذه الأرض حيف
 لأنهم وإن نحلت جسوم
 وإن شهقت برعشتها الأكفَّ
 فلا والله لن يغضوا لوهن
 فعزمهم على الآفاق عصف
 لأجلهم ووهم يشماغ عزي
 نذرتُ عقال رأسي وهو سقفُ
 لأجلك، للتراب، لصوت أمي،
 لطفل تحت ظل يديك يغفو
 لساقية تخط الريح روحاً

وتنفخها بصدري وهو دفّ
غرستُ هوائك في بستان قلبي
ويا مولاي ها قد حان قطفُ



محافظات إقليم كردستان

تشكل محافظات أربيل والسليمانية ودهوك إقليم كردستان الذي أقر بموجب الدستور العراقي باعتبار العراق بلدا ديمقراطيا فدراليا متعدديا، ويشكل الأخوة الأكراد الغالبية المطلقة تماما في هذه المحافظات الثلاث، و قد تعرضوا كغيرهم من العراقيين إلى صنوف القهر والأذى والاضطهاد، بيد أنهم قاسوا الأمرين طوال عقود سعيا للاعتراف بهويتهم ومنحهم حقوقهم المدنية. وقد كان مبدأ ظهور الإقليم باعتباره كيانا ذا حكم ذاتي هو بيان ١١ آذار عام ١٩٧٠ حيث أجبر النظام آنذاك على الاعتراف بحقوق جزئية للأكراد، بيد أن تبلور إقليم كردستان واقعا كان عام ١٩٩٢م، و انطلقت الخطوة الأولى في يوم ١٩ أيار من ذلك العام الذي شهد تشكيل أول برلمان كردستاني يعبر عن إرادة

الجماهير الكردية. وقد أصدر هذا البرلمان قراره المهم باعتبار كردستان إقليمًا فدراليا ضمن دولة العراق الموحد. وتم بناءً على ذلك إصدار مجموعة من القرارات المهمة التي تؤكد الحكم الذاتي وإدارة الكرد لأموهم بأنفسهم، وبعد ٢٠٠٣ أقرّ الدستور العراقي الوضع الذي تمتعت به محافظات كردستان على أساس كونها ضمن إقليم اتحادي في إطار العراق الفدرالي الموحد.

تشارك المحافظات الثلاث بكونها تقع في منطقة جغرافية واحدة، وهي المنطقة الشمالية التي تتميز بكونها منطقة جبلية باردة وتهطل عليها كميات كبيرة من الأمطار، وتتسم عموم مناطق هذه المحافظات بالطبيعة الجميلة والرائقة، وصفاء الأجواء واعتدال درجات الحرارة في الصيف، كما أن الطابع الاجتماعي متشابه ومتقارب لسكانها، الذين يتكلمون اللغة الكردية كلغة رسمية في الإقليم و لغة رسمية ثانية في عموم العراق، ويجيد الكثير منهم التكلم باللغة العربية، إلا أن فترة التسعينيات وما أعقبها والظروف المصاحبة لها أثر في أعداد الناطقين بالعربية من الأكراد.

وعلى الجانب السياسي فإن المزاج العام في الإقليم ينحى نحو الاستقلالية الإدارية بالتأكيد، بل وثمة نزعة صوب الاستقلال عن المركز تفهم من كونها نتيجة طبيعية لما قاساه الشعب الكردي من ويلات ومحن جسيمة على يد الدكتاتوريات المتعاقبة على السلطة في بغداد. إلا أن الموقف السياسي لقادة وأحزاب الإقليم ما زال يعبر عن رغبته في البقاء ضمن العراق الواحد، والحقيقة أن العديد من المراقبين يرون بأن البقاء ضمن الدولة العراقية هو الخيار الأكثر منطقية وضمانا لمصالح الشعب الكردي، والشعب العراقي بشكل عام، لأن الانفصال والاستقلال لأي جزء سيؤثر بشكل مؤكد على تماسك بقية أجزاء الدولة، وأن الملفات العالقة ستزداد تعقيدا في حال التقسيم والتشردم.

محافظة أربيل

هي عاصمة الإقليم، و تسمى أيضا (هولير) بالكردية، وهي مدينة قديمة تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وأما بالنسبة لأصل التسمية فإنها محرفة عن أربائيلو، المكونة من (أربا) أي الأربعة، و(إيل) بمعنى آلهة، وقد أطلق ذلك عليها الآشوريون لوجود أربع من الآلهة الآشورية في قلعتها. كما يستخدم الأكراد بصورة أوسع كلمة (هولير)، لاعتقادهم بأنها كلمة كردية تعبر عن أصالة هوية أربيل وانتمائها .

تعتبر هذه المدينة رابع أكبر مدينة عراقية بعد بغداد والبصرة والموصل، وهي واحدة من أقدم المستوطنات البشرية في العالم، وتمتلك الآن ثقل كونها عاصمة سياسية لإقليم كردستان حيث مقر الحكومة و وزاراتها، والدوائر المهمة، ومقصد الوفود والبعثات الدبلوماسية.

الموقع الجغرافي

تقع محافظة أربيل في قلب إقليم كردستان، وتحدها من الشمال تركيا ومن الشرق إيران ومن الجنوب الشرقي محافظة السليمانية، ومن الجنوب كركوك، فيما تحدها من الغرب محافظة نينوى، وتبلغ مساحة أربيل ١٣ ألف كيلومتر مربع، وتمتاز أجواؤها بالبرودة القارصة في فصل الشتاء واعتدال درجات الحرارة صيفا، فهي تقع في منطقة المناخ الانتقالي بين البحر المتوسط ومناخ الصحراء. وتقسم المحافظة إداريا إلى الأفضية التالية:

قضاء أربيل: وهو مركز المحافظة ويقع في منطقة منبسطة تحيطها التلال، وتاريخيا فإن هذه المدينة بقيت مستوطنة بالسكان منذ تأسيسها كما أشرنا إليه الذي يعود إلى عصور بعيدة، وهو أمر قلما حدث للمدن العراقية القديمة، ويضم القضاء ثلاث نواح هي عنكاوه و بحركة و شامك، فضلا عن مئات القرى المنتشرة من حولها. و أما بالنسبة لعدد السكان فإن آخر إحصاء لحكومة إقليم كردستان ينص على أن قضاء أربيل يتكون من ١٥٤ ألف عائلة.

قضاء بنصلاوة: ويبعد عن أربيل سبعة كيلومترات، ويقع في ذات المنطقة السهلية المحاطة بالتلال، ويسمى (دشتي هولير) أي سهل أربيل، ومن نواحيه قوشتبه ورزكاري.

قضاء سوران: ويقع على بعد ١٢٠ كم عن مركز أربيل، وضمن المثلث الحدودي العراقي التركي الإيراني، ويعتبر هذا القضاء حديث النشأة نسبياً، فلم يكن حتى الثمانينيات سوى قرية يسكنها خمسة آلاف شخص قامت السلطة الدكتاتورية بتهجيرهم من محال سكنهم في مناطق أخرى، أما الآن فهي مدينة عامرة يقطنها حوالي مائة ألف نسمة، وتقع في منحدر تحيط به قمم الجبال الشاهقة، وتكثر فيها الغابات الطبيعية.

قضاء شقلاوة: أصبحت هذه المدينة قضاء عام ١٩٥٤م، وتقع في شمال شرق المحافظة على بعد ٥٠ كم عن مركز أربيل، والقضاء يتمتع بطبيعة ساحرة وخلابة وتكثر فيه الأشجار مع اعتدال الأجواء في موسم الصيف، بينما تهطل الثلوج شتاءً، ولذلك فهي مقصد السائحين والمصطافين من بقية المدن والمحافظة، وتتبعها عدة نواح منها صلاح الدين وهيران وحرير.

قضاء جومان: يقع هذا القضاء في شمال شرق المحافظة، بين سلسلة جبال هلكورد و سكران، ويبعد عن قضاء أربيل ١٦٠ كيلومتر. وهو من المناطق السياحية لتوفر عدد من المصايف والأنهر وكثرة المساحات الخضراء وشلالات المياه، ويمتاز قضاء جومان بكونه منطقة زراعية تنتج

قضاء كويه: ويسمى أيضا كويسنجق، يقع جنوب شرق أربيل على بعد ٧٠ كيلومتر. و يعود تاريخ كويه إلى الألف الثالث قبل الميلاد، و لهذا فهي تتوفر على مواقع أثرية تفوق ٨٠ موقعا، ومن نواحيها ناحية شورش وطقطق و آشتي. ويبلغ عدد سكان القضاء ١٢٠ ألف نسمة.

قضاء ميركه سور: يقع هذا القضاء في شمال محافظة أربيل على ١٣٠ كم، و في منطقة جبلية وعرة تكثر فيها سلاسل الجبال العالية والوديان العميقة، و يشهد هذا القضاء هطول كميات كبيرة من الأمطار سنويا أكثر من أية منطقة أخرى في المحافظة، ويضم عدة نواحٍ منها شيروان و برزان و بيران، و مئات القرى التي

تعرض أغلبها إلى الدمار بعد عمليات الأنفال المشؤومة التي أقدم عليها النظام البائد.

قضاء خبات: يقع غرب المحافظة على الطريق المؤدي إلى الموصل، وعلى بعد ٣٧ كيلومتر، ويقع مركز القضاء على نهر الزاب الكبير، ويحتل قضاء خبات موقعا استراتيجيا هاما و يشتهر بأرضه الخصبة و طبيعته الجميلة، ويبلغ عدد سكانه قريبا من مائة ألف نسمة، وكان قبل عام ٢٠٠٤ ناحية قبل أن يتم تحويل صفته الإدارية إلى قضاء، وقد أنشئت فيه بعض المشاريع المهمة كمصفا لتكرير النفط، و المشروع الإروائي الكبير و مشروع تأمين مياه الشرب لأغلب مناطق محافظة أربيل.

قضاء راوندوز: وهي مدينة تقع بين سلاسل جبلية تحيطها من أغلب جهاتها، و كلمة راوندوز تتألف من مقطعين (روان) وهو اسم عشيرة كردية، والمقطع الثاني (دز) وتعني القلعة، يقع راوندوز شمال شرق المحافظة و يبعد نحو ١٠٧ كم عن أربيل.

التركيبة السكانية والطابع الاجتماعي

تحفل التركيبة السكانية لمحافظة أربيل بالتنوع أيضا كحال العديد من المحافظات العراقية التي يندر أن تكون مغلقة تماما على مكون إثني واحد. ففي هذه المحافظة العزيزة من إقليم كردستان تواجد الكرد والعرب والسريان والتركماني والأرمن واليهود قبل تهجيرهم في خمسينيات القرن الماضي. و يشكل الكرد النسبة الأكبر من عدد السكان، حيث تبلغ نسبتهم ٨٣٪ بحسب إحصاء عام ١٩٧٧م، ولكن يبدو أن الوجود العربي كان أكبر بكثير كما تشير إليه المصادر التاريخية وكتب الرحلات العربية. وعلى أية حال فبحسب إحصائية تقديرية لسنة ٢٠٠٨ فإن عدد سكان أربيل بلغ مليون وثلاثمائة ألف نسمة. وبفعل الأوضاع المضطربة و لاسيما بعد احتلال داعش للموصل فإن نسبة كبيرة من الأهالي العرب نزحوا إلى أربيل حتى إنهم باتوا يشكلون نسبة ٢٠٪-٣٠٪ من عدد سكانها.

أما طابعها الاجتماعي فهو يتسم بالحضرية والانفتاح مع رسوخ القيم والعادات والتقاليد الكردية المتوارثة، وفي وقت كانت النسبة الأكبر من سكان المحافظة يقطنون في الأرياف و شيوخ الطابع الريفي على المحافظة حتى نهاية السبعينيات، إلا أن الأمور أخذت تتغير حين بدأت الهجرة من الريف إلى المدينة، فما بين عامي ١٩٧٧ وحتى عام ١٩٨٤ هاجر من الأرياف والقرى إلى مركز المدينة قرابة ٢٠ ألف شخص سنويا، ليستقروا في أحيائها.

الثروات الاقتصادية



تزرع كردستان العراق بمحافظاتها الثلاثة أربيل والسليمانية و دهوك بثروات ومقدرات اقتصادية كبيرة ومتنوعة، و بالنسبة إلى محافظة أربيل فهي تتوفر على الثروات التالية:

الثروة النفطية: ينتج إقليم

كردستان أكثر من ٤٠٠ ألف برميل يوميا منذ كانون الأول ٢٠١٣م، بحسب تصريحات وزير الثروات الطبيعية في حكومة الإقليم، و تستخرج هذه الكميات النفطية من حقول مختلفة، ومنها حقول أربيل حيث يوجد حقلان مهمان هما حقل طق و حقل قبة خرماله، و تعمل حاليا في الإقليم أكثر من ٢٠ شركة أجنبية على استكشاف واستخراج النفط والغاز. و يجب الإشارة إلى أن هناك ثلاثا وثلاثين رقعة استكشافية، ويخمن أن يكون الاحتياطي المتوقع للرقعة الواحدة منها حوالي سبعمائة مليون برميل.

الثروة الزراعية: تتوفر لأربيل كما لبقية مناطق إقليم كردستان المقومات

والعوامل التي تجعل من القطاع الزراعي واحدا من أهم القطاعات الاقتصادية وأكثرها حيوية، وذلك لوجود المساحات الواسعة من الأراضي الخصبة، ووفرة المياه في الأنهار التي تمر بالمدن الكردستانية، و غزارة الأمطار، ووجود اليد العاملة، ومع هذا يبدو أن ثمة ما يجب عمله للنهوض بالزراعة في الإقليم، الذي لا يسد إنتاجه المحلي من الخضروات والفواكه على سبيل المثال سوى ٤٥٪ فقط بينما يعتمد على الاستيراد من تركيا وإيران لسد النقص، وعلى أية حال تشتهر أربيل بزراعة الحبوب لاسيما القمح في سهل أربيل، وكذلك المحاصيل الحقلية المختلفة، وكانت معدلات الإنتاج تسد احتياجات ليس المحافظة فقط بل والمحافظات العراقية الأخرى، ففي السبعينيات كان قسم من المنتج الزراعي لمحافظة أربيل يصدر إلى داخل وخارج العراق، وأسباب التراجع بحسب خبراء اقتصاديين متعددة ولكن أهمها الهجرة غير الطبيعية لسكان الأرياف صوب مركز المدينة، وشتيوع النشاط التجاري.

الثروة الحيوانية: يرتبط القطاع الحيواني بالقطاع الزراعي، ولذلك كان من الطبيعي أن تتراجع الثروة الحيوانية في أربيل نتيجة لتراجع واقعها الزراعي، فقد انخفضت بمقدار ٤٠٪ بحسب إحصاء رسمي لحكومة الإقليم عام ٢٠١٠ عما كانت عليه في ٢٠٠٣، وتمتلك محافظة أربيل مناطق رعي في قرى مختلفة فضلا عن مناطق واسعة شرق المحافظة، وتعتبر منطقة بادينان من بين أفضل المناطق، لكنها تعاني بين حين وآخر من الجفاف بسبب قلة الأمطار وتذبذب كمياتها خلال السنوات الأخيرة. ويبلغ عدد الأغنام في المحافظة بحسب إحصائية وزارة التخطيط العراقية لعام ٢٠٠٨ حوالي ١١٦ ألف رأس، ومن الأبقار ١٦٠ ألف رأس، فضلا عن ١٢٨ ألف رأس من الماعز.

الثروة السياحية: تضم أربيل عشرات المواقع الأثرية والسياحية، ولعل القطاع السياحي من القطاعات المهمة الفاعلة في محافظات إقليم كردستان وتحديدًا أربيل، ويدرّ توافد الزوار سنويا من سائحي الداخل والخارج ثروة مالية جيدة وتمنح فرصا اقتصادية واسعة.

المواقع السياحية والأثرية والتاريخية

قد يطول الحديث في هذا الجانب بسبب وفرة المعالم الأثرية والتاريخية حتى وصفها البعض بالقول إن في كل كيلومتر مربع ثمة موقعا أثريا، وقدرت بعض الجهات الرسمية أن عدد المواقع الأثرية يبلغ ٩٠٠ موقع، خمسون منها يقع في مركز مدينة أربيل، بالإضافة إلى كل هذا تتميز المحافظة بأجواء معتدلة وطبيعة ساحرة أدت إلى ظهور عدة منتجعات ومصايف سياحية، ولكننا سنقتصر على بعض أبرز تلك المعالم والأمكنة السياحية في المحافظة، ومنها:

قلعة أربيل: وهي واحدة من أبرز المعالم الأثرية والتاريخية التي تميز مركز المحافظة، يعود تاريخها إلى العهد الآشوري، في الألف الأول قبل الميلاد. وقد كانت حصنا عسكريا يقي المدينة من الهجمات الخارجية، وترتفع القلعة حوالي ٢٦ مترا وتمتد على مساحة مائة كيلومتر مربع، وأما من الداخل فنرى أن القلعة عبارة عن ما لا يقل عن ١٠٠ بيت متجاور تشكل مع بعضها حصنا منيعا، وما زال



شلال كلي علي بك

بعض السكان يعيشون في أجزاء منها، ولهذا سبق القول إن مدينة أربيل - والتي كانت برمتها داخل القلعة - توصف بكونها أقدم مستوطنة في التاريخ بقيت مأهولة بسكانها حتى اليوم.

المنارة المظفرية: وهي الأخرى من أبرز ما يشد الناظر من معالم مدينة أربيل، وتتميز هذه المنارة بشكل هندسي رائع، وتعتبر أعلى منارة تاريخية في العراق، يعود تاريخ بنائها إلى القرن الثاني عشر الميلادي، أمر بتشيدتها الوالي مظفر الدين كوكبري. تقع المنارة في وسط أربيل على بعد خمسمائة متر من قلعة أربيل، وترتفع عن الأرض بنحو ٣٧ متراً، وقد أجريت عمليات ترميم وصيانة لها كان آخرها عام ٢٠٠٩ بمساعدة شركة إيطالية متخصصة.

كهف شاندر: وهو الكهف الشهير الذي اكتشفت فيه بقايا إنسان النياندرتال عام ١٩٥٧م، ويقع قريباً من جبل برادوستن وقد عثرت فيه بعثة تنقيب من جامعة كولومبيا على تسعة هياكل عظمية لإنسان النياندرتال. ويقصده السائحون والمحبون لعلوم الطبيعة والتاريخ.

ضريح الإمام علي الخامس: يقع هذا الضريح في حي الخانقاه وسط المدينة، وفي اللافتة التعريفية بصاحب المرقد يتبين أنه سيد علي بن محمد بن جعفر بن سيد إبراهيم وينتهي نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، ويتألف المرقد من ضريح مبني من الخرسانة المسلحة وجدران من الطابوق، ويتوافد عليه الأهالي للزيارة والتبرك.

المنتجعات والمصايف: تتميز أربيل بمناطق ذات طبيعة خلابة وساحرة، حيث الخضرة الزاهية والشلالات والعيون المتدفقة، والأجواء اللطيفة المعتدلة الحرارة خاصة في موسم الصيف، وهذا ما جعل من مواقع عدة فيها منتجعات ومصايف يقصد إليها السائحون من مختلف المحافظات العراقية، ومن أبرز تلك المصايف والمنتجعات:

منتجع صلاح الدين: و الذي يقع في قضاء شقلاوة، وقد بني المنتجع على جبل بيرمام ويبعد عن مركز أربيل ٣٢ كم. وهو من أجمل الأماكن في الإقليم.
شلال كلي علي بك: ويقع على بعد ١٣٠ كم من أربيل، ويمتاز بجبال شاهقة

ومياه غزيرة متدفقة على مدار العام، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى القائد كلي علي الإيزيدي. شلالات بيخال: وتقع على بعد عشرة كيلومتر عن قضاء راوندوز، ويمتاز بكثافة الأشجار و خربير المياه الساحر من الشلالات الجارية من أعالي الجبال. دربندي رايات: وهو مصيف سياحي رائع، يقع على مسافة ٥٠ كيلومتر من كلي علي بك. وقد بنيت في هذا المنتجع فنادق جميلة ذات خدمات مميزة. حاج عمران: وهو من المنتجعات والمصايف المشهورة، الذي يقع على الحدود الشرقية لمحافظة أربيل، و يميز هذا المنتجع اعتدال حرارته في نهار الصيف وبرودته ليلا، فضلا عن الطبيعة الخلابة والأشجار الكثيفة والجبال العالية الساحرة.

محافظة السليمانية

هي المحافظة الثانية من إقليم كردستان، وتحتل خصوصية في الوجدان العراقي كونها تضم مدينة حلبجة التي تعرضت إلى واحدة من أكثر جرائم الإبادة الجماعية قسوة وبشاعة على يد النظام الدكتاتوري البائد، والذي استخدم الغازات السامة لقتل الآلاف من الأهالي الأبرياء.

تعد السليمانية مدينة حديثة التأسيس نسبيا، فقد بنيت في بداية الأمر كعاصمة لإمارة بابان الكردية عام ١٧٨٤م على يد إبراهيم باشا أمير بابان، وبعد مرور زهاء القرن على تشييدها لم تكن تضم المدينة أكثر من عشرة آلاف نسمة، إلا أنها احتلت دورا ومكانة بارزة في تاريخ منطقة كردستان، فقد أضحت مركزا للثقافة القومية الكردية بدءاً من القرن التاسع عشر، وشهدت ظهور حركات تحررية لاسيما من الاستعمار البريطاني، ففي عام ١٩١٩ أعلن الثورة على الوجود الانكليزي الشيخ محمود الحفيد حتى إنه أعلن السليمانية دولة مستقلة.

وتعتبر السليمانية مركزا ثقافيا ذا مكانة خاصة لدى الكرد، حيث تنتشر فيها المراكز الثقافية و تصدر الصحف و المجلات الأدبية، وإليها ينتسب ألمع الأدباء والشعراء الأكراد، و تقام الأمسيات والندوات والمؤتمرات التي تعتبر مظهرا من



مظاهر الحراك في الثقافة والأدب الكردستاني في الإقليم ككل. وأما أصل التسمية فمختلف حوله، ولا يدل شيء على صحة رأي من عدمه، وتتراوح الآراء بين نسبة المدينة إلى والي بغداد سليمان أغا الذي ساعد إبراهيم باشا في بنائها، أو نسبة الاسم إلى ابن إبراهيم باشا نفسه، أو القول إن الأمير إبراهيم وجد عند أمره بتشيدها خاتما منقوشا عليه كلمة سليمان! فسماها باسم السليمانية..

الموقع الجغرافي

تقع مدينة السليمانية على سفح جبل أزم، وهي برغم وجودها بين عدة سلاسل جبلية تحيط بها من جهات الشمال والشرق والجنوب إلا أنها تنفتح على السهول المجاورة، تحدها المحافظة من جهة الشرق الحدود الإيرانية ومن الشمال محافظة أربيل ومن الغرب



محافظة كركوك وصلاح الدين، فيما تحدها من الجنوب محافظة ديالى. تبلغ مساحة المحافظة ١٧ ألف كيلومتر مربع، و تنقسم إداريا إلى عدة أفضية، وهي:

قضاء السليمانية: وهي مركز المحافظة، والمدينة التي بنيت في القرن الثامن عشر كما أشرنا إلى ذلك سابقا، وتمتاز المدينة بارتفاعها عن سطح البحر بحوالي ٢٩٠٠ قدم، ويسكنها حوالي نصف مليون نسمة، غالبيتهم من الكرد.

قضاء حلبجة: وتقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة السليمانية، وهي مدينة رائعة جميلة تكثر فيها البساتين والجبال، وتذكر بعض المصادر أن عشيرة الجاف الكردية هم أول من سكنوا هذه المدينة قبل أكثر من ثلاثمائة عام، ويبلغ عدد سكانها الآن ١٦٠ ألف نسمة، وقد تعرضت هذه المدينة إلى جريمة يندى لها جبين الإنسانية يوم ١٦/٣/١٩٨٨ حين أقدم النظام البائد على ضربها بالمواد الكيماوية ما أدى إلى استشهاد خمسة آلاف شخص من سكانها. وقد صادق في بداية عام ٢٠١٥ برلمان إقليم كردستان على تحويل هذا القضاء إلى محافظة باسم محافظة حلبجة.

قضاء جمجمال: كان هذا القضاء تابعا لمحافظة كركوك قبل أن يلحقه النظام السابق بمحافظة السليمانية عام ١٩٧٥، وهو يقع إلى الغرب من مدينة السليمانية، يقطنه حوالي مائة وخمس وستون ألف نسمة، و تلحق به عدة نواحي و أكثر من ٢٣٠ قرية.

قضاء كلار: وهو واحد من أكبر الأفضية في العراق، يقع هذا القضاء على مجرى نهر ديالى، ويبعد عن مركز السليمانية ١٢٠ كم، ويقطن القضاء أكثر من ٢٥٠ ألف نسمة، ويعتبر قضاء كلار من المناطق ذات الطبيعة الرائعة وقد شهد تطورا عمرانيا ونهضة سريعة على مدار العقود الأخيرة، وتضاعف عدد سكانها عدة مرات، و يتمتع القضاء بموقع استراتيجي رابط بين عدة محافظات، فهو يقع بين قضاء دربندخان شمالا و كفري التابع لصلاح الدين غربا، وقضاء جلولا التابع لمحافظة ديالى جنوبا، فضلا عن الحدود الإيرانية.

قضاء دربندخان: وهو قضاء ظهر على شكل تجمع بعض السكان عقب إنشاء

سد دربندخان، عام ١٩٥٤ إلى ١٩٦١م، وتوسعت المدينة شيئاً فشيئاً حتى أصبحت رسمياً قضاءً في عام ١٩٧٦م، وبرغم أن السكان خليط من عشائر كردية معروفة إلا أنها ذات طابع مدني حضاري، يتوسط القضاء بين أفضية السليمانية و حلبجة وكلار، ويقطنه قريب من أربعين ألف نسمة، ومن أهم معالمه القضاء السد الكائن على بحيرة دربندخان وهي منتجع سياحي رائع وفريد في طبيعته.

قضاء بنجوين: وهو من الأفضية الحدودية مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ويعتبر منفذاً تجارياً حيويًا لتبادل السلع بين إيران والإقليم، و يبعد القضاء عن مركز المحافظة ٩٦ كم، ويبلغ عدد سكانه أربعين ألف نسمة، وكان هذا القضاء ساحة للمعارك الدامية إبان الحرب العراقية- الإيرانية، ولا يزال يعاني من المخلفات الحربية من الألغام والقذائف غير المنفلقة والتي أوقعت عدداً كبيراً من الضحايا المدنيين طوال السنوات الماضية. ويحتفظ تاريخ هذه المدينة بمأساة زلزالية حدثت عام ١٩٤٦م وأدت إلى تدميرها بالكامل.

قضاء شهر بازار: أو شاربازير، وهو قضاء يقع في شمال شرق المحافظة، ويبعد حوالي ٣٠ كم عن مدينة السليمانية، وتعتبر مدينة جوارتا مركز القضاء، ويغلب الطابع القروي على سكان القضاء و تنتشر مهنة تربية المواشي لكثرة المراعي الطبيعية في القرى والأرياف التابعة للقضاء.

قضاء دوكان: ويقع شمال غرب المحافظة و من أهم معالمه سد دوكان الشهير المقام على بحيرة دوكان، وهو عبارة عن سد خراساني بارتفاع ١١٦ متر، وبطول أكثر من ثلاثمائة متر. وكان قد أنشئ عام ١٩٥٤م. تبعد مدينة دوكان عن السليمانية حوالي ٧٠ كم، وهي قطعة جمال ساحرة حباها الله بأجواء باهرة، ولهذا فهي أشهر مصايف السليمانية بل مصايف إقليم كردستان.

قضاء رانية: تعتبر رانية أقدم قضاء عراقي فقد كانت درجتها الإدارية قضاءً في العهد العثماني تابعاً للواء كركوك، وتعني كلمة رانية باللغة الكردية (لا يوجد سبيل)، وسبب ذلك أنها كانت منعزلة ولا توجد طرق معبدة تصل إليها، وقد كتب لهذا القضاء أن يدخل التاريخ في عام ١٩٩١ حين انطلقت منه شرارة الانتفاضة الشعبانية في إقليم كردستان، تقع رانية في شمال غرب المحافظة، و

تمتاز بوجود المياه المعدنية الكبريتية، التي تقع بالقرب منها شرقا وعلى مسافة خمسة كم، ويقصدها العديد من السائحين للاستشفاء و التنزه.

التركيبة السكانية والطابع الاجتماعي

تعتبر محافظة السليمانية مثالا رائعا لتجسيد قيم المحبة والتواصل بين العراقيين. و يمتاز مجتمعها بطابع الانفتاح والحدائة و التسامح، و تحضر السليمانية في الذاكرة العراقية مرتبطة بمجزرة حلبجة، تلك الجريمة البشعة التي اقترفها النظام البعثي المباد، و التي أزهقت أرواح خمسة آلاف كردي من النساء والرجال والأطفال والشيوخ.

إن المجتمع في محافظة السليمانية قد شهد تعددية وتنوعا إثنيا، فبحسب إحصاء عام ١٩٢٠ يتكون لواء السليمانية من مسلمين كردا وعربا، سنة وشيعة، بالإضافة إلى المسيحيين واليهود. و يمكن الإشارة هنا إلى أن الوجود المسيحي في المحافظة ضارب في القدم، و يرتبط وجودهم في السليمانية بمنطقة قرداغ قبل تحولهم إلى مركز مدينة السليمانية نفسها، ويعود تاريخ أقدم كنيسة في المحافظة إلى عام ١٨٦٢م، وهي كنيسة مريم العذراء، وأغلب المسيحيين في المحافظة هم من الكلدان الكاثوليك مع أقلية من السريان و الأرثوذكس. وخلال السنوات الأخيرة انتقل إليها عدد آخر من المسيحيين العراقيين الذين قدموا تحت وطأة الظروف الأمنية في بعض المحافظات، حتى فاق عددهم عدد المسيحيين المتواجدين أصلا في المحافظة.

و يشكل الكرد أغلبية سكان المحافظة الذين تجاوز عددهم المليونين ونصف المليون نسمة، بيد أن لهجتهم الكردية تختلف عن تلك السائدة في بقية أنحاء كردستان، حيث يتحدث سكان المحافظة باللهجة (السورانية) التي تختلف عن لهجة (الكرمنجة) المتداولة في أربيل ودهوك.

و يتألف النسيج الاجتماعي لسكان المحافظة من العشائر الكردية البارزة والتي على رأسها عشيرة الجاف التي تنتشر في أفضية عدة من المحافظة، فضلا عن

عشائر زنكنة والقرداغي والطالباني والزند وغيرها. ويتميز مركز المدينة بطابعه المدني فالسليمانية تعتبر العاصمة الثقافية لإقليم كردستان، أما أغلب أقيمتها فيبدو الطابع الريفي غالبا عليها، ومع هذا يعرف عن سكان السليمانية تعاونهم مع السلطات و التزامهم لتعليماتها، وباستثناء قضاء جمجمال فإن حالة الاستقرار والطمأنينة هي السائدة في عموم أرجاء المحافظة.

وقد دلت الإحصاءات والدراسات للواقع الاجتماعي والاقتصادي للمحافظة على أنها متقدمة على بقية محافظات العراق من جوانب عدة، فنسبة البطالة فيها هي أدنى في معدلاتها العامة قياسا بغيرها من المحافظات، كما أن الحركة الاقتصادية أكثر نشاطا، وبحسب الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات فإن المحافظة لا تعاني من توفير الجانب الغذائي للمواطنين، وبحسب الأمم المتحدة تعتبر السليمانية الأقل من حيث نسبة الفقر طوال السنوات الماضية، ففي عام ٢٠١٤ مثلا لم تتجاوز النسبة ٣,٠٪ فقط.

الثروات الاقتصادية

تتوفر المحافظة بثروات اقتصادية كبيرة، فهي تتوفر على: الثروة النفطية والغازية: تشير الدلائل والأعمال الاستكشافية إلى وجود حقول نفطية في بعض مناطق المحافظة، ولكن أهم الثروات المتحققة للمحافظة هي حقولها الغازية، حيث يوجد حقلان مهمان وكبيران للغاز الطبيعي، وهما حقل جمجمال الذي يبلغ احتياطيه نحو ٦٠ مليار متر مكعب، و حقل (خور مور)، الذي تم استثماره منذ عام ٢٠٠٧ من قبل شركة الهلال الإماراتية بالتعاون مع شركة دانة الكردية لإنتاج النفط والغاز، والشركتان خططتا لبناء مدينة كبيرة لإنتاج الغاز بالاستفادة من حقول الغاز المتوفرة في الإقليم. وهناك أيضا حقل ميران الغربي الذي يقدر أنه يحتوي على ٣٥٠ مليار متر مكعب من الغاز و ٧٥ مليون برميل من النفط الخام.

الثروة المعدنية: تتوفر في المحافظة ثروة معدنية مميزة، حيث توجد كميات

من معدن الحديد و المنغنيز، ولاسيما في قضاء بنجوين، وقد تم مؤخرًا بناء أكبر مصنع في العراق و الشرق الأوسط لإنتاج الحديد والصلب في منطقة بارزيان، و الذي كلف حوالي مليار دولار، و افتتح المصنع في أيار عام ٢٠١٤، و ينتظر أن ينتج مليونًا و ربع المليون طن سنويًا، كما توجد في المحافظة كميات كبيرة من الحجر الجيري والجبس و التي تدخل في صناعة المواد الإنشائية وخاصة الإسمنت، لهذا أنشئ عام ٢٠٠٨ معمل إسمنت الماس غرب السليمانية على بعد ٣٥ كم، وبطاقة ستة ملايين طن سنويًا. و عموماً فإن المحافظة تضم حالياً ٣٠٪ من مجمل النشاط الصناعي في العراق.

الثروة الزراعية: محافظة السليمانية جنة خضراء على الأرض، فكل أخصيتها ونواحيها تغطيها الخضرة في مواسم الصيف والربيع، و تشتهر أخصيتها بزراعة المحاصيل المختلفة، و لعل أشهر ما عرفت به السليمانية هو زراعة التبغ وبنوعية جيدة، في مناطق بنجوين ودوكان وجمجمال وقره داغ وغيرها، وكان ثمة معمل في المحافظة لإنتاج سجائر والذي نافس بمنتجاته البضائع المستوردة، إلا أن هذا المعمل توقف حالياً و منذ سنوات عدة. كذلك يزرع البنجر السكري و الخضر والفواكه المختلفة إلا أن إنتاجها يعاني من معوقات عديدة حالياً، و خاصة مع



بحيرة دوكان

الاعتماد على المستورد الأجنبي.

الثروة الحيوانية: تضم المحافظة النسبة الأكبر من عدد المواشي في إقليم كردستان، حيث يوجد حوالي مليون وستمئة ألف رأس من الماشية في مختلف أقضية المحافظة، منها ٢٢٤ ألف رأس من الأبقار ومليون ومائة وخمسين ألفاً من الأغنام.

الثروة السياحية: وهي من أهم ثروات المحافظة، حيث تضم السليمانية مواقع أثرية ومصايف ومنتجعات تشهد توافدا كبيرا للسائحين من المحافظات الأخرى.

المواقع السياحية والأثرية والتاريخية

تحفل محافظة السليمانية على غرار محافظات العراق الأخرى بالعديد من المواقع والآثار التي تعود إلى حقب تاريخية مختلفة، إذ يوجد أكثر من ٦٠٠ موقع ضمن الحدود الإدارية للمحافظة التي تضم متحفا يعد ثاني أكبر متحف في البلاد، و من أبرز المواقع الأثرية والتاريخية في السليمانية:

الكهوف: وهي مواقع أثرية ذات أهمية كبيرة في دراسة التاريخ الإنساني في العصور القديمة، ومن هذه الكهوف كهف جاسنة الذي يقع على بعد ٥٠ كم غرب المحافظة وفي قرية سور داش، يعود تاريخه إلى العصر الحجري ويرتبط بالذاكرة الكردية كونه الكهف الذي لجأ إليه الشيخ محمود الحفيد أثناء قتاله للإنكليز. وهناك أيضا كهوف جمبي ريزان الواقعة على بعد كيلومتر واحد من شلال بافيل،

موقع بيستان: يقع هذا الموقع في قرية بيستان التابعة لناحية عربت، و تم التنقيب فيه مؤخرا ليخلص فيه الباحثون إلى أنه أول موقع استوطن فيه الإنسان وانتقل إلى مرحلة الزراعة والاستقرار قبل آلاف السنين.

قلعة بازيان: توجد آثار قديمة حول مدينة السليمانية، ومنها آثار قلعة بازيان التي تحتوي على بقايا دير وكنيسة تعودان إلى حوالي ٦٠٠ عام، كما توجد قلعة سارته التي تقع في منطقة قشقولي، وقد شيدها مير محمد عام ١٨١٣م، وهي من المعالم البارزة في المنطقة، وفي قضاء كلار توجد كذلك قلعة شيروانة التي

تضم آثارا مهمة و يقصدها بعض السائحين لتوفر الفنادق والمطاعم والمرافق الخدمية بالقرب منها.

أما أهم المنتجعات والمصايف في محافظة السليمانية فهي: مصيف سرجنار: يقع على بعد خمسة كيلومترات من مدينة السليمانية ويتميز بجماله وهدوئه اللافت، وسط أشجار الفاكهة متدلية الثمار والمياه الرائقة العذبة. منتجع دوكان: وهو من أجمل المنتجعات في الإقليم ككل، و الأكثر جذبا للسائحين، يتميز ببحيرته الرائعة الزرقاء وأجوائه التي تملؤها رائحة الأزهار و أظلال الصنوبر.

منتجع دربندخان: عند بحيرة دربندخان الجميلة، التي تصلح لممارسة الرياضات والألعاب المائية، كالزوارق وغيرها، وتشكل مع الروافد المغذية لها منظرا جميلا وجذابا للغاية.

مصيف أحمد آوه: يقع هذا المصيف السياحي الباذخ الجمال على بعد ٧٥ كم شرق السليمانية، وسط سلسلة من الجبال العالية، و تناسب المياه من شلالات أحمد آوه التي تحيطها أشجار الرمان والتين والتوت وأشجار الصنوبر. والحقيقة أن هذا المكان من أكثر الأماكن سحرا وجمالا إلا أن بعده النسبي و وعورة الطريق إليه تسبب بقلّة مرتاديه.

محافظة دهوك

محافظة دهوك من المحافظات العراقية التي تقع في نهاية إقليم كردستان، والتي برغم ترديد اسم أحد أشهر أفضيتها وهو قضاء زاخو لكونه الحد الأخير للجغرافيا العراقية إلا أن القليل من يعرف الكثير عن المدينة، وذلك لبعدها و وقوعها في منطقة جبلية ملاصقة للحدود مع تركيا.

واسم دهوك يعني باللغة الكردية (صاعين أو مكيايين)، وقيل سميت كذلك لوجود جبلين من حولها بيضاويي الشكل، فدو تعني «اثنان» و هوك أو هيك



تعني «بيضة».

و هي محافظة حديثة التأسيس حيث كانت قبل ذلك قضاء تابعا للموصل، بيد أنه جرى تحويلها إلى محافظة عام ١٩٦٩م، وهو مطلب الأهالي فيها، والذي عملوا على المطالبة به قبل ذلك بوقت طويل حتى إن المندوب السامي البريطاني كان قد وعدهم بتحويل دهوك إلى محافظة.

تتمتع دهوك بموقع استراتيجي مهم، فهي نقطة العبور والتبادل التجاري الوحيدة بين العراق وتركيا ومنها إلى أوروبا. ويعتبر منفذ إبراهيم الخليل في قضاء زاخو من المنافذ الحدودية الهامة التي يجري عبرها تبادل أطنان من السلع بين العراق وتركيا.

الموقع الجغرافي



تقع محافظة دهوك في أقصى الشمال العراقي تحدها الحدود التركية من الشمال، ومن الشرق محافظة أربيل، فيما تحدها من الجنوب والغرب محافظة نينوى، ويمتاز جوها بالبرودة الشديدة وتساقط الثلوج فيما تكون أجواؤها في موسم الصيف معتدلة وطبيعتها

ساحرة كغيرها من مدن كردستان. تحيطها الجبال من ثلاثة اتجاهات، فمن الشرق جبل مامسين، ومن الجنوب جبل زاوا، ومن الشمال فيقع الجبل الأبيض، تبلغ مساحة محافظة دهوك ١٠٧١٥ كيلومتر مربع. وتنقسم إداريا إلى أربعة أقضية هي:

قضاء دهوك: يقع قضاء دهوك في الجزء الجنوبي الشرقي من المحافظة ويضم مركز المدينة، يقطنه نصف عدد سكان المحافظة تقريبا، حيث يبلغ عدد سكان القضاء ٢٥٠ ألف نسمة، و مدينة دهوك يعود وجودها إلى عصور سحيقة وتعتبر من أوائل المناطق المستوطنة تاريخيا، ثم صارت جزءا من الإمبراطورية الآشورية ثم غدت من المراكز المهمة للمسيحيين السريان.

قضاء العمادية: قضاء العمادية أو (اميدي) يقع شمال المحافظة وعلى بعد سبعين كيلومتر عن مركز دهوك، وهي من المدن التاريخية التي ورد ذكرها في الرقم الآشورية والبابلية، فيما ينسبها الجغرافيون العرب كياقوت الحموي إلى عماد الدين زكي عاش في القرن السادس الهجري. ومن نواحيها سرسنك وكاني ماسي.

قضاء سيميل: يقع هذا القضاء على بعد ١٦ كم غرب دهوك، و معنى سيميل (ثلاثة تلال)، ويمتاز القضاء بأنه منطقة سهلية زراعية عالية الخصوبة. وتتواجد في القضاء أغلبية كردية من عشريتي كوجر و سليفاني، مع أقلية آشورية وعرب وكذلك من الأيزيديين الذين يقطنون منذ سنين طويلة في قرية شاريا التي تعرضت إلى الدمار والتهجير على يد النظام الدكتاتوري البائد.

قضاء زاخو: تقع شمال المحافظة متاخمة للحدود التركية، وتبعد عن مركز دهوك بخمسين كيلومتر، يشقها نهر الخابور القادم من العمق التركي، و تضم المدينة معبر إبراهيم الخليل الذي يبعد عن مركزها ١٠ كم فقط. وتسمية زاخو تبدو قديمة و ترتبط بحادثة حربية وقعت بين الفرس والرومان، فهي مأخوذة من كلمة (زاخوتا) التي تعني النصر. وهناك آراء أخرى حول أصل التسمية. يمتاز القضاء بخصوبته ووفرة مياهه ومنتجاته الزراعية.

التركيبة السكانية والطابع الاجتماعي

يعتبر النسيج الاجتماعي لمحافظة دهوك نسيجاً منسجماً تسود العلاقة بين مكوناته حالة من الانسجام والمودة التي رسختها قرون من التعايش بين مواطني المحافظة بأقضيئها الأربعة.

أغلبية السكان هم من الأكراد المسلمين، فيما توجد أعداد من المسيحيين والإيزييين الذي لهم وجودهم الضارب في تاريخ المدينة. وقد كانت العديد من القرى والأرياف مكتظة بالآشوريين المسيحيين الذين يعتبرون من أقدم سكان المحافظة وكان وجودهم يتركز في المناطق الزراعية والبساتين الواسعة، بيد أنه يبلغ عددهم حالياً ثلاثين ألفاً فقط، حيث هاجر العديد منهم ولأسباب مختلفة إلى مناطق خارج المحافظة. ولكن عاد بعضهم في السنوات الأخيرة إلى مناطقهم الأصلية لاسيما تلك التي قامت السلطات الدكتاتورية البائدة بتدميرها كما هو الحال في قرية (دهي) التي كان جميع سكانها من المسيحيين، والواقعة على بعد ٤٠ كم شمال دهوك، وقد تم إعادة بنائها عام ٢٠٠٤م.

أما بالنسبة للأحبة الإيزيديين فإن تواجدهم يتركز في قضاء سيميل، و تحتوي بعض الكهوف الجبلية على آثار تثبت عراقه تواجدهم في هذه المنطقة. فضلاً عن ذلك يوجد الأعرء الأرمن الذين يتركز وجودهم في حي كيسة ضمن قضاء زاخو، ويبلغ عدد الأرمن في عموم المحافظة حوالي أربعمئة عائلة، أغلبهم في قضاء زاخو حيث كنيسة مريم العذراء التي شيدت عام ١٩٢٣، وتتواجد أيضاً اللجنة العليا لإدارة شؤون الأرمن.

تتسم محافظة دهوك بطابع زراعي حيث تكثر الأرياف والقرى في مناطقها المختلفة، وهي تشترك مع بقية مدن كردستان في عراقه تقاليدها و أعرافها الاجتماعية، و ينتمي سكانها الأكراد إلى عشائر معروفة، أهمها عشيرة المزوري وعشيرة الدوسكي، وإليهما ينتمي أغلب أبناء المحافظة الكرد، فضلاً عن عشيرتي كوجر وبرواري. ويبلغ مجمل سكان محافظة دهوك ٥٥٠ ألف نسمة.

بعد أحداث حزيران ٢٠١٤ وسقوط محافظة نينوى بيد الزمر الإرهابية تحولت

محافظة دهوك إلى أكبر مضيف يستقبل اللاجئين من المسيحيين والإيزيديين الذين فروا من بطش القوى الإرهابية الظلامية في مناطق سهل نينوى. وقد وجدوا حفاوة الكرم والضيافة المعروفة عن العراقيين في مختلف مدنهم ومناطقهم.

الثروات الاقتصادية

دهوك من المحافظات التي تزخر بالثروات الطبيعية المختلفة، و تبدو واحدة من أغنى المدن الكردستانية على صعيد توفر ثرواتها وتنوعها، ومما يتوفر لهذه المحافظة العريضة:

الثروة النفطية: يوجد في دهوك وتحديدًا في قضاء زاخو واحد من أكبر حقول النفط في الإقليم، وهو حقل سرسنك، والذي تعمل فيه شركة أتش كي أن البريطانية. فضلا عن حقل برواري بالا، وحقل طاوكي الذي تعمل عليه شركة نرويجية، و يبلغ إنتاجه بحدود ٥٠ ألف برميل يوميا. فضلا عن الثروة الغازية المتوفرة في المحافظة ومنها في حقول غاز سيميل.

الثروة المعدنية: تتوافر ثروة من المعادن في المحافظة، ومن أهمها كميات غير مستثمرة من الحديد، في منطقة (زاويتة)، كما يوجد كميات من حجر الكون كلومرات في قضاء العمادية، علاوة على وجود أكثر من عشرين عين ماء كبريتية، يمكن استخدامها في أغراض مختلفة ومنها الأغراض الطبية والعلاجية.

الثروة الزراعية: تعتبر الكثير من مناطق محافظة دهوك أراضي زراعية، وتشتهر دهوك بزراعة الحبوب من الحنطة والشعير و تتميز أيضا بوفرة أشجار الفاكهة لاسيما التفاح والعنب والخوخ و الرمان. وقد سبق لإحصائيات دائرة الزراعة في المحافظة أن أشارت إلى نمو الإنتاج المحلي للمحافظة بواقع أكثر من ٥٠% خلال السنوات ٢٠٠٧ و ٢٠٠٨، واكتفائها الذاتي من الخضر والفاكهة والحبوب. وأنها تسهم بنسبة ١٥% من مجمل الإنتاج الزراعي للبلاد. ومع هذا فالقطاع الزراعي في المحافظة لم يرتق إلى سابق عهده حين كانت دهوك سايلو العراق من ناحية إنتاج الحبوب و توفير سلة الخضر والفاكهة لكثير من المحافظات.

الثروة الحيوانية: تتمتع المحافظة بوفرة المراعي المناسبة، ولهذا كانت مقصد العديد من الرعاة حتى من خارج أقصيتها، وبحسب إحصائيات الجهاز المركزي للإحصاء لعام ٢٠٠٨ فإن عدد المواشي في المحافظة بلغ أكثر من مائتي ألف رأس من الأبقار والأغنام والماعز، أما في عام ٢٠١٤ فقد تضاعف هذا العدد نتيجة لدخول أعداد كبيرة من المواشي والرعاة القادمين من محافظة نينوى و وسط العراق بل ومن المدن السورية أيضا بحثا وراء المراعي المعشبة.

الثروة السياحية: لا تختلف دهوك عن محافظة السليمانية وأربيل من حيث توفرها على إمكانيات هائلة لاستثمار طبيعة أجوائها الخلابة ومواقعها الأثرية والتاريخية لجلب السائحين، وتنشيط اقتصادها و الحصول على ثروة كبيرة من القطاع السياحي.

المواقع السياحية و الأثرية

تكاد تكون محافظة دهوك متحفا طبيعيا يحفظ في طياته سجلا تاريخيا للمسيرة الإنسانية والحضارية منذ العصور السحيقة، ولهذا فلا غرو أن نجد بأن عدد المواقع الأثرية في المحافظة يزيد على ٧٠٠ موقع. و تتباين تاريخ هذه المواقع بين ما يعود إلى العصور الحجرية الموهلة في القدم، وبين تلك التي ترجع إلى بضعة مئات من السنين، ومن أهم هذه المواقع لأجل تعريف القارئ الكريم بتاريخ المحافظة وأهمية آثارها اخترنا ذكر ما يلي من بين عشرات المواقع المكتشفة:

قرية نمريك: وهي أقدم مستوطن بشري معروف في المنطقة يعود إلى أكثر من عشرة آلاف عام، وتقع القرية على بعد ٢٠ كم جنوب مدينة دهوك، و تحديدا في ناحية فايذة التي تعتبر من المناطق المتنازع عليها بين دهوك و نينوى.

كهف جوارستون: أو كهف الأعمدة الأربعة، يعد من أهم المواقع الأثرية في إقليم كردستان ومحافظة دهوك، يقع على بعد ٢ كم شمال مدينة دهوك، ويضم هذا الكهف معبدا للديانة الزرادشتية القديمة. وقد عملت حكومة الإقليم على ترميم الكهف مرتين آخرهما عام ٢٠١٣.

آثار كيسطة: وتقع في قضاء زاخو، وهي آثار لمدينة آشورية، وهي من أبرز

المعالم الأثرية في دهوك والتي تدل على قدم وجود دهوك منذ عصور مديدة، ففي هذه الآثار تم العثور على مقتنيات ولقى أثرية تعود إلى العصور الآشورية واليونانية والإسلامية، وتمتد آثار مدينة كيسته لمئات الأمتار، وقد تم العثور في قلب هذا الأثر النفيس على قلعة فوق تل محاطة بسور من الحجر والكلس، وأبرز ما وجد في كيسته فضلا عن التحف الذهبية والمسكوكات النقدية هو العثور على أنابيب فخارية متداخلة مع بعضها على شكل شبكة توزيع المياه داخل المدينة، وبالتالي فهي أقدم شبكة إسالة في العالم، تحسب كواحدة من الإنجازات المدهشة للحضارات العراقية القديمة.

منحوتات خنس: وهي عبارة عن منحوتات عظيمة تعود إلى العصر الآشوري، وتقع في وادي خنس وهذا الاسم يطلق على قرية مجاورة ذكرت أيضا في الرقم الطينية الآشورية باسم (خانوسا)، وتعتبر هذه الآثار من الروائع الفنية الخالدة التي تشهد على إبداع عراقي متأصل في التاريخ، ومن بين تلك المنحوتات الثور المجنح والإفريز الكبير وقناة سنحاريب.

منحوتات معلثايا: وهي الأخرى من معالم إبداعات الحضارة الآشورية، تقع على بعد ٧ كم جنوب غرب دهوك، ومعلثايا تعني باللغة الآشورية المعبر أو القنطرة، وقد تم اكتشاف هذه المنحوتة عام ١٨٤٥م، من قبل البعثة الفرنسية العاملة في الموصل.

كما تضم محافظة دهوك عددا من المصايف والمنتجعات الجميلة، نذكر منها: مصيف سواره توكا: يقع على بعد ٣٢ من مركز دهوك، وهو يطل على وادٍ تحيطه الجبال، يمتاز هذا المصيف بجماله واعتداله فلا تتعدى درجة الحرارة فيه ٣٥ درجة على مدار العام، ويعود إنشاؤه إلى الخمسينيات من القرن الماضي، وتوجد فيه مرافق سياحية وخدمات مميزة على مساحة أكثر من خمسة دونم.

مصيف سرسناك: وهو الآخر من أبرز منتجعات دهوك، يبعد عن مركز المحافظة ٥٠ كيلومتر، تكثر فيه أشجار الفاكهة والسدر والدردار، وكسابقه يتميز باعتدال درجة الحرارة فلا تتجاوز السابعة والثلاثين صيفا، و يوجد فيه فندق درجة أولى ويقصده العديد من السائحين من خارج المحافظة.

مصيف سولاف: يقع على بعد ٧٠ كم من مركز دهوك، وهو من المصايف المميزة التي تشهد إقبالا واسعا، حيث يتميز بأجوائه اللطيفة المعتدلة و شلاله الساحر الذي يرتفع أكثر من ٢٥ مترا. ولكن المصيف يحتاج إلى المزيد من العمل للنهوض به لاسيما على الجانب الخدمي والعمرائي.

مصيف زاويته: يختلف هذا المصيف عن سابقاته من حيث سحر وجمال الطبيعة الخلابة التي تحيطه، يبعد عن دهوك ١٦ كم، يضم مرافق سياحية وخدمية جيدة، و لكن درجة الحرارة فيه عدا موسم الصيف تنخفض بشدة وتصل أحيانا إلى درجة عشرة دون الصفر.

أعلام وشخصيات كردية

للکرد العراقيين دورهم ومكانتهم وإسهاماتهم في بناء العراق منذ تشكيل دولته في عشرينيات القرن الماضي، فقد أنجبت محافظات إقليم كردستان شخصيات يشار إليها بالبنان، إذ كان منهم السياسيون والمفكرون والأدباء.

فعلى الصعيد السياسي برزت أسماء عديدة في الساحة السياسية العراقية برغم النهج الذي انتهجته الأنظمة السابقة الذي اتسم بعدم الإنصاف، وتحكم بعض النزعات القومية والعنصرية والطائفية بأصحاب القرار، ومع هذا كان الحضور الكردي واضحا، منذ أول مجلس نيابي بعد تشكيل الدولة، واستمر هذا الحضور في الدورات اللاحقة، وتقلدت بعض الشخصيات مناصب وزارية مهمة.

ومن بين تلك الشخصيات نذكر نواب العهد الملكي أمثال إبراهيم يوسف وإسماعيل الرواندوزي وداود الحيدري وصبيح نشأت وعبد الله مخلص والشاعر والسياسي احمد مختار الجاف، والمؤرخ محمد أمين زكي، ومحمد صالح محمد علي وميرزا فرج الحاج شريف، والشيخ حبيب الطالباني ورفيق خادم السجادة ونشأت إبراهيم ومحمد سعيد الحاج حسين، وحازم شمدين آغا وهبة الله المفتي ونوري البريفكاني، ومعروف جياوك وجمال بابان وعبد الله المفتي، ومحمد الجاف وصبري علي آغا، وسيف الله خندان وغيرهم.

وبعض من هؤلاء ترقى في مناصب وزارية كصبيح نشأت، كما أن السياسي الكردي أحمد مختار بابان الذي ينحدر من حلبجة في محافظة السليمانية كان قد تقلد منصب رئاسة الوزراء عام ١٩٥٨م قبيل أشهر من سقوط الملكية. ثم حكم عليه بالإعدام من قبل المحكمة العسكرية التي شكلها عبد الكريم قاسم لمحكمة خصومه وشخصيات العهد الملكي السابق. وأما ما بعد ٢٠٠٣ فقد كانت المشاركة الكردية واضحة و واسعة، وتسلموا مناصب راقية كرئاسة الجمهورية عبر الأستاذ جلال الطالبناني، ومن بعده الدكتور فؤاد معصوم، فضلا عن عدد كبير من الوزراء والنواب.

وعلى الصعيد الأدبي فإن الثقافة الكردية أنتجت أدبا مميذا على يد أسماء لامعة، ففي الشعر يبرز عدد من الرواد أمثال فقي تيران وميلان جزيري وحاج قدري كويي وعبد الله كوران وملا أحمد نامي وقدري خان و عثمان صبري وجيكر خوين، وكذلك الشاعر الفذ شيركو بيكه سي، والذي تميز شعره بحس وطني عالٍ ودعوة إلى الوحدة الوطنية، ومما قاله في مأساة حلبجة:

ستذهب حلبجة إلى بغداد قريباً
 عن طريق غزلان سهول «شيروانه»
 حاملة معها سلة من الغيوم البيضاء
 وخمسة آلاف فراشة
 تنهض دجلة بوجل...
 تنهض بكامل هيبتها... وتحتضنها
 ثم تضع طاقيّة الجواهري على رأسها
 بعدها..

تقترب يمامتان من النجف
 يغمر حنجرتيهما الهديل
 ليحطا على كتفيها

ومن الشعراء المعاصرين أيضا فرضت أسماء كثيرة حضورها، أمثال كامران موكري، محمد علي مدهوش، سعد الله بروش، عبدالله كوران، فاضل شورو، وآزاد

دلزار و هيمن، ونزاد عزيز سورمي، وأبو بكر خوشناو، وحسيب قرداغي. كما تميز الأكراد العراقيون خلاف نظرائهم في الدول المجاورة وأبدعوا في مجالات القصة والرواية والمقال الأدبي والعمل الصحفي، بسبب حرية إقامة المدارس وتدريس اللغة الكردية وهامش من الحريات الأخرى، و تعود أول قصة قصيرة كردية تؤرخ لبداية الفن القصصي في الأدب الكردي إلى عام ١٩٢٥ كتبها جليل صائب، ثم جاء إبراهيم أحمد، وعلاء الدين سجادي وشاكر فتاح. وتبعهم مصطفى صالح كريم، ومحرم محمد أمين، وعبد الله ميديا، و محمد صالح سعيد وجمال بابان.

و وسط كل الأسماء المبدعة والأعلام التي تركت أثرها في مجالات عملها اخترنا التعريف بشخصية حفرت اسمها في الذاكرة العراقية والكردية ولا يمكن نسيان دورها الوطني في مقاومة الاحتلال الانكليزي، تلك هي شخصية الزعيم الكردي الشهير الشيخ محمود الحفيد.

محمود الحفيد أو البندقية الغاضبة كما تصفه الوثائق البريطانية، أحد أهم الشخصيات في التاريخ العراقي والكردي، خلدهت الذاكرة الوطنية باعتباره أحد صلات الوصل بين القوميتين الرئيسيتين في البلاد، العرب والأكراد، ولد في مدينة السليمانية عام ١٨٨١م، ومن عائلة دينية على الطريقة القادرية، وكان يجيد التحدث باللغة العربية فضلا عن اللغتين الكردية والفارسية. وكان قد قاد المجاهدين الأكراد إلى الشعبية وانضوا تحت لواء رفاقهم القادمين من النجف وبغداد وكربلاء وسائر المدن العراقية في الجنوب والفرات الأوسط، و تعرض الشيخ محمود في المعركة إلى جروح بالغة. وفي عام ١٩١٩ أعلن الشيخ ثورته التي سرعان ما تلاقت مع تحرك العشائر العراقية في الجنوب والوسط في ثورة العشرين، حتى باتت ثورة واحدة بوجه الاستعمار البريطاني البغيض، ولهذا يصفها سماحة السيد الحكيم بالقول: (.. ثورة العشرين لم تكن مؤطرة بإطار قومي ومذهبي معين، بل كانت ثورة وطنية بكل المعايير، فنرى الشيخ محمود الحفيد الزعيم الكردي الكبير يأتي من كردستان مع عدد كبير من العشائر ليقاوم مع عشائر الجنوب، وامتزجت الدماء الطاهرة بعضها ببعض، وهكذا ترسخت الوحدة العراقية وانتصر الجميع

عربا وكردا وشيعة وسنة وتركمانا ومسيحيين وأقليات وكل المكونات وانتصر الجميع للوطنية العراقية)^{١٨}.

بيد أن الانكليز جهزوا جيشا كبيرا مدعما بالطائرات لمحاربة الحفيد في السليمانية، فدارت رحى معارك دامية بين قوات الاحتلال والعشائر الكردية بزعامة الشيخ. وكان للتفوق العسكري الانكليزي الكلمة الفصل برغم تكبد القوات العسكرية خسائر هائلة، و استطاع الانكليز في نهاية المطاف اجتياز الشعب الجبلية والالتفاف حول المقاومين، الأمر الذي أدى إلى وقوع الشيخ الحفيد في الأسر وهو يعاني من جروح لحقته أثناء المعركة.

نقل إلى بغداد وسرعان ما أصدرت سلطة الاحتلال بحقه حكم الإعدام، ثم خففت الحكم إلى السجن المؤبد، ولكنها عدلت عن ذلك فقامت بنفي الشيخ إلى الهند، خوفا من الاحتجاجات الشعبية التي يمكن أن تخلق أوضاعها. وبقي الشيخ

محمود في المنفى حتى عام ١٩٢٢م.

بعد عودته من المنفى سارع ليثور من جديد عام ١٩٢٣ ضد الانكليز فاضطروا إلى التسليم بسلطته وسلموه زمام الأمور في السليمانية. وبعد أن حاولت بريطانيا فرض معاهدة حزيران ١٩٣٠ التي أدت إلى احتجاجات عارمة في كل المحافظات العراقية عاد الشيخ وثار مجددا على سلطة الاحتلال، واستمر إلى أن اضطر إلى تسليم نفسه فتم إبعاده إلى السماوة ومن ثم إلى الناصرية، وبعدها إلى عانة، قبل أن تنقله إلى بغداد وتصادر أملاكه المنقولة وغير المنقولة.



إن الدور الذي لعبه الشيخ محمود الحفيد دور وطني جعله مثالا حاضرا في
الذاكرة العراقية، لما تحلى به من إخلاص وشجاعة وصبر كبير في مقارعة
الاحتلال، وتحمل الأعباء والصعوبات التي كانت تواجههم.